

رواية

# كوابيس

عماد سالم

# مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



## رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

## المدير العام

أحمد فؤاد الهدى

## مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى  
الكتاب : كعبيش  
المؤلف : عماد سالم  
تصنيف الكتاب : رواية  
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم  
 المقاس ١٤ × ٢٠  
رقم الإيداع : ٢٦٧٨١ / ٢٠١٦  
الترقيم الدولي : ٣٤٠ - ٧٧٦ - ٩٧٧ - ٠

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة  
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٥٢ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠٢٩

Email : [yastoron@gmail.com](mailto:yastoron@gmail.com)

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة ونشر وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

## **مفتتح**

«ثقة بذاتي - هي في نهاية الأمر - ثقة بالإنسان وبمقدراته على تجاوز ذاته وعلى الإصلاح والتحوّل وعلى معرفة حدوده، فهي ثقة لا ينتّج عنها غرور وخيال وإنما اعتزاز بالإنسان ومقدراته».

**عبدالوهاب المسيري**



أما قبل..

## سيدى القارئ

حين ابتدأت فى كتابة هذه الرواية، كنت أرى شخصية د. عبدالحميد محمد كعابيش - العالم، الفيلسوف، رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة - أمامى، ينظر إلى، وأنظر إليه دائمًا، فأجده ثابتًا لا يتحرك، صامتًا لا يتكلم، لم أستطع أن أضخ فى قلبه الدماء، ولا فى روحه الصفاء، ولا فى عقله الفكر والفلسفة، فيتحرك، وينطق، فيراه الناس كما رأيته فى خيالى، إلا بعد أن قرأت وذكرت مجموعة من الكتب التى أدين مؤلفيها بالشکر والعرفان، وبالفضل والجميل، وهى : مذاهب فلسفية : محمد جواد مغنية، المعجم الفلسفى: د. مصطفى حسيبة، عالم صوفى: للكاتب النرويجى جوستاين جاردر، الموسوعة الفلسفية السوفيتية.

## المؤلف



## جامعة القاهرة

فى كلية الآداب جامعة القاهرة، الساعة دقت لتوها العاشرة صباحاً، وفرحة - التى تشبه اسمها إلى حد التطابق - تتحرك بين الطلبة، تدعوهم للانضمام إلى أسرة الصحوة، فلابد من توقيع خمسة عشر طالباً، وموافقة أحد الأساتذة على أن يكون مشرفاً على الأسرة، الطلبة الموقعون حتى الآن أربعة عشر، مازالت تحتاج إلى اثنين، إلى طالب وأستاذ، ليتحقق حلمها بتكونين أسرة تنافس أسرتها السابقة، التى فصلت منها منذ ثلاثة أيام.

- إيه رأيك لو تنضمى معانا فى أسرة الصحوة؟ أرجوك ياخلود، عشان خاطرى يا حبيبتي، أقول لك : اشتراكى دى الوقت وبعددين اخرجى، المهم ناخد الموافقة، فاضل لي مشترك واحد ياقمر.

- بس أنا ماليش فى الأسر وتضييع الوقت ده، طب ماتقولى لسماح. وأشارت إلى زميلتها الواقفة معهما.

- قلت لها، وقالت لي نفس كلامك.

- طب كلمينى عن نشاط الأسرة.
- تردد وكأنها ببغاء:

  - نشاط ثقافي ورياضي وفني وإعلامي.
  - انتِ حافظة بقى.
  - باقول لك إيه؟ انتِ صاحبتي، وغضبٌ عنك هتشترکي، هتشترکي يعني هتشترکي.
  - أمري لله.

واشتراك خلود كى يكتمل النصاب، لتبدأ فرحة رحلة البحث عن أستاذ فى الكلية يوفق على أن يكون مشرفاً على الأسرة، تبادر إلى ذهنها د محمود سراج فانطلقت إليه:

  - إيه رأى حضرتك يادكتور؟
  - أنا الحقيقة مشغول جداً، وكان بودي أساعدكم، ولكن الوقت ضيق جداً.
  - أنا مقررة الأسرة يادكتور، وهاقوم بكل شى، بس القانون بيشرط وجود دكتور مشرف على الأسرة.
  - دى مسؤولية، قلت لي اسمك إيه؟
  - فرحة.

— دى مسؤولية يافحة، وأنا باشرف على رسائل دكتوراة  
هامة جداً وماعنديش وقت، آسف يافحة.

وانسحب د. محمود وتركها واقفة تستظل بخيبة الأمل.

لم تيأس فرحة وواصلت البحث حتى اهتدت إلى حقيقة واحدة، هي أن كل الأساتذة الذين يوافقون على الإشراف على الأسر جميعهم مشرفون بالفعل، ولا يجوز لأى منهم الإشراف على أسرتين، والمهمة أصبحت صعبة جداً، فكل الأساتذة رفضون أصلاً وبنسب متفاوتة، وليس أمامها إلا أن تعيد العرض على الأساتذة الذين رفضوا الإشراف على أسر أخرى، وتعرف سبب الرفض وتزيله من أسرتها، وبذلك يشترك الأستاذ ويقبل الإشراف على الأسرة.

— مساء الخير يادكتور، أنا فرحة من تانية فلسفة.

— أهلاً بيـكـ.

— احنا عاملين أسرة اسمها الصحة، وكنا عاوزين نتشرف بإشراف حضرتك كرمـ هـامـ، ومـشـ هـنـعـطـلـ حـضـرـتـكـ  
أبداً، أنا هـاقـومـ بـكـلـ النـشـاطـ.

— أسرة بعد شهرين من الدراسة؟! دا كل الأسر اتجمعت  
وعملت نشاطها، وانتم لسه هتبـدواـ؟!

— احنا بقى لنا شهر بنعمل الإجراءات، وياريت حضرتك  
تقبل عشان نبـتـدىـ.

— اكتبى لي تلات ورقات عن أهداف الأسرة، وطرق  
تحقيقها، وهاتيهالى أقرأها، وبعدين نتكلّم.

وتركتها الدكتور سمير البيلي في حيرتها.

— لسه هنكتب ، ولسة هيقرأ ، دا إيه الأسرة الجملى دى؟!  
دا احنا عملنا أسرة صوت الجامعة في تلات ساعات ،  
أنا وهند وحسام ، بس هما اللي تآمروا علىّ وفصلونى  
من الأسرة ، مع إنى أنا أول المؤسسين ، لكن ماشي ،  
بكرة يشوفوا أنا هاعمل إيه لوحدي .

دققت ساعة الجامعة الثالثة بعد الظهر ، فهربت فرحة إلى  
باب كلية التجارة ، فأخوها سمير عليها بالسيارة كي يأخذها  
معه إلى البيت ، خرجت تنظر يميناً ويساراً فلم تجده ، رمت  
النظر إلى الجهة المقابلة فوجده فاتصلت بهاتفه المحمول .

— إيه يامصطفى؟! مش احنا قلنا قدام باب تجارة؟! إيه  
اللى موقفك عند مطعم صبرى؟!

— قلت آكل سنتدوتش لحد ماطلعي .

— تمام ، بالهنا والشفا ، أنا قدام باب تجارة ، خلص وتعالى .  
أخذ مصطفى أخته التي لاحظ عليها أنها في حالة  
نفسية سيئة :

— مالك يافرحة؟!

— موضوع الأسرة اتعدد قوى، وكدا يبقى هند وحسام  
انتصروا علىّ.

— هو إيه سبب المشكلة أصلًا؟

— الرحمة اللي قلت لكم عليها بتاعة تيران وصنافير،  
انت عارف المشكلة، ناس بتقول سعودية، وناس بتقول  
مصرية، وأنا ولا تفرق معايا الحكاية دى أصلًا، بس  
قلت استغل الموقف واعمل رحلة، أكيد كل الطلبة  
عاوزين يشوفوا تيران وصنافير اللي بيسمعوا عنها ليلى  
ونهار فى التليفزيون والجرائد، وأعلنت عن الرحلة،  
جالى أمم يا ابني، أكثر من خمسين طالب فى نفس  
اليوم، وجالى كمان استدعاء من العميد، وتهديد بالفصل  
ليّ أنا وهند وحسام.

— وهما عملوا إيه؟

— قالوا للعميد إن دا قرار فردى من فرح، وإن الأسرة  
مامعملتش رحلة لتيران وصنافير، حتى هند بنت اللثيمة  
قالت له: يا افندم دا تيران وصنافير حبة رمل لا فيهاها  
معالم سياحية ولا فنادق ولا أى شئ، وحتى لو فيهاها،  
دى سعودية، إزاي نروح السعودية بدون تأشيرة؟

— والعميد قال لها إيه؟

— قالها: ما أنا كمان استغربت، إزاي الطلبة عاوزين يروحوا

- تيران وصنافير، يعني خارج البلاد، بدون إذن من الجامعة.
- وحسام؟
- حسام قال إنى مفصولة من الأسرة بسبب موضوع الرحلة دى، فرحب العميد بالقرار.
- طب انتِ هتعملنى إيه دى الوقت؟
- هاعمل أسرة جديدة، وأوريهم النشاط يكون إزاي، وهارشح نفسى فى انتخابات اتحاد الطلبة السنة دى ضد حسام، وبدىال ماكنت هادعمه، هاتحداه، وأرشح نفسى وامسحه، عشان يندم على تصرفه معاي.
- ربنا يوفقك يا أميرة الانتقام.
- كتبت فرحة ثلات ورقات عن الأسرة وأهدافها وسبل تحقيقها لتقديمها للدكتور سمير البيلى، عله يوافق على أن يشرف على الأسرة، ويخرجها إلى النور:
- صباح الخير يادكتور، أنا كتبت التلات ورقات.
- صباح النور.
- راح ينظر إلى مكتبته فرحة، وما إن مرت دقيقة واحدة حتى بدأ وجهه يتلون ويظهر عليه الغضب.
- أنا آسف يا فرحة، مش موافق.

— ليه حضرتك؟!

— مصممة تعرفى السبب؟

— ياريت يادكتور، أنا كتبت الأهداف وسبل تحقيقها،  
ولو فيه حاجة مش واضحة، حضرتك اسألنى.

— للأسف، أنا مش موافق إن انت تكونى مقررة لأسرة  
يشرف عليها الدكتور سمير البيلى، انتِ ماتعرفيش  
الدكتور سمير البيلى؟!

— طبعاً عارفة، نار على علم يادكتور، بس نفسى أفهم  
حضرتك اتغيرت كدا ليه لما قريت الورق؟!

— كل سطر فيه غلطة أو اتنين فى الإملا، انتِ ماتعرفيش  
تكتبى، مستواكِ مستوى تانية إعدادى مش تانية  
جامعة.

احمر وجه فرحة، ولكن إصرارها على تكوين الأسرة  
أمدھا بشئ من الصبر:

— مش مهم الإملا دى الوقت يادكتور، المهم الأهداف  
واضحة قدام حضرتك؟

— أنا ممكن أوافق على الإشراف بس بشرط واحد.

— موافقة يادكتور قبل ما اسمعه.

— إنك انتِ ماتبقيش مسؤولة عن أي حاجة في الأسرة،

وترشحي لى أى حد تانى يكون بيكتب كوييس ولغته  
جيده، لأن نشاط الأسرة دى هيتحسب علىّ، وأنا مش  
ممكِن أغامر باسمى معاكم.

انسحبت فرحة وشعرت بالشعور نفسه الذى انتابها  
حين أبلغها حسام بقرار فصلها من أسرة صوت الجامعة:  
— حاضر يادكتور، هاشوف لك حد يكون بيعرف يقرا  
ويكتب، حاضر.

وما إن تركته بثلاث خطوات، حتى انفجرت بالبكاء،  
فتجمعت الطالبات حولها، يحاولن أن يهدئن من روعها،  
ويعرفن السبب.

— إيه اللمة اللي هناك دى؟! شوف لي مين الطالبة اللي  
بتعييط هناك، وهاتها لي على مكتبي.  
— حاضر يادكتور.

انطلق موظف الأمن الداخلى إلى فرحة.

— مالك يابنتي؟! حد ضايك؟  
— لا أبداً.

— الدكتور عبدالحميد كعابيش رئيس قسم الفلسفة شافل،  
وطلب منى أبلغك تروحى له المكتب حالاً.

— حاضر، أنا جاية مع حضرتك.

استخدمت فرحة منديلها، وأزالت الدموع، ولكن الحزن والهزيمة مازالا في عينيها، ولا يمكن إزالتهما بسهولة، فرأيت صديقتها خلود ألا تتركها تذهب وحدها:

— صباح الخير يادكتور.

— صباح النور يا فرحة، وانت اسمك إيه.

— خلود يادكتور، في أولى فلسفة، وفرحة في تانية.

— إيه اللي حصل يا فرحة؟

رأيت خلود أن تحمل عن صديقتها عبء الحوار المحزن والمؤثر، فقصت على الدكتور كعايبиш كل ما حدث.

— دى حكاية بسيطة قوى، خلاص ياستى، أنا هاشرف على أسرتك بنفسى، مع إنى رفضت تلات أسر قبل كده.

— والله يادكتور؟ حضرتك؟

تلعلتم وابتسمتها ت Maher the pain and the despair ، فيهربان من عينيها.

— شفتِ بقى؟ ! يعني الدكتور سمير رفض، ورئيس القسم التابع له قبل ، وهيبقى معالِك في الأسرة، ممكن تهدى بقى وتتكلمينى بنفسك عن الأسرة، هى اسمها إيه؟

تماماً فرحة نفسها وتنظر إليه باسمة:

— أسرة الصحوة.

وبدأ تشرح له الأهداف، وكيف ستتحققها الأسرة.

— كل دا عادى يافرحة، رحلات ومسابقات، كل الأسر  
شبه بعض، ما فيهاش جديد، أنا عارف إنك انت  
عاوزة تنجحى، وتشتتى لزملائك إنك كنت مكسب كبير  
لهم، وهما اتنازلوا عنـه، ولازم يندموا.  
— تمام.

— اسمعينى، ونفدى كل اللي هاقول لك عليه، معاك ورقة  
وقلم؟  
— أيوه.

— اكتبى.

— أسرة ألوان الطيف.

— نعم؟! ألوان الطيف؟!

— أيوه، ألوان الطيف، يعني التنوع، وheet تكون من ناس  
متنوعين، مختلفين، واحتلافهم دا هيخليلهم متكمالين.  
— مش فاهمة حاجة.

قالتها فرحة، بينما خلود سعيدة جداً ومنبهرة بشخصية  
وحوار كعابيش.

— الأسرة تمثل مصر بتنوعها، يعني الأعضاء هيكونوا

متنوعين، مسلم سنى والثانى شيعى، مسيحي، بهائى، من اتجاهات سياسية مختلفة، ليبرالى، يسارى، يمينى، ثورى، إصلاحى، وبعد ما نتأكد من تحقيق التنوع ده نعمل للأعضاء محاضرات فى التثقيف الفلسفى، لأن دى هتبقى أسرة مهتمة بالفلسفة، وبشرف عليها الدكتور كعابيش رئيس القسم.

— يعني إيه — حضرتك — التثقيف الفلسفى؟!

— يعني ندرس تاريخ الفلسفة، ونعرف فلسفة التاريخ اللي احنا جزء منه.

تتابع خلود كلمات الدكتور كعابيش بإعجاب، فهى قد دخلت الأسرة إرضاً لصديقتها دون رغبة منها، لكنها وجدت ما كانت تبحث عنه حين التحقت بهذه الكلية.

— يعني الأسرة دى هتبقى أسرة فلسفية، مش للرحلات والمسابقات والحفلات؟

— هيبقى فيها نشاط اجتماعى لكن أقل، لأن النشاط العلمى هيكون أوسع، كل أعضاء الأسرة هيعرفوا يعني إيه فلسفة، وهي عملوا أبحاث ودراسات عن الفلاسفة.

— الله يادكتور، حضرتك عظيم.

قالتها خلود منفعلة، بينما كانت فرحة تتبع برفض كل ما يقال، فهذه الأسرة ستكون طاردة للطلبة، فمن الذى

يلتحق بأسرة تكلفه بمذاكرة إضافية، فالطلبة ينتمون للأسر من أجل الرحلات والحفلات والترفيه.

— خلاص يا فرحة جهزى كل شئ ، وأنا معاكِ.

خرجت فرحة وخلود من مكتب الدكتور كعابيش:

— دا راجل عبقرى.

— دا راجل مجنون.

— إزاي بقى؟! دى فكرة عظيمة ، دا انت مش عارفة ، الأسرة دى ممکن يطلع منها فلاسفة كبار ، يغيروا كل شئ فى الدنيا .

— دا بيحمل يابنتى ، الأسرة دى مش هتجمع ولا صوت فى الانتخابات اللي جاية .

— انت عاملة الأسرة دى عشان تعملى نشاط محترم ، ولا تجمعى أصوات؟

— أجمع أصوات ، واثبتت لحسام وهند إنى أحسن منهم.

— وهتعملى إيه مع د. كعابيش؟

— هاطنشه .

— إزاي يابنتى ، دا رئيس القسم ، وهيدرس لك فى رابعة ، وانتِ كدا ، كدا ، جاية له ، جاية له ، لا مفر.

## خلود

لم تفلح في إقناع والدها بأن تدخل القسم الأدبي، فوالدها يرى في ذلك إهاداراً لطاقتها وذكائها، فهى إذا اختارت القسم العلمي سيؤهلها لدخول كليات القمة التي تستحقها، ولكن الرياح -هذه المرة- أتت بما تستهمي السفن، ف٪٨٥ لن تؤهلها إلى كلية أعلى من كلية الآداب، وبذلك جاءتها الفرصة لدراسة الفلسفة التي تستهويها.

وخلود صاحبة القوام النحيف والوجه الجميل تحب أن ترتدي دائماً ملابس الذكور (تي شرت، وبنطلون جينز)، ولا تستخدم أية مساحيق للتجميل، فهى بيضاء وجميلة وعيناها العسليتان لا تحتاجان إلى كحل، فهى جذابة بفطرتها دون تدخل، لم تقع في الحب حتى الآن، أو بالأحرى لم تفكر في هذا الموضوع، فهى تبحث عن دور كبير، وعلم، ومكانة تصل إليها لإثبات ذاتها.

تعرفت في أول يوم من الدراسة على فرحة، النشطة، الدؤوب، التي تستقبل الطلبة الجدد الذين أتوا لتوهم من الثانوية العامة، تستقطبهم للدخول في أسرتها، فهى تسعى

دائماً للوصول لكل الطلاب قبل أن يصل إليهم الآخرون، حتى إن نكتتها الشهيرة ملزمة لها دائماً وهي دائمًا ماتكررها:

— مرة واحد في الجامعة مايعرفش فرحة، وتضحك..

تسكن خلود مع أسرتها في شارع الطوبجي في بين السرايات، القريب جداً من الجامعة، ويعمل والدها في سنتر يملكه لتصوير المستندات والرسائل العلمية، فكل سكان هذه المنطقة تقريباً يعملون في خدمات خاصة بطلبة الجامعة، فعمرو وأخوهما الذي حرمه سوء حظه من إكمال دراسته يعمل مديرًا للسنتر ويحمل كل الأعباء عن والده الذي يجلس على مكتبه لتحصيل الإيراد فقط.

لم تكن صورة الجامعة المرسومة في ذهنها قريبة من الواقع الذي رأته، فالصورة لم تتطابق إلا اليوم حين رأت الأستاذ الجامعي المثالى كما كانت تتصوره دائماً، الدكتور عبدالحميد محمد كعابيش.

«لن أتركه أبداً حتى أتعلم منه كل شيء، وسأكون تلميذته حتى بعد الليسانس، سأكمل دراستي العليا وأكون دكتوراه في الفلسفة، أخيراً سيتحقق حلم حياتي».

— ألوه، ازيك يا فرحة، انت وصلت ولا لسة في العربية؟

— أنا لسة مشواري طويلاً، في المعادى، ياريتن بابا

يشترى لنا شقة فى بين السرايات جانبك ، يابختك  
ياسٌت خلود ، البيت جنب الجامع .

— أنا مش فاهمة انت ليه مش سعيدة ، مع إنى انا فى  
قمة السعادة وباحمد ربنا إنه وفقنا ، وكوننا الأسرة .

— إيه وفقنا دى؟! هو انت جيبٍت الحماس دا منين؟!  
يعنى انت هتبقى مسؤولة معاى عن الأسرة؟  
— ياريت .

— طب أقول لك على حاجة ، وابقى افتكريها كوييس ،  
الأسرة دى هتفشل فشل ذريع ، وبكرة أفكرك .  
— لأ ، أبداً بالعكس .

— اسمعى منى ، أنا عندى خبرة أكبر منك ، وعارفة الطلبة  
كوييس جدا ، هتفشل يعني هتفشل .

— فال الله ولا فالك ، دى هتبقى أهم أسرة فى جامعة  
القاهرة ، ويمكن فى جامعات مصر كلها .

— خلاص ، ماشى ، مع إنى مش مقتنة ، بس خلينى  
معاك ، انت هتبقى مسؤولة عن طلبات الدكتور  
كعابييش وموضوع التحقيق الفلسفى ، والخيبة السودا  
اللى هو عاوزها دى ، وأنا اشتغل بطريقتى ، رحلات ،  
ومسابقات ، وحفلات ، وأولعهما ، ويبقى ضربنا عصفورين  
بحجر واحد .

- والدكتور كعابيش هيوافق؟
- لازم يوافق، لأنه لو ماوافقش؟ أنا هانسحب، لأنى ما أقدرش أفشل وأشمت هند وحسام فيَ.
- بدأت خلود تجمع الأطياف المختلفة، وتأتى بطلاب متحمسين أغلبهم من الفرقة الأولى، مطابقين للمواصفات المطلوبة بعدهما وزعت فرحة المهام، فصارت خلود المقرر الثقافى للأسرة ومسئولة ملف التثقيف الفلسفى.
- صباح الخير يادكتور.
- صباح النور ياخلود، أمال فىن فرحة؟
- فرحة مكلفانى برجاء لحضرتك، وخافت تيجى معانى لتن تعرض لصدمة تانية.
- أبداً، هى حساسة قوى زيادة عن اللزوم، والموضوع بسيط.
- هى بتقترح إن الأسرة تبقى زى كل الأسر التانية، فيها كل النشاط، ومشروع التثقيف الفلسفى يكون اختيارى، مش إجبارى على كل الطلبة.
- طبعاً موافق، أنا ضد القهر، كل إنسان حر، وأنا مش عاوز أجبر حد على دراسة حاجة مابيحبهاش.
- أنا هاكون مع سيادتك يادكتور فى برنامج التثقيف

الفلسفى لأنى بقىت المقرر الثقافى للأسرة، لحد ما  
نعمل الانتخابات الداخلية.

— دا خبر جميل، أنا ملاحظ حمسك، وإيمانك بالفكرة.

— دا حلم حياتي.

— دى مبالغة ياخلود؟

— لا يادكتور أبداً، أنا كان نفسى أدرس الفلسفة، ودخلت  
الكلية باختيارى، وكان ممكناً أدخل تجارة، زى ما كان  
بابا عاوز، ورفضت.

— انتِ عارفة أنا جايip كم فى الثانوية العامة؟

— كام يادكتور؟ مع إنى عارفة الدكتور عبدالحميد كعابيش  
العمرى أكيد كان يقدر يدخل أى كلية هو عاوزها.

— أنا أول الجمهورية فى أدبى ٩٩,٨٪، وأربع سنين  
امتياز، ودكتوراه امتياز مع مرتبة الشرف.

— ما شاء الله، والدكتوراه كانت فى إيه يادكتور؟

— كانت فى تاريخ الفلسفة وتأثيره فى تاريخ البشر.

— دا موضوع صعب قوى، بس أنا لي رجاء عند حضرتك.

— اتفضلى.

- أنا آسفة، وأتشرف، إن حضرتك (تتلعثم خلود فى الكلام) زى والدى (وھى متربدة).
- افضلى، مع إن زى والدك دى مش ممكن، لأنى ما اتجوزتش أصلاً فبالتالى ماعنديش أولاد.
- أنا آسفة.
- لا، أبداً، كنتِ عاوزة تطلبى حاجة من والدك، إيه هى؟
- نفسى حضرتك تميّزنى عن باقى الأسرة فى الكورسات.
- مش فاهم.
- حضرتك، أنا المقرر الثقافى، وممكّن أتعرض لأسئلة من الأعضاء، فلازم أعرف أرد.
- يعني انت عاوزة تتأنّهلى عشان تبقى مقرر ثقافى ناجح، برافو عليك، أنا موافق طبعاً، تحبى نبتدى من إمتنى؟
- فرحت خلود وصرخت ببهجة قائلة :
- دى الوقت حالاً.

## أسرة أفكار فلسفية

لم تستطع خلود أن تصل إلى شيعي واحد أو بهائى أو صاحب عقيدة وفker مختلف كى تنفذ وصايا كعابيش فى مواصفات أعضاء الأسرة.

— أنا عارفة إن فيه شيعة فى مصر، لكن مستحبين، وبيخافوا من الظهور، من ساعة حادثة أبو النمرس الشهيرة، دى كانت حادثة بشعة.

— أيوه، أنا كنت فى فرنسا وقتها، وتابعت الموضوع فى الجرائد، أهالى قرية أبو النمرس – فى ضواحي الجيزة – قتلوا زعيم الشيعة حسن شحاته، ومرديه، ومثلوا بجثتهم فى مشهد بشع، والحوادث دى بتحصل عشان الناس الجهلة المنتشرين للأسف فى كل مكان، والمصممين على غياب لغة الحوار، ورافضين دايماً التواصل مع الآخر، عموماً هما لما يعرفوا إننا بنقبلهم فى أسرتنا هينضموالينا، خليها فى الوقت المناسب.

— بس البهائيين دول يادكتور؟! أنا أول مرة أسمع عنهم.

— دول مجموعة من المصريين، أقول لك؟ خدى الكتاب دا  
فيه كل حاجة عن البهائيين.

وأعطاهما كتاباً يحمل اسم «أسرار واعترافات البهائيين»  
(قصة أشهر بهائى فى مصر).

— متشكرة قوى يادكتور، أنا هاقراه الليلة دي، بس أنا  
كدا شايفة إن اسم ألوان الطيف مش هيبقى مناسب  
لالأسرة.

— ليه؟ انت عندك اتجاهات سياسية مختلفة، اليمينى،  
واليسارى والوسطى، والليبرالى.

— حتى الاتجاهات دى غير محددة دى الوقت، ممكن  
يشتركون معانا فى الأسرة بعد كده.

— طب عندك اسم مناسب؟

— بعد إذن حضرتك، أنا شايفة إن الاسم المناسب لأسرة  
يشرف عليها د. كعابيش رئيس قسم الفلسفة هو «أسرة  
أفكار فلسفية».

— جميل ياخ LOD، موافق.

قالها ووجهه قد استولت عليه ابتسامة عريضة.

— صحيح يادكتور؟!

— مش بس كدا، دا أنا باترجم حالياً رواية بتتكلّم عن تاريخ الفلسفة للروائي النرويجي جوستاين جاردر وهاسميها بنفس الاسم (أفكار فلسفية) دا بعد إذنك طبعاً ياصاحبة الاسم.

ابتسمت خلود..

— طبعاً موافقة، ومتشركة جداً يادكتور، حضرتك بترفع من معنوياتى، وأنا ممكن اقرأ الرواية دى إمتنى؟ أنا باحب الروايات جداً، خاصة المترجمة عن الأدب العالمي.

— خلصي الأول الكتاب اللي في إيديك، وبعدين الرواية.

— حاضر، على فكرة أنا باكتب على الكمبيوتر كوبس، وعندها سنتر هنا قدام الجامعة، ممكن أنسخ لحضرتك الرواية.

— أشكرك ياخلود، انتِ فعلاً مساعدة ناجحة، وأنا طول عمرى نفسى يبقى عندى حد يساعدنى.

— دا شرف كبير يادكتور، اعتبرنى من النهاردة سكرتيرة لحضرتك.

كعابيش ينظر لخلود بإعجاب ودهشة، ويتساءل : لماذا رفض الإشراف على الأسر الثلاث السابقة؟! ، ولماذا بكت فرحة ولفتت نظره وجعلته يقبل الإشراف على أسرتها؟!!

ولماذا تتنحى فرحة عن النشاط الثقافى وتتركه لخلود  
ليكون التواصل بينها وبينه مباشراً كل يوم لساعات غير  
قليلة؟!! ، لعل القدر يفعل بي كل هذا حتى أكتشف هذه  
البنت الرائعة التى عشت طول العمر أبحث عنها ، يكفى  
أن أكون أستاذها ، فهى نموذج لطالبة رائعة ، وأعرف أننى  
لن أستطيع أن أحلم بأكثر من ذلك ، لأنها جاءت متأخرة  
عشرين عاماً.

## بيكار

أخذت خلود الكتاب وبدأت تقرأ :

في شهر فبراير عام ١٩٨٥ ضبطت مباحث أمن الدولة تنظيمًا بهائياً، وتم تحويل المتهمين إلى نيابة أمن الدولة للتحقيق، كانوا ستة عشر رجلاً وأربعاءً اثرياتين، وتم تقديمهم للمحاكمة (ماعدا زعيم التنظيم وأربعة آخرين تم الإفراج عنهم)، وأخذت القضية رقم ٢٢٦٦ لسنة ١٩٨٥ جنح قصر النيل، وب مجرد الإعلان عن هذا التنظيم شار صحب وضجيج في المجتمع وفي وسائل الإعلام المصرية والعربية لسبعين :

السبب الأول: أن ملف البهائية الذي كان قد أغلق منذ ١٣ عاماً بعد الحكم في قضية مماثلة اشتهرت باسم قضية طنطا تفجرت سنة ١٩٧٢، عاد ليفتح من جديد، فبدا الأمر وكأن هناك ميتاً يفتح باب القبر بعد انصراف مشيعيه عنه، ويخرج ماشياً على قدميه !

والسبب الثاني والأهم: أنه كان هناك شخصية شبه عامة على رأس التنظيم، وهو الرسام والصحفى حسين بيكار،

والذى أُفرج عنه ولم يقدم للمحاكمة هو وأربعة آخرون، لكن محاكمة مجتمعية عقدت لبيكار تولتها الصحفة نيابة عن الناس.. فماذا قال بيكار؟ وما الذى أدلى به من اعترافات فى غرفة التحقيقات بنيةابة أمن الدولة العليا؟

— خلود انتِ بتعملى إيه؟ هى المذاكرة هتطير يابنتى تعالى اتغدى الأول، وبعدين ذاكرى زى ما انتِ عاوزة.

— أنا مش جعانة ياما، كلت فى الجامعة.

— خلينِ كدا، دا انتِ خاصة قوى يابنتى، تعالى كلى لقمة واحدة وارجعى.

— حاضر، حاضر، بس سيبينى دى الوقت.

وعادت خلود لتقرأ بحرص، كى تجمع كل التفاصيل وتظهر بمظهر مشرف أمام الدكتور عبدالحميد كعبايش، بهذه أو مهمة يكلفها بها، وهى تربى أن تكون مستعدة للمناقشة.

«فى مقر نيابة أمن الدولة العليا بمدينة نصر وفى ملف التحقيقات الرسمية قال حسين بيكار عندما سئل عن البهائية : هى عبارة عن ديانة مستقلة مثل ديانة الإسلام والمسيحية واليهودية ومثل كل الديانات الأخرى، أو هى جوهر وحقيقة كل هذه الديانات، فهى حلقة من سلسلة الرسالات السماوية بدءاً من آدم عليه السلام إلى أن يشاء الله، ولم تختلف رسالة عن أخرى فى هذه المبادئ الأساسية،

إنما الاختلاف في العبادات والتشريعات ، والبهائية جاءت لتنسخ ما قبلها من رسالات ، وهي رسالة سماوية تنتظرها جميع الأديان ، فاليهود ينتظرون «جيسية» ، والنصارى ينتظرون عودة المسيح ، والمسلمون ينتظرون «المهدى المنتظر» ، والبهائية هي التي ينتظراها هذا العصر ، بدأ عام ١٨٤٤ ميلادية على يد «على محمد» ونسمته «الباب» أي الشخص المؤدى إلى الله ، وقد بشر بمجيء موعد آخر يظهره الله ليضع أساس الديانة الجديدة التي تكمل الديانات السابقة ، ويشير العالم عليها إلى أن يجيء آخر يبشر ، وقد جاء ابنه حسين وأطلق على نفسه «بهاء الله» ، وقد أعدم الباب نبى هذا الزمان في إيران بمجرد إعلان دعوته واتهام علماء المسلمين له بأنه جاء ليهدم الإسلام ، ونحن نعتبره رسول العصر الذي أتى ليصحح المفاهيم العقائدية في مختلف الطوائف ، ولذلك نسبت إليه البهائية باعتبارها ديانة عالمية ، ومن ضمن البلاد التي طبقت فيها مصر منذ ١٠٠ سنة ، حيث كان يوجد مجتمع بهائى ، وسجلت بالمحاكم المختلطة وكان مقرها بحظيرة القدس بالعباسية ، إلى أن صدر القانون رقم (٦٢٣) لسنة ١٩٦٠ بحظر نشاط المحافل البهائية في مصر ومصادرة جميع أملاكها ووقف نشاطها.

وإذا ما توقفنا هنا للحظات وأعدنا قراءة أقوال بيكار التي سجلتها النيابة وحولناها إلى عناوين رئيسية فسوف نلاحظ التناقض الآتى :

أحضرت خلود دفترًا، وأخذت تكتب كى تستطيع أن  
تفند ما قاله بيكار، وتهل نفسها لأى مناظرة محتملة:  
— التناقضات.

ووضعت خلود خطأ أحمر أسفل الكلمة.

— أما أن البهائية ديانة مستقلة فهذا تبجح واضح من  
البهائيين، لأننا يمكن أن نسألهم: ما هو الجديد الذى  
جاءت به هذه الديانة؟

— وأما أنها تنسخ ما قبلها، فهذا ما ينكره البهائيون  
كثيراً، بل أنكره بيكار نفسه حين قال إنها تكمل ما  
قبلها، لا تنسخ، وفي صفة مؤسس الطائفة (الباب)  
قدمه مرة على أنه جاء يبشر بالمنتظر، ومرة على أن  
هناك فى كل دين من يُنتظر مثل الباب، وأنه نبى  
هذا الزمان! فهل جاء الباب بالدين؟ أم أن الدين هو  
الذى جاء بالباب؟ وإذا كان البهائيون يؤمنون بأن كل  
دين لديه عقيدة فى شخص منتظر، فلماذا يجب أن  
نصدق أن الباب أو البهاء - أو أيهما - هو المنتظر الحق  
الذى سوف يرفع الظلم عن العالم؟! ماهذا؟

جرس الباب يرن.

— ياخلود قومى افتحى يابنتى.

— حاضر.

قالتها، لكنها لم تتحرك.

— خلود....

لا ترد خلود على أمها، فلم تجد الأم سبيلاً إلا أن تفتح  
هي الباب.

— كويس إنك جيت، شوف لك صرفة مع بنتك دى، أنا  
مش قادرة عليها، مذاكرة، مذاكرة، ولا أكل، ولا نوم،  
بنتك عدمت، وبتموت نفسها.

— مساء الخير ياروح بابا.

— مساء الفل يا حبيبي.

— إيه الكتاب دا؟

— دا كتاب إداهولى الدكتور بتاعنا فى الكلية.

يمسك والدها بالكتاب ويبتسم، فتسأله :

— هو انت قريت الكتاب دا يابابا؟!

— أيوه، مرة جالى واحد فى السنتر، وقال لي : صورلى  
عشر نسخ من الكتاب ده، وادانى فلوسهم، وبعد يومين  
اتصل بي وقال لي : وزعهم على حبائك فاستغرت  
ودفعنى فضولى لقراءة الكتاب.

— وحضرتك رأيك إيه؟

— حركة خبيثة لنشر الكتاب، عموماً أنا فهمتها وحرقت النسخ كلها، دول ناس مخهم ضيق، تخيلي يابنتى كانوا رافعين قضية على الحكومة عشان يشيلوا خانة الديانة من البطاقة.

— إزاي؟

— أديكِ قلتِ، أفكار غريبة، وطلبات غريبة، وفى الآخر المحكمة حكمت لهم – هما بس – يحطوا شرطة مكان الديانة.

— طيب والجواز والطلاق والميراث؟ كل دا بيختلف من دين لدين.

— ربنا يهدى الجميع يابنتى، صليت العصر؟

— أيوه ياحببى، عقبال ما تصلى أكون حضرت لك الغدا، وتنغدى سوا.

— لأ أنا صايم، كلى انتِ وريحى أمك اللي تعبت معاكِ دى.

— أه أنا ناسية إن النهاردة الاثنين.

واما إن تركها والدها حتى عادت لقصة بيكار :

قال بيكار فى تحقيقات النيابة إنه انتخب عضواً فى المحفل المركزى، ثم صار نائباً لرئيس المحفل المركزى المصرى السودانى وشمال إفريقيا، إلى أن منع نشاط البهائية فى عام ١٩٦٠ ، وكان لابد أن يعقدوا محفلهم فحولوها إلى

زيارات بينهم كأصحاب عقيدة، وكان طبيعياً أن نتزوج (بيكار هو الذي يقول) من بعضنا دون النظر إلى الديانة، وكنا نقرأ المناجاة الخاصة بالبهائيين، وهي عبارة عن الأدعية التي نزلها حضرة «بهاء الله» والكتاب الأقدس تجمعت فيه الأحكام البهائية التي قال بها بهاء الله، وهي منزلة عليه من الله سبحانه وتعالى، أما الألواح فهي كتب تضم خطابات كان يكتبها بهاء الله تتضمن مبادئه وتعاليمه ونصائحه للأحياء في العالم، والكتابان هما مصادر التشريع في البهائية !!

— وفي رده على سؤال : هل أنت بهائى بالوراثة، يجب  
بيكار :

«لقد نشأت نشأة إسلامية محافظة ومتدينة وحوالي سنة ١٩٢٨م حضرت إلى القاهرة للالتحاق بكلية الفنون الجميلة، وكان للعائلة صديق يدعى محمد زين العابدين، وكان بهائياً فكنت أحضر جلساته وأستمع إلى ما يقال فيها، وقد كانت تضم مسلمين ومسيحيين كانوا يأتون بأدلة من القرآن والكتاب المقدس على أن هناك ظهوراً جديداً سيأتي، وفي الكتاب ما يؤكد مجئ محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك في الكتب السماوية كلها ما يؤكد بأن بعد محمد سيجيئ ظهور إلهي آخر وهو ما يطلق عليه المهدى المنتظر وهو ما يتمثل حالياً — حسبما نعتقد — في بهاء الله ورسالته ، وكنت أولاً أعتراض على هذا الفكر اعتقاداً بأن محمداً هو خاتم

الأنبياء، وأن الإسلام هو خاتم الأديان، إلا أنه عن طريق قراءاتي المتأنية في الكتب المقدسة سواء الإنجيل أو التوراة أو القرآن الكريم آمنت بما لا يقبل الشك وباليقين الكامل بأن محمداً حق موجود وموعد في جميع الرسالات السماوية السابقة، كما أن بهاء الله أيضاً موجود بنفس الوضوح في جميع آيات الكتاب المقدس والقرآن الكريم باعتباره الظهور الإلهي الذي سيأتي بعد محمد، وإن من يكفر بهذا الظهور الإلهي الجديد المتمثل في شخصية بهاء الله الجديد المتمثل في شخص بهاء الله كأنه كافر بجميع الديانات السابقة، إذ إن بهاء الله حق وارد في هذه الديانات».

وعند هذه النقطة تتوقف مرة أخرى قليلاً مع قصة السيد بيكار وتكتب ملاحظتها التالية :

إن هناك من كان يمارس عملية غسيل مخ منظم للسيد بيكار، كان هو على استعداد لقبولها رغم المقاومة الأولى، ولم يكن الذي يقوم بهذه العملية شخص واحد فقط، ولكن أكثر من شخص بدليل قوله (كانوا) التي تشير إلى الجمع وليس المفرد، ولكل أن تتصور من يجلس في جلسة مع من يتعاطون المخدرات أو يزنون ويقعنون شخصاً ما بأن يمارس ما يمارسونه ليحس اللذة التي يحسونها أو على الأقل يمر بها، ويلحقون في هذا وبزيونه، ألا يكون مثل هذا الشخص عرضة للاقتناع والوقوع في الرذيلة؟ .

يدخل عمرو فلاتشعر به خلود التى تركت الشاي حتى  
أصبح بارداً.

— انتِ عارفة إن ليبيتون نزلت شاي بارد زى البيبسى  
اسمه آيس تى؟!

مازحاً، وهو يأخذ الشاي ويشربه.

— انت مش عاتق يا ابنى، حتى الشاي البارد؟!

— قومى اعملى لى الأكل.

— كلها نص ساعة وتكلل مع بابا.

— أنا إيه اللي يخلينى أستنى لغاية المغرب ما يأدن؟! دا  
بابا صايم يا بنتى.

— حل عنى بقى، وسيبني أخلص اللي فى إيدي.

— ورينى بتكتبى إيه.

ويقرأ عمر مادونته فى دفترها:

«إذا كان بيكار قد ردد أقوال المنظرين للبهائية، من أن  
هناك أعداداً أخرى في الكتاب المقدس تشير إلى أن هناك  
ظهوراً آخر جديداً سيأتي، فأنا أقول له إن المسيحيين  
واليهود قد أخرجوا من الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل)  
كل ما يمكن أن يشير إلى هذا، وأستطيع أن أعدد لك تلك  
الأعداد نقاًلاً عنهم، ولكن اليهود يقولون إنها تشير للمسيح

المخلص، بينما يقول المسيحيون إنها كانت تبشر بمقدم عيسى بن مريم سلام الله عليه، ولم يقل أحد إنها تشير للبهاء، وبالنسبة، نسأل البهائيين : هل هي تشير إلى الباب أم إلى البهاء؟ أم أن الله فتح عليكم فأرسل لكم في بضع سنين المخلص والنبي والرسول وتجسد لكم بشراً (بالرّة)؟ اتقوا الله يا من غابت عقولكم.

أذن المغرب فقامت خلود لتحضر طعام الإفطار لوالدها وأخيها الذي لم يتناول الغداء.

— العصير يابابا، صوماً مقبولاً إن شاء الله ياحبيبي.

— وما فيش غداً مقبول؟!

— لأنّ.

— ولا جيد؟ ولا أى حاجة جاية منك لأنّ حوكِ، حبيبك؟

— بالهنا والشفا يا أستاذ عمرو.

— انتوا هتفضلو كدا ناقر ونقير؟

— لا أبداً يابابا، دا خلود دى سكر.

— يبقى أكيد عاوز حاجة.

— والله أبداً يابنتي، دا انتِ أختي الوحيدة، هو بس عشرين صفحة وورد، وانت بتكتبي بسرعة (وينتفت لأنّيه) بتكتب حلو قوى على الكمبيوتر، وإيه؟ خطها حلو قوى يابابا.

فيضحك الأب والأم، وتضحك خلود التي تجبيه :

— من عيني ياعمرؤ، بس أما أخلص الكتاب اللي في إيدي.

تركت خلود أمها كى تحمل الأطباق للمطبخ، وذهبت  
هي لكتاب وعاودت القراءة ثم بدأت تكتب :

والخلاصة أن السيد بيكار وقع فى براثن الذين غسلوا  
مخه ولم يشا الله أن يهديه لأنه اختار هذا الطريق، ولو  
كان لديه بعض التبصر وال بصيرة لاهتدى إلى كتاب البهاء  
والباب وقرأ فيها ما يضحكه، لأنه كلام لا يصدر إلا عن  
المخابيل.. لقد نسب البهاء الألوهية لنفسه وقرنها بالنبوة  
وبصفة القدم والوحدانية والتثنية فى ذات الوقت، وهو فى  
هذا التشويش قد أخذ ما يدعو إليه الإسلام من الوحدانية  
وأخذ شيئاً من طبيعة المسيح - كما تدعى المسيحية - وأخذ  
صفات أخرى من فلسفات يغلب عليه الطابع اليهودى !!

قررت خلود ألا تكمل الكتاب، فهى وصلت لقناعة  
راسخة، وهى أن هؤلاء بعض المختلين عقلياً اختاروا لهم  
إلهًا غير الله، ونبيًا غير النبي، فكيف يوافق الدكتور  
عبدالحميد كعبايش على أن يضم مثل هؤلاء للأسرة التي  
يسرف عليها.

— ألو، مساء الخير يادكتور.

— مساء النور.

— أنا قريت الكتاب، الناس دول خُلل.

— أنا معاك، بس لما يكون عندنا أخ أو اخت أو ابن أو ابنة أصابه مرض عقلى نقتلها، ولا نحتويه ونتكلم معاه، ونحاول نفهمه؟ احنا فى الأول وفي الآخر لازم نفضل نحبه ونشفق عليه.

— نحبه إزاي وليه يادكتور؟!

— لأنه أخوك أو أبوك أو أمك، لكن أفكاره غير صحيحة، يبقى مافيش حل غير الحوار، بس أنا مبسوط منك جداً، كتاب ١٢٠ صفحة وقريته فى نفس اليوم، ومستعدة للمناقشة فيه كمان، انتِ هايله ياخلود.

— أنا متشكرة يادكتور، وإن شاء الله هابذل كل جهدى عشان أكون دايماً عند حسن ظنك.

— طب بالنسبة لباقي التنوع؟

— قصدك الشيعة؟

مع إنى عارفة ومتأكدة إن مافيش ولا شيعى ولا بهائى فى الكلية عندنا، ولو فيه حد شيعى أو بهائى أكيد هييخبى عقيدته، دى كل الطلبة عندنا مسلمين سنة ومسيحيين.

— انتِ تعبتِ من أولها، وفقدتِ حماسك بسرعة كدا ليه ياخلود؟

— لا، حضرتك أبداً، أنا جاهزة، فاضل الشيعة.

— هابعت لك ورقتين صغيرتين على الإيميل، اقربيهم بس قبل النشر، حاجة بسيطة ياستي ورقتين مش كتاب.

— تمام يادكتور.

## مصطفى محمود

رغم أن هذا الاسم يوحى دائمًا بالعلم والإيمان، إلا أن مصطفى لا يشبه أخته فرحة في أي شيء، فهو لا يقدر العلم، ويؤمن بأن الحياة لهو ومتعة، ولا يشغل نفسه بأي شيء إلا ملذاته الشخصية، فهو بلا أحلام، بلا رؤية، حتى الأحلام البسيطة ليس لديه لتحقيقها رغبة أو إرادة أو قدرة، لذلك فهو يتركها تموت وحدها غير آسف عليها.

بعد أن حصل على الثانوية العامة بأعجوبة بعد رسوب سنتين ونجاح غير مشرف في السنة الثالثة بمجموع ٥٣٪، أدخله والده جامعة خاصة منذ خمس سنوات، ومع ذلك فهو ما زال في الفرقة الثالثة بكلية التجارة.

مصطفى يشبه زهور الزينة الصناعية التي عادة ما يكون شكلها جميلاً، ولكن ليس لها رائحة، فهو أبيض طويلاً وبنيانه قوي وسيم، يرتدي ملابس غالبية الثمن، ماركات عالمية، حتى إن فرحة كانت دائمًا تلومه.

— يامفترى، حد يلبس جزمة بـ ٩٠٠ جنيه؟!

— انتِ جاهلة ، دى إيطالي ، «سينييه» يامتخلفة .

عندما اشتري والده سيارة لانسر جديدة، استولى عليها مصطفى دون أى مقدمات ، وترك السيارة القديمة ملقة فى الشارع أمام المنزل دون رعاية حتى هلكت.

يستخدمن الفيس بوك فى الإيقاع بالفتيات ، فهو مولع بنصف الجنس ، يحب ممارسته مع بنات بكارى فى حدود المسموح ، ويفضل هذه الممارسة عن الجنس الكامل مع نساء عاهرات.

— أنا يا ابني ما أمشش إلا واحدة تكون بنت ناس ، وبتحببنى أنا لوحدى ، ولازم اقنعوا عشان أكون الفارس الأول فى حياتها.

— حرام عليك ، دا أنا لو ربنا إداني النعم اللي إداتها لك دى كان زمانى الأول على الدفعه ، بس الشغل مع الدراسة مأثيرين على الواحد مش عارف يركز.

— ياعم شريف دا انت جايب جيد تلات سنين ، أمال لو ركزت هتعمل إيه؟! أمال أنا أعمل إيه اللي سقطت سنتين والتلاتة اللي نجحت فيهم طلعت بمادتين.

— احمد ربنا ، انت لو معانا فى جامعة القاهرة كنت اترفدت من زمان ، هى الدراسة عندكم دى دراسة؟

رغم أن شريف يعرف أن مصطفى يستغله ، وكثيراً ما يوحى للآخرين بأنه سكرتيره الخاص ، فيعتمد أن يأمره

بعض الأوامر، ويكلفه بمهام تافهة أمام الناس، إلا أنه موافق، فهو يأخذ مقابل ذلك ملابسه الرائعة بالنسبة لشريف والقديمة بالنسبة لمصطفى، الذي لا يظهر بملابس واحدة أكثر من يوم واحد.

كانت فرحة تشبه شبكة الصياد بالنسبة لأخيها، فهى فتاة تزورها زميلاتها، وهذا يكفى، فهو جذاب وأنيق، ويكفيه مجرد فرصة، رغم أنه يخسر كثيراً من رصيده عندما يبدأ فى الكلام، فهو سطحى جداً وتافه إلى أبعد الحدود.

— مش هتطلبينى مع صحبتك الجديدة خلود؟

تصعق فرحة، وتغضب، ويبدو عليها الاستغراب:

— خلود؟! هو انت اتهبت يا ابني؟! انت ما بتفهمش؟!  
فهمّنى يعني، ماعندكش تمييز كدا خالص؟!

— ليه يعني هى تطول؟ دا أنا مصطفى محمود السراج،  
صاحب أكبر شركة استيراد فى مصر.

— انت مصطفى الساقط اللي بقاله خمس سنين وفى سنة  
ثالثة، يافاشل، وقبلها خمس سنين فى الثانوية العامة، أولى  
وتانية نجحت بالفلوس، وتالتة قعدت فيها تلات سنين.

— هي الشهادة إيه ياحمارة؟! الشهادة دى مؤهل لوظيفة،  
وأنا صاحب شركة، وشغلى محفوظ، وبعدين، أنا مش

طالب منك إلا إن انت تعزميني أنا وهى فى الجامعة،  
أو تعزميها عندنا هنا ، ادينى فرصة، وأنا أخلص.

— فرصة إيه ، وتخلص إيه يا متخلف؟! خلود دى حاجة  
تانية خالص ، وانت بالنسبة لها صرصار ، مجرد حشرة.

— ليه بقى ، هي فاكرة نفسها إيه؟

— لأ، هي مش فاكرة نفسها حاجة ، هي بتقول عليك  
وعلى أمثالك عار على مصر، وإنكم سبب ضياع البلد  
وخروجهما من التاريخ.

— يعني إيه؟! مش فاهم حاجة ، هي تعرفنى وكلمتك  
عنى؟

— لا طبعاً ، النوعية الجاهلة من الشباب اللي انت بتنتمى  
ليهم ، خلود باختصار بتحترفهم.

— ليه ، هي فاكرة نفسها إيه؟!

— بص يامصطفى ، خلود متربية كوييس قوى ، وعندھا  
ضمير حى ، وأخلاق ومبادئ ، فالحركات بتاعتكم دى  
ما تمشيش معاهما ، تمام؟ يبقى مش فاضل قدامك غير  
الطريق الوحيد اللي يمشي معاهما ، وهو إنك تتقدم لها ،  
وفى الحالة دى هترفضك وتهترج نفسك ، أنا أختك ،  
وبانصحك تشيل الموضوع دا من دماغك نهائى.

دخل مصطفى على صفحة أسرة أفكار فلسفية على الفيس بوك وكتب تعليقاً:

— عاوزين تنوع في الصفحة مش كله فلسفة كدا.

— تنوع زى إيه؟

— فن، أغاني مثلاً.

— الأغانى منتشرة على اليوتيوب، ادخل براحتك واسمع،  
أحنا هنا أسرة أفكار فلسفية، اللي عاوز ينضم لينا  
ويستفيد أهلاً وسهلاً.

— ألف شكر.

مع أن الرد على التعليقات يظهر باسم أسرة أفكار فلسفية، فمصطفى يعلم عن طريق فرحة أن خلود هى «الأدمى» على الصفحة، وهى التى ترد فاتصل بها.

— مساء الخير.

— مساء النور، مين معانى؟

— أنا اللي كسفتى دى الوقت قدام الناس؟

— مين حضرتك؟!

— أنا مصطفى.

— مصطفى مين؟! أنا كسفت حضرتك امتى وفين؟

— على الصفحة، ما هو أنا الطائر المفرد، على فكرة أنا  
أخو فرحة صحتك.

— أهلاً وسهلاً، ماعليهش، أنا مضطرة أقول حالاً، سلام.  
— سلام.

اندهش مصطفى من حدتها معه في الكلام.

— إيه المعاملة دي ياترى فرحة قايلة لها إيه عنى؟!

ولأن كل ما يمنع يرغب، ويغلو ثمنه، ويرتفع قدره،  
فصار شغل مصطفى الشاغل كيف يجعل خلود تحرمه  
وتقدره أولاً، ثم تقع في غرامه، وهذا بالنسبة له شئ  
طبيعي، وسيحدث أكيد وقتما يزيل أثر كلام فرحة عنه،  
وتتغير صورة الشاب التافه في عين خلود.

## الموالاة والنصرة

فتحت خلود الإميل، واستقبلت الملف الذي أرسله لها الدكتور عبدالحميد كعابيش ومعه رسالة:  
الباحثة المجيدة خلود.

«أرى فيك مستقبل هذا الوطن الذي لو أصبح شبابه كله  
مثلكِ، لعادت مصر سيدة العالم».

تأثرت خلود بالرسالة، وشعرت بالفخر وأيقنت أنها في  
أول طريق طويل، ولابد أن تكمله حتى النهاية.  
حملت الملف على جهازها وفتحت الورقتين:

«إن الشيعة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت  
طوراً زمنياً، ومرت بمراحل.. ولكن طلائع العقيدة الشيعية  
وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب  
الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض  
إمامية علي، وأن علياً وصي محمد، وهذه عقيدة النص على  
على بالإمامية، وهي أساس التشيع كما يراه شيوخ الشيعة،  
وشهدت كتب الشيعة بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من

أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرحامه وخلفائه وأقرب الناس إليه - رضي الله عنهم - والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة في الصحابة كما هي مسجلة في كتبهم المعتمدة.

كما أن ابن سبأ قال بتخصيص على وأهل البيت بعلوم سرية خاصة. وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبتت في صحيح البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر، وأن علياً - رضي الله عنه - سئل عنها، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن وما ليس عند الناس؟، فنفي ذلك نفياً قاطعاً

- كفاية يا بنتي، مقتت عينيك من القراءة.

- خلاص يابابا، قربت أخلص.

- هو انت خلصت الكتاب؟!

وهو ينظر في اللاب توب ويرى ماتقرؤه، الشيعة.

- هو فيه إيه ياخلو؟! البهائيين وبعدهم الشيعة؟!  
مخل هيلضرب ياحبيبتي، اقفل الكمبيوتر دا، ونامى من فضلك.

- حاضر يابابا.

طبعت خلود الورقتين وأخذتهما معها في السرير كى تقرأهما قبل أن تنام، وبذلك تكون جاهزة لمقابلة الدكتور عبدالحميد كعابيش غداً في الكلية.

«ولم يكن استعمال لقب «الشيعة» في عهد على - رضي الله عنه - إلا بمعنى المولاة والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة اليوم.. ولم يكن يختص إطلاق هذا اللقب بعلى - رضي الله عنه - يدل على ذلك ما جاء في صحفة التحكيم من إطلاق اسم الشيعة على كل من أتباع على وأتباع معاوية.

فإذن كانت الأحداث التي جرت على آل البيت (مقتل على، مقتل الحسين، وغيرهما من المأسى) هي من العوامل المؤثرة للاندفاع إلى التشيع لآل البيت، وكان التعاطف والتأثر لما حل بالآل هو شعور كل مسلم، ولكن قد استغل هذا الأمر من قبل الأعداء الذين يتربصون بال المسلمين الدوائر فدخلوا من هذا المنفذ، وأشاعوا الفرقة في صفوف الأمة، وحققوا بالكيد والحيلة ما عجزوا عنه بالسلاح والسنن، ودخل أتباع الديانات الأخرى، والمتآمرون، والمتربيصون في التشيع، وبدأوا يضعون أصولاً مستوحاة من دينهم، ألبسوها ثوب الإسلام.

- نمت ولا لسة ياخلود؟!

- أيوة يابابا نمت، نمت وباحلم كمان.

وعادت للقراءة:

«إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المتنسبة للتتشيع، وقد نما الحب وزاد لآل بعدهما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل على، ثم الحسين».

— اطفي النور ونامي.

— حاضر يابابا، والله هانام على طول قدامي دقيقتين ياحبيبي، حاضر.

وعادت للقراءة:

«هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث.. لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على على، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة.. فلا شك أنها عقائد طارئة على الأمة، دخيلة على المسلمين، ترجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسى، وغيرهم.

فدخلت فى التشيع كثير من الأفكار الأجنبية والدخيلة، ولهذا ذهب الإمام ابن تيمية إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم، وساق بعض الأحاديث الواردة فى أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها...، وقال بأن هذا بعينه صار فى المنتسبين للتشيع».

أدرك والدها أنها لن تستجيب له وتطفى النور وتنام،  
فقام وأطفأ النور قائلاً بغضب:

— مش قلت لك نامي.

— حاصر يابابا، حاضر.

نامت على الفور، فقد أدركت أنها تجاوزت مساحة السماح التي يمنحها والدها لها دائماً، وعلى كل حال، فهى قد أملت بالمسألة، وصارت جاهزة لأى نقاش خداً مع الدكتور كعابيش.

## د. عبد الحميد كعابيش

لم تستطع نظارته السميكة أن تحجب لون عينيه الزرقاوين الصافيتين، ولا وجهه الأبيض ولامحه التركية، هو ليس طويلاً، ولكنك لا تستطيع أن تصفه بالقصير، أما بالنسبة إلى الكرش فهو دائماً يلبس بدلة كاملة تعمل على مداراة مثل هذه العيوب الصغيرة التي كانت تزعجه منذ خمس سنوات، ولكنه الآن بلغ السادسة والأربعين، ولا يفكر إلا في رسالته العلمية.

في مدينة الصحفيين بجوار مدينة الطلبة التابعة لحرى المهندسين استأجر والده الذي كان وزيراً للصحة شقتين كبيرتين بمبلغ ثلاثين جنيهاً للاثنتين معاً، كل شهر، شقة كى يتزوج فيها وشقة يعيش فيها مع الأسرة التي تبقى منها أمه ورحمة اخته بعدما تركهم الأب الذي ذهبت روحه لتلقى ربها تاركاً اسمًا نظيفاً وسمعة طيبة وماً يستر أسرته.

— إيه حكاية أسرة أفكار فلسفية دى يا عبده؟

— يا بنت احترمى نفسك، دا انا عندي طلبة أكبر منك.

— فيها حاجة لما أخت تدلع على أخوها العظيم المشهور؟

- المشهور؟! وإيه عرفك ياست رحمة بموضوع الأسرة،  
وعرفت اسمها إزاي؟!
- انت تعرف واحدة اسمها خلود الشرقاوى؟
- أية، دى طالبة عندي.
- دا البنـت دى مولعة الدنيا على الفيس بوك.
- عملت إيه؟
- عملت صفحة اسمها أسرة أفكار فلسفية.
- وبدأـت تنـظر إلى الصفحة عن طريق «التابـلت» الخاص بها:
- بص ياسـيدى، أسرة أفكار فلسفية بكلـية الآدـاب جـامعة القـاهرة بـرعاـية الدكتور عبدالـحمـيد كـعـابـيـش، مـقرـرـ الأـسـرـة فـرـحةـ مـحـمـودـ، والمـقرـرـ الثـقـافـى خـلـودـ الشـرقـاوـىـ.
- جميلـ، البنـت دـى مـمتازـةـ.
- فـعلـاـ الصفحة نـشـيـطةـ جـداـ، وناسـ كـتـيرـ طـالـبـةـ تـشـترـكـ فـىـ الأـسـرـةـ، منـ الـكـلـيـةـ وـمنـ خـارـجـهاـ منـ كـلـيـاتـ تـانـيـةـ، وـفيـهـ نـاسـ منـ خـارـجـ الجـامـعـةـ وـشـغـالـيـنـ فـىـ وـظـاـيفـ، وـأـنـاـ بـعـتـ لهاـ طـلـبـ انـضـمـامـ لـلـأـسـرـةـ وـقـلـتـ لهاـ أـنـاـ فـىـ الثـانـوـيـةـ العـامـةـ، قـالـتـ لـىـ هـاـخـدـ تـأـشـيـرـةـ بـالـمـوـافـقـةـ مـنـ الدـكـتـورـ كـعـابـيـشـ.
- والله بـراـفوـ عـلـيـهـاـ، وـهـوـ يـضـحـكـ، لـازـمـ أـكـلـمـهـاـ حـالـاـ.

- «هذا الهاتف ربما يكون مغلقاً».
- التليفون مفروم.
- طب ما هي قدامك أهي، على الصفحة.  
وتعطى له التاب.
- إزيك يا خلود، برافو عليك، أنا كعابيش.
- الدكتور عبدالحميد كعابيش؟!  
أيوة.
- بس دى صفحة الآنسة رحمة محمد، أنت تعرفها؟!
- رحمة اختي الصغيرة، وأنا هنا عايش مع أمي وأختي  
وهى دى عيلتى، أيوة أنا عارف إنك مستغرة، أنا  
اسمى عبدالحميد محمد كعابيش، ورحمة ياستى ما  
بتحبش كعابيش.
- أيوة فهمت خلاص، بلغها حضرتك إنها معانا في الأسرة.  
— حاضر ياسيادة المقررة الثقافية.
- استطاعت خلود أن تبهر كعابيش بقدرتها وإرادتها  
الغولاذية، فهي تعمل ليلاً نهاراً، تقرأ وتخطط وتفكر وتنشر  
على الفيس، وتروج للأسرة.
- ربنا يخليك.

- مش قلت لك؟ دى فكرة جديدة، والطلبة بيحبوا الأفكار الجديدة.
- أنا منتشكة إنك كتببت اسمى مقرر الأسرة.
- أيوة ما هى دى الحقيقة، انت نسيت الاتفاق اللي بينى وبينك؟!
- لأ، ما نسيتش، بس أنا ما عملتش حاجة، وفى نفس الوقت اتريقت عليك وعلى الدكتور كعابيش.
- بأقول لك إيه، سيبك من الكلام الفارغ دا، انت فاكرة أنا دخلت الأسرة دى ليه أصلًا.
- أيوة طبعا عشان خاطرى، والدكتور كعابيش برضه دخل لما لقانى باعيط، دخل هو كمان عشان خاطرى.
- احنا الاتنين كان عندنا سبب واحد وهو إننا ننصرك على الاتنين اللي باعوك وظلموك وفصلوك من الأسرة ظلم، بعد التعب والشقا والوقت الكبير اللي ضاع، بدل ما تقولى لي الكلام الفارغ ده، اتصلى بيهم ووريهم نجاحك.
- نجاحنا ياخلود.
- نجاحنا يافرحة.
- الخميس، الساعة الثانية بعد الظهر، دكتور كعابيش المتحمس يعقد أول اجتماع لإدارة الأسرة.

- بداية مشجعة جداً.
- كله بتوجيهاتك يادكتور، ولا انت رأيك إيه يا فرحة؟
- طبعاً طبعاً، بس أنا شايقة إن الاسم صعب قوى «أسرة أفكار فلسفية»، هو أى نعم شد الطلبة وخلافهم عاززين يشتراكوا من باب الفضول بس.
- أنا معاك يا فرحة، بس لازم تعرفى إن كل شئ جديد بتبقى الناس القائمين عليه متوجسين منه، ودا طبيعى.
- قالها كعابيش، وهو ينظر إلى خلود.
- احنا ناقصنا حاجة واحدة، وهى اللي هتقضى على كل الهوا جس دى.
- إيه هي ياخلود؟
- إننا نكمل، يعني نطرح فعلاً أفكار فلسفية، وننزلها على الصفحة.
- تمام، وكمان أسماء لفلاسفة عظاماء، ونبذة عن حياتهم، ونناقش آراءهم، ونعمل حالة من الجدل.
- أنا هاجهز لك كل أسبوع موضوع جديد ننزله على الصفحة، وبعدين نناقش كل النتائج في اجتماعنا الأسبوعي كل يوم خميس الساعة اتنين بعد الظهر.
- ممكن أعرف شخصية أو فكرة الأسبوع دا يادكتور؟

عشان ابتدى أجمع صور مناسبة انشرها مع الموضوع  
تقرب الفكرة وتدعمها.

— بعد ساعتين تقريبا هتلاقى الموضوع على الإيميل، اقريه  
الأول قبل النشر وممكن نتناقش لو حبيت، اتفقنا ياخلود؟  
— تمام يادكتور.

خرجت خلود وفرحة من مكتب الدكتور كعابيش.

— ساعات باحس إن الدكتور كعابيش دا مش فاهم أى  
حاجة، وساعات باحس إنه عقرى.

— عشان انت ساعات بتفهمى، وساعات بتبقى حماره.

— خلاص بقى فيلسوفة انت ياست خلود؟  
قالت ذلك وهى تضحك.

— بكرة هتشوفى خلود وفرحة والدكتور كعابيش هي عملوا  
إيه فى الجامعة، وفى مصر كلها.

— يسمع من بقك ربنا، يابختك، بيتك أهو – وهى تشير  
ببديها – قدام الجامعة على طول يابنت المحظوظة.

— ماشى ياست فرحة ياللى العربية وأخوك مستنيين  
حضرتك طول فترة الاجتماع.

— دا نق بقى؟!

— بصراحة آه، سلام ياقمر.

قالت ذلك وهي تبسم.

— مع السالمة يا حبيبتي، أشوف وشك بخير.

قالت ذلك وابتسمت لها تكسو وجهها كله.

قبل أن تخلع ملابسها فتحت خلود اللاب توب لتنتفحص الإيميل، وترى إن كانت رسالة الدكتور كعابيش قد وصلت أم لا، فالليوم سيببدأ العمل الحقيقي لأسرة أفكار فلسفية.

لم تجد الرسالة فاتصلت به:

— ألوه يادكتور، حضرتك اخترت شخصية الأسبوع ده؟

— إيه عرفك إنها شخصية؟! يجوز تكون نظرية.

— زى ماحضرتك تحب، بس أنا شايفة إننا نبدأ بالشخصيات المعروفة، نقرب منها، ونتعرف على آرائها.

— إيه رأيك في سocrates؟

— تمام كل الطلبة هيكون عندهم فضول يدفعهم للتعرف عليه عن قرب، ومعرفة أفكار سocrates من خلال مناقشتها فى أسرة أفكار فلسفية، هيبقى له أثر كبير فى نفوس الأعضاء لأنه اسم معروف.

— خلاص ياستى، انتظري منى إيميل خلال ساعة.

— حاضر يادكتور.

## الإنسان هو مقياس كل شيء

لم تنزل خلود عينيها من على شاشة اللاب توب ، فهى تفتح الإيميل منتظرة رسالة الدكتور كعابيش.

— يابنتى غلبتنى معاكِ ، قومى اتغدى الأول.

— ياماما ياحببتي أنا مستننية رسالة مهمة على الإيميل من الدكتور كعابيش رئيس القسم فى الكلية.

— طب أعمل لك سندوتشات تاكلتها وانت عندك؟

— ماشى ، بس سندوتش واحد وصغير.

— هو أنا هأكلك بالعافية؟!

وتثور الأم ثورتها المستمرة التى تجددها كل يوم :

— لازم أبوك يشوف له صرفة فى الحكاية دى ، أنا مش هاستنى لما تقعى فى الشارع ، يابنتى انت بقيت جلد على عضم.

— وصلت ياماما وصلت.

وهي تطير من السعادة.

— هي إيه يا بنتى اللي وصلت؟!

— رسالة الدكتور كعابيش.

فتحت خلود الرسالة وبدأت تقرأ..

«الفاضلة خلود — مقررة الفكر والثقافة في أسرة أفكار فلسفية — لن نستطيع أن نعطي لأعضاء الأسرة الصورة الكاملة لسقراط دون أن نتطرق للسوفسطائيين الذين كانوا منتشرين قبله، لذلك رأيت أن الكلام عن سوفسطائيين تمهيد واجب يمكننا من الحديث عن سقراط.. ولكل مني جزيل الشكر والامتنان.

ملحوظة..

تم تحميل ملفين مع الرسالة، الملف الأول عن سوفسطائيين، والثاني عن سقراط.

وأرجو الاتصال بي فوراً لإيضاح أي شئ يشوبه الغموض، فقد حاولت التبسيط إلى أبعد الحدود.

كعابيش

فور انتهائها من قراءة الرسالة، فتحت خلود الملفين  
وبدأت تقرأ.

(الإنسان هو مقياس كل شيء)

«سقراط هو الفيلسوف الأول الذي ولد وعاش ومارس فلسفة في أثينا، فمنذ سقراط تركزت الحياة الثقافية فيها، ولكننا قبل الحديث عنه لابد من الحديث عن السوفسطائيين، فهم الذين كانوا يكونون الصورة الثقافية لأثينا قبل سقراط.

منذ سنة ٤٥٠ قبل الميلاد أصبحت أثينا العاصمة الثقافية للعالم اليوناني، فغمرتها موجة من أساتذة الفلسفة القادمين من المستعمرات الإغريقية الذين أطلقوا على أنفسهم لقب السوفسطائيين، وسوفسطائي تعنى الرجل المثقف الكفاء، وقد عمل السوفسطائيون على تعليم الأثينيين، وأصبح هذا مصدر رزق لهم، فهم كانوا يعلمون الناس مقابل المال.

يرى السوفسطائيون أن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى اليقين فيما يخص الغاز الطبيعية والكون، وهذا ما يطلق عليه في الفلسفة بـ «الارتباطية»، وإذا لم يكن ضمن قدرتنا حل الغاز الطبيعية، فيجب أن نعرف أننا بشر، علينا أن نتعلم كيف نعيش معاً، ولهذا اهتم السوفسطائيون بالإنسان وموقعه في المجتمع».

الموبايل يرن، ولكن جاذبية الرسالة تمنع خلود من الرد، فتقرر ألا ترد وتستمر في القراءة، فهذه هي المرة الأولى التي تقرأ فيها شيئاً عن السوفسطائيين.

«الإنسان هو مقياس كل شيء»، هذا ما كان يقوله السوفسطائيون، ومعناه أن الصواب والخطأ، والخير والشر، كلها يجب أن تحدد بحسب حاجات الكائن البشري.

كان السوفسطائيون يتجلولون في العالم، ويعقدون المقارنات في العادات والتقاليد والقوانين بين المدن، ومن هنا أطلقوا الجدل حول محدودته الطبيعية، وما حدده المجتمع، وأرسوا بذلك قواعد نقد اجتماعي في الديمقراطية الأثنينية، بهذه الطريقة رأوا مثلاً أن تعبير الحياة الطبيعي لا يتفق دائماً مع الواقع، وذلك لأنه إذا كان من الطبيعي أن تكون حبيباً فذاك يعني أنه شيء فطري، فهل هو كذلك في الواقع أم هو تأثير المجتمع؟

والجواب في منتهى البساطة لأى شخص سافر حول العالم، ليس من الطبيعي أو الفطري أن نخاف الظهور عراة، وليس الخجل أو عدمه إلا مفاهيم مرتبطة بعادات وأعراف المجتمع.

أنكر السوفسطائيون إذن وجود معايير بالمعنى الدقيق فيما يخص الخير والشر، في حين حاول سocrates على العكس منهم أن يبرهن على وجود هذه المعايير، وأن يؤكّد أنها مطلقة وتناسب الجميع.

عزيزتى خلود :

علك تأكيدت من أهمية الكلام عن السوفسطائيين قبل سقراط الآن، لأنه سيثبت عكس ما حاول السوفسطائيون إثباته، وبذلك يمكننا الآن أن نتحدث عن سقراط.

الموبايل يرن.... التقطت خلود الموبايل..

— ألوه، أنا آسفة يادكتور، ما كنتش أعرف إن حضرتك اللي بتتصل، كنت مركزة في قرایة الرسالة.

— تمام ولا يهمك، على فكرة يا خلود، أنا شايف إنك ماتنشريش على الصفحة أى حاجة دى الوقت.

— حاضر.

— انت قريبت لحد فين؟

— أنا قربت الملف الأولاني الخاص بالسوفسستائيين وهابتدى فى الملف الثاني «سقراط»، ممكن أعرف إيه المانع من النشر؟!

— أنا قصدى تنشرى السوفسستائيين وبعدها سقراط كموضوع واحد، وأول ما يحصل أى تفاعل، كلمينى، ونرد سوا على التعليقات والمناقشات.

— حاضر.

— أسيبك تكملى، وأنا ورحمة فاتحين الصفحة أهـو، وهنعملق بمجرد النشر عشان نشجع باقى الأعضاء.

— تمام يادكتور.

عادت خلود للقراءة:

«تشبه أثينا حصاناً كسولاً، وأنا أشبه ذبابة تحاول إيقاظها وإبقاءها حية».

ولد سocrates فى أثينا سنة ٤٧٠ ، ومات ٣٩٩ قبل الميلاد، ومع أنه لم يكتب سطراً واحداً إلا أنه أثر فى الفكر الأوروبي، فقد كان يلتقي بالناس فى الشوارع والأسواق ، وقد كان يكرر دائماً «ليس بإمكان الشجر فى الجبل أن يعلمنى شيئاً»، وقد اعتبر سocrates أكثر الناس غموضاً فى حياته، وبعد مماته اعتبر مؤسساً لعدة مدارس فلسفية مختلفة، ولكن يرجع الفضل فى معرفتنا لحياة سocrates إلى تلميذه أفلاطون، إذ كتب محاورات فلسفية على لسان سocrates، ولكن عندما يضع أفلاطون حواراً على لسان سocrates فإننا لانملك أى وسيلة تؤكد نسبة هذا الكلام لسocrates، ولكن المهم هنا ليس معرفة سocrates، ولكن المهم هو معرفة فكره الذى ألهى المفكرين الأوروبيين طوال ٢٥٠٠ سنة، والذى نقله تلميذه أفلاطون عن أستاذة.

— ألوه أيوه يادكتور.

— معاكِ ياخلود.

— مش فاهمة المقصود من كلمة سocrates ليس بإمكان الشجر  
فى الجبل أن يعلمنى شيئاً، وإيه علاقتها بالموضوع؟!

— إزاي بقى؟! دا هى الموضوع كله، سocrates كان بيدعى  
الجهل، ويطرح الأسئلة على الناس، ويخليلهم يفكروا،  
سocrates دائمًا يقول إنه هو اللي بيتعلم من الناس،  
وعشان كدا لازم يروح لهم الأسواق والشوارع، يسألهم،  
وكانه مش عارف حاجة، وهم بيتدوا يفكروا ويجاوبوا  
على أسئلته، فيوصلوا للحقيقة.

— تمام يادكتور، كدا فهمت هو بيطرح الأسئلة على الناس  
ويخليلهم هما يجاوبوا بنفسهم، ويخليلهم يوصلوا للحقيقة.

بمجرد عودتها للقراءة، دخل عمرو أخوها عليها الغرفة.

— يابنتى سيبك من اللي انت بتعمليه ده، كله محصل  
بعضه، يعني هتاخدى إيه من دا كله؟

— مش مهم هناخد إيه من المذاكرة، المهم نقدر نقدم إيه  
للبشر من كل حاجة اتعلمناها.

قالت هذه الكلمات، ثم تجاهلتة وعادت للقراءة.

«كان سocrates يحاور الناس ولا يعلمهم، فتتولد الأفكار،  
ف كانت مهمته توليد العقول أفكاراً صحيحة، فالحقيقة عند  
Socrates لا تأتى إلا من داخلنا، دون أن يستطيع أحد قذفنا  
بها، فبإمكان كل الناس أن يصلوا إلى الحقائق الفلسفية إذا

قبلوا أن يستعملوا عقولهم، فكل إنسان عندما يبدأ في التفكير يجد أجوبة لكل أسئلته داخل نفسه.

كان سocrates يتظاهر دائمًا بالجهل، وهذا ما يسمى سخرية سocrates، فيجبر الناس على التفكير، ويلعب هو دور الجاهل الذي لا يعرف شيئاً، فقد كان يقول: «تشبه أثينا حصاناً كسولاً وأنا أشبه ذبابة تحاول إيقاظها وإبقاءها حية».

لم يكن سocrates يريد إزعاج الناس كما تفعل الذبابة، ولكنه كان مدفوعاً بشيء لا يترك له الاختيار، كان يؤكّد أنه يسمع صوتاً إلهياً داخله، وكان يرفض على سبيل المثال حضور تنفيذ حكم الإعدام على أحد المواطنين، كذلك كان يرفض كشف أسماء المعارضين السياسيين فكلفه ذلك حياته، ففي عام 399 قبل الميلاد اتهم بأنه أدخل آلهة جديدة، وأفسد الشباب، وحكم عليه بالإعدام.

سocrates - كما قال شيشرون - هو الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، وتركها تعيش في المدن، تدخل البيوت وتتجبر الناس على التفكير بالحياة، بالتقاليد بالخير والشر.

وقد اختلف سocrates عن السوفسطائيين في نقطة أساسية هي أنه لم يعتبر نفسه فيلسوفاً عالماً ولم يقبل أخذ مال مقابل تعليمه، بينما كان السوفسطائيون يتراصون مقابل تعليقاتهم المترامية في الدقة.

سocrates يؤكد أنه لا يعرف إلا شيئاً واحداً «أنه لا يعرف» وهذه عظمته، فإنه يتساءل ليصل إلى المعرفة، والذين يطرحون الأسئلة هم أكثر خطراً، لأن سؤالاً واحداً قد يفجر ما لا يفجره مئة جواب.

كما يرى سocrates أن الرؤية الصحيحة للأشياء تقود إلى فعل صحيح، فالذى يفعل الصواب هو الإنسان الصحيح، وعندما نتصرف بشكل سيئ فذاك لأننا على خطأ، لذلك يصبح من المهم استكمال معارفنا، وكان يحرص على أن يحدد نهائياً وبوضوح كل ما هو صحيح وكل ما هو خاطئ، وعلى عكس السوفسقائيين اعتقد أن القدرة على التمييز بين الخير والشر تكمن في عقل الإنسان لا المجتمع، فمن المستحيل أن يكون الإنسان سعيداً إذا تصرف عكس قناعاته.

موبايل خلود يرن..

— طبعاً هتسأليني عن معنى الجملة الثانية «تشبه أثينا حساناً كسولاً، وأننا أشبه ذبابة تحاول إيقاظها وإبقاءها حية»، وإنه دائماً كان بقول للناس إنه لا يعرف.

— لا يادكتور، أنا فهمت إنه شئ ضعيف بيحرك الحصان القوى، يعني هو بيحرض الناس على التفكير عشان يتعلم منهم، فهو لا يعرف، لأن الحقيقة موجودة جوة الإنسان، ويمكنه الوصول لها بالتفكير والتأمل.

— تمام ياخليود، انشرى الموضوع، وأنا ورحمة هنلعل عليه حالاً.

لم تمر ساعة واحدة من نشر الموضوع الأول حتى انهالت التعليقات، وببدأت خلود ترد على أعضاء الأسرة وتتواصل معهم، حتى بدأت تعليقات مزعجة، فقررت خلود أن تستعين بالدكتور كعابيش كى يرد.

— أنا نفسى أفهم... انتم أسرة مهتمة بالفلسفة، إيه دخلكم انتم فى الدين.

— أرجو حذف موضوع الشيعة، لأنه مليان أخطاء وكله كذب فى كذب، فالشيعة أحباب آل البيت، أشراف، أطهار، ومعهم نور الحسن والحسين.

— الكتاب المقدس كتاب مقدس، هل تقبلين أن يهان القرآن؟! طبعاً لأ، طب ليه بتھيني كتابى المقدس؟! أنا بهائى، واخترت دينى، حضرتك دخلك إيه؟

أصيبيت خلود بصدمة، وشل تفكيرها، فرأيت وجوب حذف موضوع البهائيين والشيعة من الصفحة، واقتصر الصفحة على الأفكار الفلسفية، ولكنها لن تستطيع الإقدام على هذه الخطوة دون العودة إلى الدكتور كعابيش.

— عموماً، امسحى الموضوعين دى الوقت، وابعتى رسائل للعضوين دول عرفيهما إننا مع التنوع، ومش ضد أى حد، ومع الحرية بكل أشكالها، مادامت فى ظل القانون.

— دول مش عضوين، دول اتجاهين يادكتور، كل واحد باع特 أكتر من تلاتين رسالة ويمكن أربعين.

— للدرجة دي؟!

— أيوة، وفيه ناس بتشتت.

— خليك قوية، احنا لسه فى أول الطريق، لازم الناس تفكرون وتتكلّم، نحن لا نعرف، ونبحث عن المعرفة من الناس، وأهم حاجة نخليةم يفكروا عشان يصلوا للحقيقة.

— تمام، دا كلام سocrates.

— صح ياخلود.

— حتى بالنسبة للفلسفة جاتنى رسالة.

«هو العرب والمسلمين ماكانش عندهم فلاسفة؟! أرجو ألا نمجد في الكفار، ونعود لفلسفتنا العربية والإسلامية».

— دى بقى رسالة مهمة، ردى عليها : عندنا فلاسفة عظاماء، منهم الفارابي، ابن سينا، ابن رشد، الحاج، أبو الحسن العامري، زكي نجيب محمود، أبوحامد الغزالى، ابن الطفیل، یعقوب ابن إسحاق الكندي، ابن باجة، ولكننا ماشيين بنظام التسلسل التاريخي الصحيح، فقبل مانناقش فلسفة هؤلاء الأكابر علينا أن نتعرف على ثقافة أفلاطون، أرسطو، ديكارت، كانط، هيجل، ماركس.

— حاضر يادكتور، هاكتبها حالا.

أحضرت خلود صورة مرسومة لأفلاطون ونشرتها على الصفحة، وكتب تحتها شخصية الأسبوع القادم: «أفلاطون»..... فى انتظار رسائلكم.

### أسرة أفكار فلسفية

المقرر فرحة محمود، المقرر الثقافى خلود الشرقاوى، وأسرة أفكار فلسفية يشرف عليها الدكتور عبدالحميد كعابيش رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة.

## د. سمير البيلى

مع أن نادية زوجة د.سمير البيلى ليست من عائلته – فهى من عائلة القاضى الشهيرة بال محللة، وهو من عائلة البيلى فى المنصورة، إلا أنها تشبهه جداً وكأنهما توأمان، لم يكن التشابه لهذا الحد فى بداية الزواج، ولكن دون أن يدرى أى منهما تحولت ملامحهما؛ فصارت ملامح كل منهما تشبه ملامح الآخر، سمير يكبرها بسبع سنين ولكنها يبدوان فى سن واحدة.

لم يرزق سمير منها بأطفال دون سبب طبى واضح، فكل التحاليل أثبتت أنهما لا يعانيان من أى مرض يعوق الإنجاب، لدرجة أنهما صارا موقنين بأن سحراً سفلياً قام به أحد الحاسدين هو السبب الوحيد الذى حرمهما من الأبناء مما عرضهما للنصابيين والدجالين لعشر سنوات، ولم يكفا عن ذلك إلا خشية لوم الناس، فكيف لأستاذ جامعى وسيدة حاصلة على ليسانس الآداب أن يكونا فريسة لمشعوذ جاهل، أو دجال نصاب، هما يؤمنان بأن هناك من بين كل مئة نصاب واحداً حقيقياً يستطيع أن يفك السحر،

ويحل المشكلة، وهما يعيشان على هذا الأمل فيقعن كل فترة فرصة نصاب جديد.

لم يفكر في الانفصال عنها إلا مرة واحدة حين اكتشف عن طريق الصدفة أن عم أبيها الذي مات في الخليج منذ عشرين عاماً كان عضواً في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، ولكنه تراجع، فهي لم تكن تعرفه أصلاً، ولم يكن على اتصال بهم، وحتى الآن لم يثير هذا الموضوع أي مشكلات على الإطلاق، فهي ليست سيدة مجتمع وأخوها ليس معروفاً في المجتمعات السياسية، فظلت هذه القرابة سراً لا يلتفت إليها أحد، وهي على كل حال طيبة الطباع وغنية جداً، فهي وأخوها ورثا عائلة القاضي بكل أملاكها بعد وفاة الأب والأم.

مع الوقت نسى سمير هذه الصلة ولم يتذكرها إلا منذ ست سنوات عندما تخطته إدارة الجامعة، وعينت د. عبدالحميد محمد كعابيش رئيساً للقسم، وهو مازال جديداً ولا يملك خبرة سمير أو حتى محمود سراج، هو يعرف تمام المعرفة أن الأمن هو الذي يختار، وهذا أمر محسوم بالنسبة له ولا يحتاج إلى أي تأكيد.

يومها حاول أن يعرف سبب استبعاد الأمن له، فهو لأن عبدالحميد ابن وزير الصحة السابق محمد كعابيش عضو الحزب الوطني وعضو لجنة السياسات، أم استبعد لأن

عم والد زوجته كان عضواً في مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان المسلمين، وحتى بعد وصول الإخوان للسلطة كان يخشى أن يعرف أحد هذه الصلة، فقد كان يؤكّد دائماً في كل مجالسه -وكأنه يقرأ الطالع- أن الإخوان لن يستمروا أكثر من سنة وسوف يسحقونهم وكل جرائم ينابير.

على كل حال ما زال السر مستقراً في قاع البئر، فحتى الآن لم يستدع ليسأل عن صلته بنسبيه عضو مكتب الإرشاد، فالحزب الوطني رأى أن كعابيش من أبنائه، وهو أولى بهذا المنصب، وهذا هو كل شيء.

بعد أن أوقف السيارة في جراج فيلته في الشيخ زايد، طلب سمير من البواب أن يغسلها جيداً، فهو على موعد مع د. محمود سراج في المهندسين في السابعة مساء، وثلاث ساعات كافية للغداء والراحة، فالساعة دقت لتوها الرابعة بعد عصر يوم الخميس، فهما زميلان في القسم نفسه، وقد اعتادا أن يتقيا كل خميس على كافيه (اكسيبريسو) في المهندسين، ينظر إلى كل شيء حوله أثناء دخوله الفيلا كأنه يبحث عن خطأ كي يثور كعادته ويوبخ محروس البواب، لكنه هذه المرة لم يجد شيئاً، لعل زوجته ستتحمل هذه المرة ما يتحمله محروس منذ خمس سنوات.

سمير البيلي من عائلة غنية، طويل القامة قمح البشرة يتسم بطول الأنف والأذنين، شعره على الجانبين ما زال

أسود، والصلع قد اقتحم الشعر من الوسط مع أنه لم يبلغ الخمسين إلا منذ شهر واحد.

لم يكن هو السبب في عدم الإنجاب ولا زوجته، فكل الأطباء أجمعوا على أنهما لا يعانيان من أي موانع، ولكن هذا الأمر يبدو أحد أسباب عصبيته المفرطة خاصة في البيت.

فتح بمقتاحه ودخل:

— مساء الخير.

— مساء النور يا سمير حمدا لله على السلامة.

وهي تكتب على الفيس بوك.

— خمس دقائق والغدا يكون جاهز.

— أيةة يانادية، لاحسن الوقت ضيق جدا، يادوب ارتاح ساعة بعد الغدا.

— حاضر.

وهي مازالت تكتب على الفيس بوك.

— حاضر إيه اللي بتقوليها من غير ما تتحركى من قدام البقاع ده؟!

قالها بصوت عالٍ وبغضب.

— قلت لك خمس دقائق ياسمير، مافيهاش حاجة،  
باكتب تعليق.

— ولا خمسة ولا ستة، أنا داخل أنام.

ودخل غرفته مسرعاً وأغلق الباب خلفه بقوة أرعبت  
نادية، فتركت اللاب توب ودخلت المطبخ كي تحضر الطعام.

جرس التليفون يرن:

— ألو؟

— ألو.... إزّ حضرتك يامدام.

— بخير يادكتور محمود.

— ممكن أكلم سمير؟

— حاضر، دقيقة واحدة، ياسمير.. ياسمير.. دكتور محمود  
عاوزك على التليفون.

تركـت نـادـية السـمـاعـة وـعادـت لـلـمـطـبـخ، فـقـد قـرـرـت أـن  
تحـضـر أـطـبـاق الطـعـام مـن المـطـبـخ ليـكـون الغـداء جـاهـزاً قـبـل أـن  
ينـهـي سـمـير المـكـالـة.

— مساءـ الخـير يـادـكتـور.

— مساءـ النـور، اـنت لـحقـت نـمـت؟

— أـبـداً أـنا لـسـة واـصلـ.

- شفت صاحبک عامل إيه؟
- صاحبی مین؟!
- الرئيس.
- الرئيس؟!
- کعابیش، رئيس القسم.
- عمل إيه؟
- لام العیال علی الفیس بوك وعمال يخرف.
- إزای يعني؟
- تخیل التافه دا معاه بنت اسمها خلود وفرحة عاملین  
أسرة اسمها أفكار فلسفية.
- أیوه، ماانا عارف، البنت دی جات لی وعرضت علی  
الإشراف علی الأسرة دی وأنا رفضت، دی مابتعربش  
تقرا وتكتب.
- لكن هو ياسیدی وافق.
- كدا يبقى وقع فی شر أعماله.
- نادية تسمع دكتور سمير وتتابع المكالمة ويبدو عليها  
أنها تعرف شيئاً ولكنها تنتظر حتى ينهى مكالمته مع  
الدكتور محمود.

— إزاي ياسمير؟!

— كعابيش طول عمره ماشى جنب الحيط، من الجامعه  
للبيت ومن البيت للجامعة، لا تليفزيون ولا جرايد، ما  
بيتكلمش، واللى ما بيتكلمش يادكتور محمود ماتعرفش  
تمسك عليه غلطة.

— انت شايف كدا؟

— أيوه طبعاً، لازم الحق يرجع لأصحابه، احنا الاتنين  
أقدم منه فى القسم بتلات سنين.

— بس أنا أقدم منك ياسمير بست أشهر، وحاصل على  
الدكتوراه برضه قبلك.

— أنا وانت واحد.

وحدث نفسه : «إن كان عليك انت يا محمود ولا كعابيش  
اتنين جهلهة والقسم دا مالوش غير رئيس واحد هو أنا، هو  
الدكتور سمير البيلى».

— إيه ياسمير، انت معاي، ولا رحت فين؟!

— معاك يادكتور، معاك.

— أسيبك تريح، وهاستناك فى ميعادنا بالليل.

— مع السلامة يادكتور.

وما إن أنهى سمير المقالة حتى اقتحمته نادية، فهذه  
فرصة لفتح حوار جديد ينهى الخقام:

— الصفحة أهى ياسمير.

— صفحة إيه؟!

قالها وكأنه لا يريد أن يتحدث معها، فهو مازال غاضباً  
ولكن فضوله جعله يتنازل عن موقفه.

— أسرة أفكار فلسفية، أنا عضو فيها.

— معقوله يانادية؟!

— كنت باكتب تعليق على موضوع البهائيين وانت داخل،  
دى صفحة مشوقة جداً.

— دى صفحة فاشلة، وأسرة فاشلة، والشرف عليها فاشل،  
وانت كمان فاشلة.

قالها فانطلق غضبه كحصان جامح.

— الله يسامحك، طب تعالى اقرا المكتوب الأول، دى أسرة  
هادفة ومحترمة جداً، دى أسرة فلسفية، يعني المفروض  
تشجعها يادكتور.

صمت سمير للحظات كأنه يلتقط أنفاسه من جرى  
طويل...

— بصى يانادية، انت عارفة إنى ماليش فى الحاجات الجديدة دى، أنا عاوزك كل يوم تفتحى الصفحة دى وتطبى لى كل اللي بينشروه عليها عشان أقراه بنفسى، ماتسيش ولا سطر واحد.

— حاضر.

تفرغت نادية لرصد كل صغيرة وكبيرة فى صفحة أسرة أفكار فلسفية، فبدأت تطبع كل ماتنشره الصفحة فى بادئ الأمر، ثم توسيع فى المراقبة، فبدأت تطبع التعليقات وآراء وأسئلة المتابعين للصفحة، فنادية المحبوسة بين الأربعة حواطط وجدت أخيراً السلاح الذى تستطيع أن تقتل به الوقت، واستطاعت أن تعثر على سبب جديد يجعلها تتواصل مع زوجها وتتحدث معه وتناقشه فيه عندما ظلا لسنوات كأنهما أغراب فى بيت واحد لا يتكلمان إلا فى ضرورات المعيشة.

## الفستان الأحمر

نجاح غير متوقع فاق الحدود، قابلته ثقة من خلود أضفت عظمة وثقلًا للأسرة التي أصبح الأعضاء فيها يفخرون بمجرد انتمائهم إلى أسرة أفكار فلسفية.

ارتدىت خلود الفستان الأحمر، فأخرج الفتاة المختبئة داخلها، الشعر مناسب فوق ظهرها، ولبست حذاءها العالى فأظهر أنوثتها، فبدت كالقمر الذى يحبه كل الناس، ولكن من سعيد الحظ الذى سيحبه القمر، دخلت غرفة الاجتماع فوجدت الدكتور كعابيش وأخته رحمة وفرحة، فبدأ الاجتماع بمجرد دخولها الغرفة.

— أنا شايقة يادكتور إن العضوية لازم يكون لها شروط، يعني مش كل من هب ودب يدخل الأسرة.

قالتها رحمة متحدة إلى أخيها الدكتور عبدالحميد كعابيش.

— لا، لا، أسرة أفكار فلسفية فيها مساواة بين كل الناس، بالعكس دى معمولة أصلا عشان نرتفع بمستوى الناس

ونخليلهم يبدأوا يفكروا لحد ما يصلوا للحقيقة، ولا  
انت عندك رأى تانى ياخلود؟

قالها كعابيش، الذى ينظر لخلود بإعجاب كأنه يراها  
لأول مرة.

— طبعاً صح يادكتور، سقراط دايماً بيقول أنا لا أعرف، فاحنا  
كمان مش عارفين وبنطرح الأسئلة، وبنبحث عن الإجابات  
من الناس، وما فيهش حد فيينا بيملّك الحقيقة لوحده.

تنظر فرحة لخلود بانبهار.

— فعلاً أنا باتفاق مع الزميلة خلود الشرقاوى، احنا لازم  
يكون ليينا دور مع الأعضاء، لكن لما نقبل اشتراك  
الأعضاء الجاهزين بيقى فاضل إيه للأسرة تقوم بييه؟!

— عندك حق يا فرحة.

قالها الدكتور كعابيش.

— وتكملاً لسيرة سقراط أنا حضرت الموضوع اللي هننشره  
يوم الخميس على الصفحة، وهو عن أفلاطون، هنقراء  
ومناقشة سوا قبل النشر، واجتماعنا الأسبوعى هيكون  
يوم الأربعاء والنشر هيكون كل يوم الخميس.

— تمام يادكتور.

قالت خلود، فابتسم لها الدكتور كعابيش، وبدأ يقرأ.

«لقب بأفلاطون بسبب ضخامة جسمه، هو أشهر فلاسفة اليونان على الإطلاق.

ولد في أثينا في عائلة أرسطوقратية، أطلق عليه بعض شارحيه لقب «أفلاطون الإلهي». يقال إنه في بداياته تتلمذ على السوفسقين وعلى كراتيلس، تلميذ هرقلطيس، قبل أن يرتبط بمعلمه سocrates في العشرين من عمره.

وقد تأثر أفلاطون كثيراً فيما بعد بالحكم الجائر الذي صدر بحق سocrates وأدى إلى موته؛ الأمر الذي جعله يعي أن الدول محاكمة بشكل سيئ، وأنه من أجل استتابن النظام والعدالة ينبغي أن تصبح الفلسفة أساساً للسياسة. وهذا ما دفع فيلسوفنا للسفر إلى مصر، ثم إلى جنوب إيطاليا، التي كانت تعتبر آنذاك جزءاً من بلاد اليونان القديمة.

— هو جه مصر أيام عمرو ابن العاص؟!  
قالتها رحمة.

— لا طبعاً، أفلاطون دا يابنتى قبل الميلاد، يعني قبل مايتولد السيد المسيح، زمن غير الزمن خالص.  
قالتها فرحة موجهة حديثها لرحمة.

لم يعلق الدكتور كعابيش وراح يكمل.

«شم انتقل من جنوب إيطاليا إلى صقلية حيث قابل ديونيسيوس ، ملك سيراكوسا المستبد، على أمل أن يجعل

من هذه المدينة دولة تحكمها الفلسفة، لكنها كانت تجربة فاشلة، سرعان ما دفعته إلى العودة إلى أثينا، حيث أسس، في حدائق أكاديموس، مدرسته التي باتت تُعرف بأكاديمية أفلاطون. لكن هذا لم يمنعه من معاودة الكرة مرات أخرى لتأسيس مدینته الفاضلة في سيراكوسا في ظل حكم مليكتها الجديد ديونيسيوس الشاب، ففشل أيضًا في محاولاته؛ الأمر الذي أقنعه بالاستقرار نهائياً في أثينا، حيث أنهى حياته محاطاً بتلاميذه.

— احنا عرفنا فلسفة السوفسطائيين وسocrates، وقدرنا نقف على ملامحها، ممکن حضرتك تعرفنا على فلسفة أفلاطون.

— حاضر يا فرحة.

قال ذلك وهو سعيد لتجاوبيها مع أفكار الأسرة وحماسها الذي بدا يتزايد، أكمل كعابيس وهو ينظر في تقريره الذي أعده للنشر في أسرة أفكار فلسفية الخميس القادم.

«أوجد أفلاطون ما عُرِفَ من بعد بطريقة الحوار، التي كانت عبارة عن دراما فلسفية حقيقة، عبرَ من خلالها عن أفكاره عن طريق شخصية سocrates، الذي تمثله إلى حدٍ بات من الصعب جداً، من بعد، التمييز بين عقيدة التلميذ وعقيدة أستاذه الذي لم يختلف لنا أى شيء مكتوب.

«تميّز الميافيزياء الأفلاطونية بين عالمين: العالم الأول، أو العالم المحسوس، هو عالم التعددية، عالم الصيرورة

والفساد، ويقع هذا العالم بين الوجود واللاوجود، ويعتبر منبعاً للأوهام لأن حقيقته مستفادة من غيره، من حيث كونه لا يجد مبدأ وجوده إلا في العالم الحقيقي للـ<sup>المُثل</sup> العقولة، التي هي نماذج مثالية تمثل فيها الأشياء المحسوسة بصورة مشوّهة، ذلك لأن الأشياء لا توجد إلا عبر المحاكاة والمشاركة، وأن كينونتها هي نتيجة ومحصلة لعملية يؤدّيها الفيض، كصانع إلهي، أعطى شكلاً للمادة التي هي، في حد ذاتها، أزليّة وغير مخلوقة (تيميوس).

هذا ويتألف عالم المحسosات من أفكار ميتافيزيائية (كالدائرة، والمثلث) ومن أفكار «غير افتراضية» (كالحذر، والعدالة، والجمال، إلخ)، تلك التي تشكّل فيما بينها نظاماً متناغماً، لأنه معماري البنيان ومتسلسل بسبب وعن طريق مبدأ المثال السامي الموحد الذي هو «منبع الكائن وجواهر المُثل الأخرى»، أي مثال الخير.

«لكن كيف يمكننا الاستغرار في عالم المُثل والتوصل إلى المعرفة؟ في كتابه فيدروس، يشرح أفلاطون عملية سقوط النفس البشرية التي هوت إلى عالم المحسوسات - بعد أن عاشت في العالم العلوى - من خلال اتحادها مع الجسم.

لكن هذه النفس، وعن طريق تلمسها لذلك المحسوس، تصبح قادرة على دخول أعمق ذاتها لتكشف، كالذاكرة المنسية، الماهية الجلية التي سبق أن تأملتها في حياتها

الماضية: وهذه هي نظرية التذكُّر، التي يعبر عنها بشكل رئيسي في كتابه مينون، من خلال استجواب العبد الشاب وملحوظات سocrates الذي «توصل» لأن يجد في نفس ذلك العبد مبدأً هندسياً لم يتعلّمه هذا الأخير في حياته.

— يعني نفهم من الكلام دا إنه بيقول إن الروح كانت موجودة قبل الجسد، وإنها بتدور عليه، وبمجرد دخولها إلى الجسد تكتشف أعمق ذاتها.

— أيوة ياخ LOD، ودى اسمها «نظرية التذكُّر».

— تمام يادكتور.

— فيه أي تعليق يا جماعة؟

تنظر فرحة لرحمة وتبتسم، ثم ترسم شيئاً من الجدية على وجهها، فتنظر لخلود قائلة :

— كله تمام، انشرى ياخ LOD، أنا موافقة.

صحك كعابيس، فصحك الجميع.

— انشرى ياخ LOD، واكتبى في نهاية الموضوع إن الفيلسوف القاسم هو أرسطو.

— حاضر يادكتور.

## جوستاين جاردر

وصلت رسالة للدكتور كعابيش على الإيميل من الناشر، تفيد بأن القسط الثاني من مستحقاته قد تم تحويله على بنك مصر.

— دا أنا لسه ما كتبتش ولا كلمة، بس قريت الرواية مرتين، متعة يارحمة، كاتبها مؤلف عقري من النرويج، اسمه جوستاين جاردر.

— والناشر دا يعرفك منين يا عبد؟!

— يابنتى، الرواية دى بتتكلم عن تاريخ الفلسفة، وأنا رئيس قسم الفلسفة فى أهم جامعة فى الوطن العربى.

— كانت يا أبيه.

— كانت يارحمة.

قالها بتأثر وحزن.

— بس فيه نماذج تطمن الواحد على مستقبل البلد دى.

- قصدك خلود؟
- بنت رائعة، ساعات باحس إنها عندها أربعين سنة، مش عشرين.
- دا إعجاب دا ولا إيه بالظبط ياعبد؟
- انت دماغك راحت فين؟! خلاص أخوك راحت عليه، ٤٦ سنة يارحمة، وهى حوالى ٢٠، تيجى ازاى دى؟!
- شكلك بتفكر فى الموضوع وبتحسبة، شكلك بتحب علىّ يا عبد.
- وهى تضحك.
- خليني معاك، افرضي أنا فكرت.
- يعني فكرت؟
- أنا باقول افرضي، هى ممكن توافق؟ أو أهلها ممكن يتغاضوا عن فارق السن دا؟
- بتحبها ياعبد؟
- مش عارف.
- بس أنا عرفت، هى فعلاً ممتازة، ما قولتليش إزاى اتعرفت على الناشر دا؟
- أنا لقيته بيكلمنى على الموبايل، جاب نمرتى من الناشر

اللى بيطبع لي كتبى فى الجامعة، وقال لي إننا عندنا رواية مهمة جداً بتدور أحداثها حول تاريخ الفلسفة، وتم ترجمتها إلى اللغة العربية ترجمة أدبية من ناشر آخر، وعشان ينشرها هو لازم يتترجمها ترجمة جديدة خاصة بدار النشر بتاعتة، فوق الاختيار علىّ، لأنى مترجم إنجليزى / عربى، وفي نفس الوقت رئيس قسم الفلسفة، والرواية فلسفية.

— والترجمة الأولى أخبارها إيه؟

— أنا قريت الرواية باللغة الإنجليزية، ولسة العربى، بس تقريباً مش هاقرا العربى، عشان ما اتأثرش بيهما.

— ألف مبروك يا أبيه، وإن شاء الله ترجمتك تكون أفضل.

ونظرت نظرة خبث :

— والناثر دا بقى بيدفع بالدولار؟ دا الدولار دى الوقتوصل ل ١٣ جنيه.

— معقوله؟! مصائب قوم عند قوم فوائد، لما اتعاقدت مع الناثر من ست أشهر كان لستة ماوصلش ٩ جنيه.

— لازم تجيئ لي هدية من الزيادة دى، لاحسن أفضل أنق عليك لحد مايقعوا منك.

— دا المبلغ كله ألفين دولار، لا راحوا ولا جم.

— لا ياحببى، ماتحاولش تفلت، دا كان زمان، دى الوقت  
الدولار بقى ب١٣ وآخر الشهر هيبقى ب١٦ جنيه،  
يعنى على آخر السنة هيبقى ب١٠٠ جنيه، انت غنى  
ياعبدالحميد، انت غنى ياعبدالحميد.

قالتها بشكل كوميدى ساخر، وهى تضحك، فضحك  
كعابيش.

فى تمام الثامنة صباحاً، كان عبدالحميد كعابيش أول  
عميل فى البنك، سلم بطاقةه للصراف:

— تحويل من النرويج ٢٠٠٠ دولار.

— ٢٠٠٠ في ٨٣٥.

— هو إيه اللي ٨٣٥ يا أستاذ؟!

قالها كعابيش للصراف بغضب.

— دا سعر الدولار النهاردة.

— مين اللي قال لك إنى عاوز غيرهم؟ أنا عاوز فلوسى  
دولارات زى ما هي.

— التعليمات كدا.

— تعليمات إيه؟ هو إيه اللي انت بتقوله دا؟!

وارتفع صوت كعابيش، فخرج له مدير البنك، وطلب

منه أَن يهْدأ، واصطحبه إلى مكتبه كى يشرب معه الشاي،  
وقال له وهو يمسك ببطاقته الشخصية :

— اهدا يادكتور عبدالحميد، حضرتك من العلماء الكبار،  
ولازم تبقى هادى.

— أهدا ازاي يا افندم؟! واحد باعت لي دلارات، يبقى  
إزاي أخدتها جنيهات؟! إيه اللي يدخل البنك فى  
علاقتى بالناشر بتاعى؟

— دى ظروف بلدنا يادكتور، الإرهابيين بيلموا الدولارات،  
واحنا لازم نحافظ عليها.

— بالإرهاب برضه؟!

— إرهاب؟!

— طبعاً، المنع والقهر والتدخل فى شئون الناس، هو دا  
الإرهاب اللي لازم نحاربه، من فضلك ادينى فلوسى  
دولارات زى ماھى، من فضلك.

رضاخ مدير البنك أمام إصرار كعابيش فأعطى له المبلغ  
أخذ كعابيش يعد المبلغ قائلاً :

— منك لله يارحمة، انت اللي قريتى علىّ.

## علم الجوهر

وما إن دخل كعابيش البيت إلا وقد تصارعت في رأسه فكرتان، الأولى أن يبدأ في ترجمة الرواية التي أخذ قسطها الثاني ولم يفعل شيئاً سوى قراءتها مرتين بالإنجليزية، ولكنه لم يكتب حرفًا واحدًا، والفكرة الثانية هي أن يكتب عن الشخصية الفلسفية الجديدة حتى تلتزم أسرة أفكار فلسفية بوعدها للأعضاء. دخل المطبخ وصب كوبًا من الشاي وهو يفكر، ماذا يفعل؟ دخل غرفة المكتب، وجلس على مكتبه وأمسك بالقلم، وقرر أن يكتب عن أرسطو: أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢) قبل الميلاد.

فيلسوف يوناني قديم، كان أحد تلاميذ أفلاطون، ومعلم الإسكندر الأكبر، كتب في مواضيع متعددة تشمل الفيزياء، والشعر، والمنطق، والأحياء، وأشكال الحكم.

ولد أرسطو (أرسطاطاليس / أرسطوطاليس) في عام ٣٨٤ ق.م. وعاش حتى ٣٢٢ ق.م. في ستاجرا، وهي مستعمرة يونانية ، و كان أبوه نيقوماخوس طبيب بلاط الملك مينتسا المقدوني،

ومن هنا جاء ارتباط أرسطو الشديد ببلاد مقدونيا، الذي أثر إلى حد كبير في حياته ومصيره فكان مربى الإسكندر.

لقد دخل أكاديمية أفلاطون للدراسة فيها وبقي فيها عشرين عاماً، كان من أعظم فلاسفة عصره، وأكثرهم علمًا ومعرفة، ويقدر ما أصدر من كتابات بـ ٤٠٠ مؤلف ما بين كتاب وفصول صغيرة، عرف بالعلمية والواقعية.

يعرف أرسطو الفلسفة بمصطلحات الجوادر، فيعرفها قائلاً إنها علم الجوهر الكلى لكل ما هو واقعى، فى حين يحدد أفلاطون الفلسفة بأنها عالم الأفكار، قاصداً بالفكرة الأساس اللا شرطى للظاهره.

بالرغم من هذا الاختلاف فإن كلاً من المعلم والتلميذ يدرسان مواضيع الفلسفة من حيث علاقتها بالكلى، فأرسطو يجد الكلى فى الأشياء الواقعية الموجودة، فى حين يجد أفلاطون الكلى مستقلاً بعيداً عن الأشياء المادية، وعلاقة الكلى بالظواهر والأشياء المادية هى علاقة المثال والتطبيق.

الطريقة الفلسفية عند أرسطو كانت تعنى الصعود من دراسة الظواهر الطبيعية وصولاً إلى تحديد الكلى وتعريفه، أما عند أفلاطون فكانت تبدأ من الأفكار والمثل لتنزل بعد ذلك إلى تمثيلات الأفكار وتطبيقاتها على أرض الواقع.

— فين هديتى يامترجم ياعظيم؟

- يابنتى مش تقولى حاجة، السلام عليكم، مساء الخير، إحم، دستور، أى حاجة، خضيتنى ياجنية.
- ما تفكرش تهرب.
- إيه دى، قصيدة جديدة؟
- انت عارف إن أختك متعددة المواهب، الشعر دا يادوب حاجة من اهتماماتى.
- لازم تقرى كتاب الشعر لأرسطو، على فكرة هو شخصية الأسبوع دا فى أسرة أفكار فلسفية.
- ماليش دعوة بالكلام دا كله، أنا عاوزة الهدية بتاعتي.
- حاضر، بس سبينى من فضلك أكمل اللي فى إيدي.
- ماشى ياُعبد.

وما إن خرجت حتى بدأ يكتب :

إذا ما انتقل أرسطو إلى دراسة الإنسان نفسه أصبح ميتافيزيقياً أكثر منه عالماً طبيعياً. ولسنا ندرى هل منشأ هذا التحول هو تقواه الشديدة أو احترامه لآراء بنى الإنسان. وهو يعرف النفس (Psyche) أو العنصر الحيوى بأنه «الدافع الداخلى الأول في الكائن العضوى «أى الصورة الفطرية المقدرة لهذا الكائن والتى تدفع نماءه وتحدد اتجاهه». ولن يست النفس شيئاً يأتى إلى الجسم من خارجه أو يسكن

فيه، بل هي موجودة معه في كل جزء من أجزائه، أي أنها هي الجسم نفسه من حيث «قدرتها على تغذية نفسه وتنميته وانحلاله»؛ فهي جميع وظائف الكائن العضوي، وهي للجسم كقوة الإبصار للعين، بيد أن هذه الناحية الوظيفية ناحية أساسية، فالوظائف هي التي توجد التراكيب والرغبات هي التي تشكل الأعضاء، والنفس هي التي تكون الجسم: «فال أجسام الطبيعية كلها أعضاء للنفس».

والنفس ثلات درجات: نامية، وحاسة، وناطقة.

فالنبات يشترك مع الإنسان والحيوان في النفس النامية – أي في قدرته على تغذية نفسه وعلى النماء الداخلي – وللحيوان والإنسان، فضلاً عن هذه النفس، نفس حاسة – أي قدرة الإحساس – وللحيوانات الراقية والإنسان نفس «منفعة عاقلة»، أي قدرة على الأشكال البسيطة البدائية من الذكاء، والإنسان وحده هو الذي له نفس «فاعلة عاقلة»، أي قدرة على التعميم والابتكار، وهذه النفس الأخيرة جزء أو انبعاث من قوة الكون الخالقة العاقلة وهي الله، وهي بهذا الوصف لا تموت.

ولكن هذا الخلود غير شخصي، أي أن الذي يبقى هو القوة لا الشخصية؛ والفرد مركب من المواهب النامية والحسنة والعاقلة؛ وهو لا يصل إلى الخلود إلا نسبياً؛ وذلك عن طريق التوالي، وبطريقة غير شخصية عن طريق الموت.

والله هو «صورة» العالم أو «حقيقة» الفعلية «أى طبيعته الفطرية، ووظائفه، وأغراضه، كما أن الروح هي «صورة» الجسم.

رنين الموبايل يكسر هدوء المكتب، ويقتحم استغراق  
كعابيش فى الكتابة عن أرسطو.

— مساء الخير يادكتور.

— مساء النور يا أستاذ فاروق.

— رحت البنڭ النهاردة؟

— تمام، وصرفت، كله تمام، الحمد لله.

— والنېي، شد حيلك مع الجماعة فى النرويج، عشان  
مكلفينى استعجلك.

— حاضر، إن شاء الله خلال شهرين بالكتير هاكون خلصت  
ترجمة الرواية.

— لأ، شهرين كتير قوى، قل خمستاشر يوم يادكتور.

— شهرين يادوب يا أستاذ فاروق، دى رواية كبيرة.

— عموماً، أنا هابلغهم، وربنا يسهل، سلام يادكتور.

وما إن أنهى المكالمة، حتى عاد لأرسطو.

والعلل كلها ترتد آخر الأمر إلى العلة الأولى التي لا علة  
لها، كما تُرد كل الحركات إلى المحرك الأول الذي لا محرك

له؛ ولا بد لنا أن نفترض وجود أصل أو مبدأ لما في العالم من حركة أو قوة، وهذا الأصل هو الله.

وكما أن الله هو الحركة كلها ومصدرها، فهو كذلك كل غaiات الطبيعة وهدفها، فهو العلة الآخرة والأولى.

إنما لنرى الأشياء في كل مكان تتحرك نحو غaiات معينة: فالأسنان الأمامية تنمو حادة لقطع الطعام، والأضراس تنموا مستوية لتطحنه، والجفن يطرف ليقى العين، والحدقة تتسع في الظلام لتدخل قدرًا كبيراً من الضوء، والشجرة تمد جذورها في الأرض، وغضونها نحو الشمس.

وكما أن الشجرة تجذبها طبيعتها الفطرية وقتها وأغراضها نحو الضوء، فكذلك العالم ينجذب بطبيعته الفطرية وقوته وأغراضه، وهذه كلها هي الله.

وليس الله هو خالق العالم المادي، ولكنه صورته المنشطة، وهو لا يحركه من خلفه ولكنه هو الموجه له من الداخل أو هدفه، يحركه كما يحرك الحب الحبيب، ويقول أرسطو أخيراً إن الله فكر خالص، وروح عاقل، يتبدى في الصور السرمدية التي تكون جوهر العالم والله في وقت واحد.

وغایة الفن، كغاية الميتافيزيقيا، هي القبض على الصورة الجوهرية للأشياء، وهو تقليد أو تمثيل للحياة، ولكنه ليس نسخة آلية لها؛ والذى تقلده هو روح المادة لا جسم المادة ولا المادة نفسها؛ وعن طريق هذه البصيرة أو عكس هذا الجوهر

كما تعكس المرأة الجسم قد يبدو الشيء القبيح جميلاً.  
والجمال هو الوحيدة، هو تعاون الأجزاء وتماثلها في الكل.

وتكون هذه الوحيدة في المسرحية وحدة العمل قبل كل شيء؛ ولذلك يجب أن يكون أعظم ما تهتم به المسرحية عملاً واحداً، وأن يكون الغرض الوحيد مما فيها من أعمال أخرى هو أن ترقى بهذه القصة الرئيسية أو توضحها.

وإذا أريد أن يكون العمل الفني غاية في الروعة والجودة  
وجب أن يكون موضوعه متسمًا بالنبل أو البطولة.

ويقول أرسطو في تفسيره الشهير للمأساة: «المأساة تمثيل موضوع في البطولة، كامل متسع إلى حد ما، بلغة تزدان بكل أنواع المحسنات... فهى تمثل رجالاً يعملون ولا تعمد إلى القصص، ثم تستعين بالرحمة والخوف لتخفف من وقع هذه العواطف وغيرها». والمأساة تستثير أعماق عواطفنا ثم تهدئها بخاتمتها المسكنة، ويدرك ذلك تعرض علينا تعبيراً عن العواطف لا ضرر فيه ولكنه ينفذ إلى أعماق النفس، ولو لا هذا التعبير لتجمعت العواطف فصارت عصابة أو عنفاً، فهى تظهر لنا من الآلام والأحزان ما هو أكثر رهبة من آلامنا وأحزاننا، وتعيدها إلى بيونا مبرئين مطهرين.

وقصارى القول إن ثمة لذة في تأمل عمل من أعمال الفن الحقيقة، ومن الشواهد الدالة على رقى الحضارة أن تقدم للروح أعمالاً خلقة بهذا التأمل، ذلك بأن «الطبيعة لا

تطلب إلينا أن نشغل أوقاتنا بالأعمال الطيبة فحسب، بل تتطلب فوق ذلك أن نكون قادرين على أن نستمتع بفراغنا.

بينما كعابيش مستغرق في الكتابة، دخلت رحمة المكتب.

— خلود باعته لك رسالة على الفيس بوك، بتقول لك لازم نتكلم عن فلاسفة مسلمين وعرب، ونأجل أرسيلو.

— هي فين الرسالة دي؟

تحضر التاب وتطلعه عليها.

أخذ كعابيش يكتب لخلود رسالة على الفيس بوك :

«على القيادة دائماً أن تخطط وتأخذ القرار وتحمل نتائجه دون اللتفات للثرة، فالمنهج العلمي يستوجب أن ندرس الفلسفة بتطورها من القديم إلى الحديث، وبما أنهم مشتاقون للفلاسفة العرب، فإننا سنجعل دائماً أهم فقرات الحفل في أواخره، حتى لا ينفض عن الجمهور.

— فعلاً يادكتور معاك حق، حضرتك خلصت أرسيلو؟

— كلها نص ساعة، ويكون عندك على الإيميل.

يعود كعابيش للكتابة متسائلاً :

فما هي الحياة الطيبة إذن؟

يجيب أرسطو عن هذا السؤال ببساطة وصراحة فيقول إنها الحياة السعيدة؛ وهو لا يريد أن يبحث في كتاب الأخلاق (كما يبحث أفلاطون) كيف يجعل الناس أخياراً، بل يريد أن يبحث كيف يجعلهم سعداء! وهو يرى أن غير السعادة من الأغراض لا يسعى إليها ذاتها بل هي وسيلة لغاية، أما السعادة فهي وحدها التي تُبتغى ذاتها.

وثمة بعض أشياء لابد منها للحصول على السعادة الباقية وهي : المولد الطيب ، والصحة الجيدة ، والوجه الجميل ، والحظ الطيب ، والسمعة الحسنة ، والأصدقاء الأوفياء ، والمآل الوفير ، والصلاح .

«وليس في وسع إنسان أن يكون سعيداً إذا كان دميم الخلقة».

«أما الذين يقولون إن الذي تحل به كارثة شديدة، يكون سعيداً بشرط أن يكون صالحًا فقولهم هراء». .

وينقل أرسطو بصراحة يندر وجودها في الفلسفة، جواب سمنيدس لزوجة هيرن إذ سألهما أيهما أفضل الحكم أو الغنى فقال:

«الغني، لأن نرى الحكماء يقضون أوقاتهم على أبواب الأغنياء».

لكن الثروة وسيلة لا أكثر، فهي في حد ذاتها لا ترضي غير البخيل؛ وإذ كانت الثروة نسبية فإنها لا ترضي إنساناً زمناً طويلاً.

وسر السعادة هو العمل، أى بذل الجهد بطريقة تتفق مع طبيعة الإنسان وظروفه.

والفضيلة حكمة عملية، وهى تقدير الإنسان بعقله لما فيه من خير، وهى فى العادة وسط بين نقىضين؛ والإنسان فى حاجة إلى الذكاء لمعرفة هذا الوسط، وإلى ضبط النفس (إنكرياتيا) أو القوة الداخلية لمارستها.

ويقول أرسطو فى جملة من جمله النموذجية :

إن «الذى يغضب مما وممى ينبغى أن يغضب منه، ويغضب فوق ذلك بالطريقة الحقة وفي الوقت المناسب للغضب، ويطول غضبه الزمن الملائم، إن هذا الرجل خليق بالثناء».

وليس الفضيلة عملاً، بل هي تعود عمل الصواب، ولا بد أن تفرض في أول الأمر بالتدريب والتهذيب، لأن الشبان لا يستطيعون أن يحكموا في مثل هذه الأمور حكماً صادقاً حكيمًا، فإذا مضى بعض الوقت فإن ما كان من قبل نتيجة الإرغام يصبح عادة أى «طبيعة ثانية»، ويقاد ببعث من اللذة ما تبعه الشهوة.

ويختتم أرسطو هذا البحث خاتمة تناقض -أشد التناقض- ما بدأ به وهو قوله إن السعادة في العمل، وإن أحسن حياة هي حياة الفكر، ذلك أن الفكر في رأيه هو الدليل على ما انفرد به الإنسان من تفوق وامتياز، وأن «العمل الخالق بالإنسان هو أن تعمل نفسه بالاتفاق مع عقله»، وأسعد

الناس حظاً هو الذى يجمع بين قدر من الرخاء وقدر من العلم، أو البحث أو التفكير، فهذا الرجل هو أقرب الناس إلى الآلهة»، والذين يرغبون في اللذة المستقلة يجب أن يطلبواها في الفلسفة، لأن غيرها من اللذات يحتاج إلى معونة الإنسان.

وما إن انتهى كعابيش من كتابته حول أرسسطو حتى أرسل الإيميل إلى خلود.

«الفاضلة خلود.

مساء العلم والفلسفة.

أشكر لك جهودك المضني، وسهرك على نجاح مشروعنا الثقافي، وأتمنى لك مزيداً من الألق والرقى.

مرفق مع الرسالة ملف للنشر يوم الخميس القادم في أسرة أفكار فلسفية بعنوان «أرسسطو».

— ملحوظة :

الصور التي نشرتها مع أفلاطون كانت رائعة، ياحبذا لو نشرت مثلها لأرسسطو مع التنويه عن شخصية الأسبوع القادم، الفيلسوف ديكارت.

— تقبلى تحياتى واحترامى.

كعابيش

## سماح

فى شارع السكة بمنطقة بولاق الدكror تعيش سماح التى تحفظ عدد الحصى المنتشر فى الشارع لأنه موضع نظرها، فهى دائماً حين تمشى لا تلتفت يميناً أو يساراً، كبرت فجأة، حين فاجأت الجيران بخمارها الذى حرمهم من ضفيرتى البراءة اللتين كانت تطلقهما خلف ظهرها، سيرة طيبة، أب صالح وأم جعلت كل سيدات المنطقة حالات سماح، ومع أنها وحيدة والديها، فكل سكان المنطقة يتمنون لو أن لهم أختاً كسامح.

فور نجاحها فى الإعدادية بمجموع كبير التحقت بمدرسة جمال عبدالناصر الثانوية، ولم تستطع سماح الخجول أن تتعرف على زميلاتها وتكون صداقات حتى دخلت خلود حياتها.

— بلاش تصورى الملازم هنا، دول حرامية يا بنتى.

— أمال أصورهم فين؟

— هاتيهم، وأنا أصورهم لك عندنا، الورقة هنا بـ ٢٥ قرش، وعندينا فى بين السريات بـ ١٠ قروش.

— قصاد الجامعة؟

— أيوه، احنا عندنا سنتر تصوير وتجليد وطباعة.

— أنا متشكرة قوى.

— خلود.

— أه طبعاً، أنا عارفاكِ ياخلود، أشطر واحدة في الفصل،  
وماسكة الرحلات والإذاعة وجماعة الخطابة، وكل  
حاجة تقريباً.

تضحك..

— ما انت بتعربني تضحكى أهوا؟!

— أنا باتكسف بس، لكن باحب الضحك وكل حاجة.

— بقالك شهرين في المدرسة ولسه ما اتعرفتيش على أى حد؟!

— مش مهم، أنا باحب أكون في حالى، ما علهش أنا  
هاسيبيكِ دى الوقت عشان أصلى الضهر في جامع المدرسة.

— وتسبيبيني ليه؟! وهى تضحك، ما انا كمان هاجى  
أصلى معاكِ ياسماح، دا انت لقطة.

وهي تضحك.

وقتئذ شعرت سماح أن الله هو الذي أرسل إليها خلود  
لتكون صديقتها الوحيدة، فهى لا تملك القدرة على اقتحام

حياة الآخرين، ولا تسمح لأحد بأن يدخل حياتها بسهولة، فهى سعيدة بحياتها الهدئة ولا تتحمل الدخول فى مشاكل وحلها، فحياتها بسيطة جداً، وتريد أن تحافظ على هذه البساطة، تذاكر وتنجح لتصل إلى الجامعة، فتعمل أو تتزوج من رجل متدين يشبه أباها الذى يخاف عليها من الهواء الطائر، وهذا هو الحب عندها.

— أخوك بيضرب لك كلاكس يا خلود.

قالتها إحدى الزميلات فى الفصل، فلمعت عيناً سماح وابتسمت ابتسامة جميلة فحاولت إخفاءها:

— يلا يا سماح.

— ماشى، أنا جاهزة، يلا بینا.

كل يوم تراه فى سيارته البيضاء، بشياكته، وأخلاقه وإصراره على أن يصلها هى أولاً إلى البيت كل يوم، وهى ترفض على مدى ثلاثة سنوات، لم يكف عن العرض، وهى لم تقبل.

— فيها إيه ياسماح دا انت أختى وصاحبتكى وعمرو زى أخوك، وبعدين احنا التلاتة مع بعض فى العربية، هنوصلك ونرجع الحنة الصغيرة دى لبين السريات.

— مافيش داعى، أنا هانزل هنا على شارع السودان، واعدى المزلقان، شكرأً ياخلود.

وتلتفت عمرو:

— مش كفاية بنتعب الأستاذ عمرو معانا من سنة أولى،  
بقاله تلات سنين تعبان معاي، وزمانه زحق مني.

— لا أبداً ياسماح، انت بالنسبة لي زي خلود بالظبط.

أراد أن يجاملها فحطم أملها، فقد كان عمرو بالنسبة لها الإعصار الذي لم يأتي بعد، وهي تنتظره كل يوم، ولكنها لا يأتيها إلا ليلاً، في الأحلام، سماح البيضاء الجميلة التي عندما تصل إلى بيتها، وتلبس بيجامة البيت تبدو شهية، وإذا رأها رجل تسمر في مكانه، فهي جميلة جمالاً آمناً، ممحض بملابسها الواسعة التي تداري جسمها الرائع، النموذجي، وحمارها الطويل الذي يضرب فوق صدرها فيدارى النهددين العamerين بالدفء والحنان.

— على فكرة ياسماح، أنا حاسة إنك طالعة بمنظرين.

— نعم؟!

— أيوة انت فاكرة الأفلام القديمة؟ لما كان البطل يبقى طالع بمنظرين.

— أيوه، إسماعيل يس، جزر، قصدى أنا زي إسماعيل يس ياخلود، شكرًا ياستى.

— لا ياعبيطة، قصدى إن انت هنا فى البيت حاجة تانية  
خالص.

- والله ما فاهمة منك حاجة، قصدك إيه؟!
- حد قال لك انك جميلة جدا ياسماح؟!
- أنا عارفة، الحمد لله.
- وجسمك حلو قوى، وشعرك الحرير دا، فيه بنات نص جمالك وفاردين شعرهم ومبيينين جمالهم.
- إيه ياخلود؟! انت هتخرفى ولا إيه؟! حرام.
- حرام إيه ياعبيطة؟! هو أنا بأقول لك أقلعى، ولا البسى عريان لا سمح الله؟!
- أمال قصدك إيه؟
- طريقة لبسك دى بتخللى شكلك وحش.
- يتغير وجه سماح، ويبدو عليها الغضب.
- من غير زعل، انت حبيبتي، وأنا عاوزة مصلحتك.
- انت اتجننتِ أكيد.
- وتنظر إليها بغضب:
- انت عاوزانى أخلع الحجاب ياخلود؟
- لا طبعاً، تغييريه بس، بلاش حجاب السلفيين ده.
- هو فيه حجاب للسلفيين وحجاب لغير السلفيين؟!

قالت مستنكرة.

— تلبسى بنطلونات وحجاب ألوان ب DAL الأسود دا،  
والخمار الواسع قوى دا بتاع ستي وستك.

— أنا هالبس لجوزى إن شاء الله، ولغايةاليوم دا، ممنوع  
حد يشوف حاجة.

— يابنتى أنا بالبس حشمة وكل حاجة، زى ما انت  
شايفة.

— حشمة إزاي يعني؟ بنطلون وتنى شرت، وشعرك  
مكشوف، أنا عارفة انك طيبة، بس ما يصحش ياخلود.

— بصى ياحبيبى، يمكن لو أنا فى جمالك كنت عملت  
زيك، لكن احنا على قدنا وبنحاول.

وتضحك خلود، فتضحك سماح قائلة :

— هاتيجى تصلى معاى المغرب ولا لسة عندك كلام فارغ؟  
— لا أنا صليت ياكسلامة.

رغم أن خلود تحب سماح، وتحترمها إلى أبعد الحدود،  
وتتمنى أن تستمر صداقتها للأبد إلا أنها لم تتمنها أبداً  
زوجة لأخيها عمرو الذي لن يكون سعيداً معها لأنها

«عقد» وهي ت يريد لأخيها السعادة والهنا مع أنها متأكدة أن سماح تحبه جداً، وحبه يزيد في قلبها يوماً بعد يوم خلال أربع سنوات، فهي فتاة وتعرف معنى نظراتها إليه بمنتهى الحياء والأدب، لكن سطوة الحب جباره، ومن يستطيع مقاومتها لم يخلق بعد.

## بأحّبّك

قبل أن تفعل أى شئ فى يومها تتفقد خلود بريدها الإلكتروني ورسائل الفيس بوك، وهذه عادتها اليومية، ولكنها اليوم وجدت رسالة غريبة بين رسائل كلها تتعلق بما ينشر على صفحة أسرة أفكار فلسفية، وعن أعضاء جدد يرغبون فى الاشتراك فى الأسرة، وأصدقاء يمدحون، وأشخاص لا تعرفهم يشتمون بألفاظ تتراوح بين الجارحة والقذف، يعقوب عليها القانون، وفي خضم هذه الرسائل وجدت خلود رسالة من حساب اسمه أمير الحب تحتوى على كلمة واحدة «بأحّبّك» فابتسمت، ولكنها لم تهتم، فقامت بالرد على أسئلة الأعضاء جميعهم، إلا أمير الحب.

— ألو... صباح الخير يادكتور.

— صباح النور ياخلود.

— الرسائل معظمها بيتهكم وبيكول انتوا فى وادى واحنا فى وادى.

— مش فاهم، يقصدوا إيه؟

— طب إيه رأى حضرتك إننا نقول رأينا في كل القضايا  
اللى بتهم الناس بس باختصار شديد جداً وبعدين  
نعرض شخصية الأسبوع.

— موافق، اتفقنا، على فكرة أنا باكتب فى ديكارت،  
وبمجرد الانتهاء منه هابعته فورا.

— كلنا فى انتظار ديكارت.

### رينيه ديكارت

٣١ مارس ١٥٩٦ إلى ١١ فبراير ١٦٥٠

فيلسوف فرنسي ورياضي وعالم يعتبر من مؤسسى الفلسفة  
الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة.

يعتبر أهم وأغزر العلماء إنتاجاً في العصور الحديثة.

الكثير من الأفكار والفلسفات الغربية اللاحقة هي نتاج  
تفاعل مع كتاباته التي درست وتدرس من أيامه إلى أيامنا،  
لذلك يعتبر ديكارت أحد المفكرين الأساسيين، وأحد مفاتيح  
فهمنا للثورة العلمية والحضارة الحديثة في وقتنا هذا.

يُمجَد اسمه بذكره فيما يدعى هندسة ديكارتية التي  
يتم بها دراسة الأشكال الهندسية ضمن نظام إحداثيات  
ديكارتي ضمن نطاق الهندسة المستوية التي تدمجها مع  
الجبر.

يعارض ديكارت الكثير من أفكار أسلافه، ففى مقدمة عمله عاطفة الروح، يذهب بعيداً للتأكيد على أنه سيكتب فى هذا الموضوع حتى لو لم يكن أحد سبقه لطرح هذا الموضوع.

بالرغم من هذا فإن العديد من الأفكار توجد بذورها فى الأرسطية المتأخرة والرواقية فى القرن السادس عشر أو فى فكر أوغسطين.

يعارض ديكارت هذه المدرسة فى نقطتين أساسيتين :

أولاًً يرفض تقسيم الأجسام الطبيعية إلى مادة وصورة (شكل) كما تفعل معظم الفلسفات اليونانية.

ثانياً يرفض الغايات أو الأهداف – سواء كانت غايات ذات طبيعة إنسانية أو إلهية لتفسير الظواهر الطبيعية، أما فى الإلهيات فهو يدافع عن الحرية المطلقة لفعل الله أثناء الخلق.

المبابيل يرن، يبدو أنها رسالة، فهذه النغمة قد خصتها خلود للرسائل.

— باحبك.

قالت محدثة نفسها :

— هو مين اللي مش لاقى حاجة يتسللى بيهَا غيري ده؟!  
وانا هاشغل نفسى بالتفاهه دا وأسيب ديكارت؟!

وعادت تقرأ :

أَسْهُمْ دِيكارْت فِي الشَّكِ الْمُنْهَجِيِّ، وَاسْتَهْدَفَ فِي شَكِ  
الْوَصْولِ إِلَى الْيَقِينِ، وَأَسْبَابِ الشَّكِ لَدِيهِ أَنَّهُ يُلْزِمُ أَنْ نَضْعُ  
جَمِيعَ الْأَشْيَاءَ مَوْضِعَ الشَّكِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَيُبَرِّرُ الشَّكَ بِأَنَّهُ  
تَلَقَّى كَثِيرًا مِنَ الْآرَاءِ الْبَاطِلَةِ وَحَسْبِهَا صَحِيحَةٌ، فَكُلُّ مَا  
بَنَاهُ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنِ مِنْ مَبَادِئٍ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنْ قَلْةِ  
الْوَثُوقِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَشْكُوكًا فِيهِ، إِذْنَ يُلْزِمُ أَنْ نَقِيمَ شَيْئًا مُتَبَيِّنًا  
فِي الْعِلُومِ، أَنْ نَبْدأُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَنْ نَوْجِهَ النَّظَرَ  
إِلَى الْأَسْسِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْنَا الْبَنَاءُ، مَثَالٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْطَياتِ  
الخَاصَّةِ لِلْحَوَاسِ، فَالْحَوَاسِ تَخْدُنَا أَحْيَانًاً، وَالْأَفْضَلُ أَلَا  
نَثْقِبُ بِهَا، أَمَّا الْأَشْيَاءِ الْعَامَّةِ كَالْعَيْنِ وَالرَّؤُوسِ وَالْأَيْدِيِّ التَّيْ  
يُمْكِنُ أَنْ تَتَأَلَّفَ مِنْهَا الْخَيَالَاتِ فَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هِيَ نَفْسُهَا  
خَيَالِيَّةٌ مَحْضَةٌ.

أُولَى مَا نَذَكِرُهُ عَنْ دِيكارْتِ أَنَّهُ تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ عَلَى أَيْدِيِّ  
الْجَزْوَيْتِ، وَكَانَ هَذَا التَّعْلِيمُ نَقْطَةُ الْبَدَائِيَّةِ وَجَحْرُ الشَّحْدِ  
عِنْدَ كُلِّ الْهَرَاطِقَةِ الْفَرْنَسِيِّينِ، ابْتِدَاءً مِنْ دِيكارْتِ ثُمَّ فُولْتِيرِ،  
وَرِينَانَ وَأَنَاتُولَ فَرَانِسَ «بَيْنَ جَدَرَانِ الْمَعْبُدِ صَنَعْتُ الْمَعَاوِلَ  
الَّتِي تَحْطُمُ بِهَا الْمَعْبُدَ».

قَامَتْ خَلْوَدُ، وَقَرَرَتْ أَنْ تَعْرِفَ مِنَ الَّذِي يَرْسِلُ لَهَا  
الرَّسَائِلِ، فَاتَّصَلَتْ عَلَى الرَّقْمِ الَّذِي أُرْسَلَتْ مِنْهُ الرَّسَالَةُ  
فَوَجَدَتْهُ مَغْلُقًا، فَفَتَّحَتْ حَسَابَ الْفَيْسِ بُوكَ وَدَخَلَتْ صَفَحةَ

أمير الحب فوجدت أن الصفحة جديدة وليس لديه أصدقاء إلا ١٠ فقط، منهم فرحة ورحمة من الأصدقاء المشتركين.

فقالت محدثة نفسها :

— كدا أبقى عرفتك، أصبر على ياروميو لما أفضى لك.  
وعادت إلى ديكارت.

ولد ديكارت في لاهاي، وهي بلدة صغيرة بمنطقة التورين بفرنسا، وماتت أمه بالسل بعد ولادته بأيام قلائل، وورث عنها المرض.

وكان في صبا شاحب اللون، يصل عالاً يثير الإشراق، إلى حد أن الطبيب لم يبشر بأيأمل في إنقاذه، ولم تتخلى عنه المرضعة يائساً من بقائه على قيد الحياة، ولكنها أمدته بالدفء والغذاء من جسدها هي، فعاد إلى الحياة الثانية.

وربما سمي لهذا السبب، باسم رينيه (وهي لفظة مشتقة من أصل لاتيني بمعنى ولد من جديد).

وكان والده محامياً موسرًا، وعضوًا في برلان رن، وترك لابنه عند وفاته دخلاً يقدر بستة آلاف فرنك في العام.

وأول حق في سن الثامنة بكلية لافيش اليسوعية، التي يقول عنها أحد المفكرين الأحرار المتحمسين ومشاهير الرياضيين «يبدو أنها زودته بقدر من الرياضيات أعظم كثيراً

مما كان يمكن أن يحصل عليه في معظم الجامعات في ذلك العصر». وتبين معلموه ضعف جسمه ويقطة ذهنه فأبا حوا له البقاء في الفراش بعد الوقت المحدد للاستيقاظ، ولاحظوا أنه استغل الوقت في التهام الكتب، الواحد بعد الآخر، وفي كل جولاته في الميتافيزيقاً، ظل يحتفظ بإعجابه الشديد بأستاذته الجزوiet، كما أنهم بدورهم، نظروا إلى شكوكه بشيء من التسامح الأبوي.

وقصد في سن السابعة عشرة باريس ليلهو ويعبث، ولكنه لم يجد شيئاً ينغمس فيه، لأنه لم يكن يحفل النساء أو يميل إليهن، ولكنه بوصفه رياضياً ضليعاً، انصرف إلى الميسر، مقدراً أنه يستطيع الاستيلاء على خزانة نادي القمار. والتحق بجامعة بواتييه حيث حصل منها على درجات علمية في القانون المدني والقانون الكنسي.

وما إن استرد عافيته وقوته، حتى أذهل أصدقاءه، بانحرافاته في جيش الأمير موريس ناسو (١٦١٨) ولما نشببت حرب الثلاثين عاماً انضم إلى قوات مكسيمليان أمير بافاريا، وتذكر رواية غير مؤكدة أنه اشتراك في معركة «الجبل الأبيض».

— مساء الخير يا خلود.

— مساء النور يا بابا يا حبيبي.

- لسه موضوع البهائيين برضه.
- وهو ينظر على الالب توب ليطمئن على ابنته.
- لا ياحبيبي، أنا مسحت الموضوع دا من على الصفحة، هو موضوع الشيعة.
- خير ماعملتِ يابنتى....خلى بالك من نفسك، الكلام عن الأديان والعقائد يابنتى خطير جداً، ممكن يكلف الواحد حياته.
- ربنا يستر ياحبيبي، أنا باراجع موضوع فلسفى عن ديكارت حياته وفلسفته قبل ما انشره على الصفحة.
- هو مش الدكتور كعابيش هو اللي كاتبه؟
- أيوه طبعاً.
- خلاص يابنتى، هو عارف أكتر منك، معقوله هتراجعى ورا دكتور عظيم زى دا؟! انشرى على طول، واتوكلى على الله.
- بس هو اللي طلب منى كدا، يمكن قصده إنى استفيد وأعرف أرد على التعليقات.
- ربنا يوفقك ياحبيبتي. أخوك عمرو جه؟
- أيوه ياحبيبي جه، وكل، ونزل على طول.

— ربنا يهديه يابنتى ويصلح حاله، دا اللي حصل لاخوه  
عمره مايحصل لحد ولا حتى في الأفلام، الحمد لله  
انها جت لحد كدا.

— الحمد لله يابابا.

— أسيبك بقى مع ديكارت.

تركها والدها ودخل غرفته فعادت خلود ديكارت:

رأى ديكارت فيما يرى النائم في ثلاثة أحلام، ومضات من النور، وسمع رعداً، وبدا له أن روحه سماوية كانت توحى إليه بفلسفة جديدة. وبعد خروجه من «الموقد» (الغرفة) كان -كما يؤكّد لنا- قد صاغ الهندسة التحليلية، وتصور فكرة تطبيق المنهج الرياضي في الفلسفة.

ترك ديكارت فرنسا «بعد أن أُفصح عما لديه من أسباب للشك في أشياء كثيرة» وخشى أن يتهم بالهرطقة، مع أنه كان له أصدقاء كثيرون من رجال الكنيسة هناك، مثل مرسن وبيرول. وربما حاول أن يتتجنب الأصدقاء والأعداء على حد سواء، أملاً في أن يجد في بلد غريب عزلة اجتماعية (لا فكرية) يستطيع بها أن يشكل الفلسفة التي كانت تعتلّج بين جنبيه، لقد كره ضجيج باريس وثرثرتها، ولكن لم تقلقه الحركة النشطة التي تلطفها القنوات -في أمستردام.

وهو يقول: «هناك، وسط الجموع المكتظة من شعب عظيم نشيط، استطعت أن أعيش وحيداً منعزلاً، وكأنى فى صحراء نائية».

وربما كانت رغبته فى أن يتوارى عن الأنظار ويختفى اهتماماته هى التى دفعته إلى تغيير أماكن إقامته أربعاً وعشرين مرة فى السنوات العشرين التالية، من فرانكر إلى أمستردام إلى دنفتر، إلى أمستردام إلى أوترخت، ثم إلى ليدن، لكن بالقرب من جامعة أو مكتبة عادة.

ومكنته دخله من الاستمتاع بطيبات الحياة الاجتماعية فى قصر صغير مع عدد من الخدم. وامتنع عن الزواج ولكنه اتخذ خليلة (١٦٣٤) أنجبت له طفلة.

إنا لنسر إذ نسمع أن الروح الإنسانية تجلت فيه حين بكى الطفلة بعد موتها فى الخامسة من عمرها.

وقد نحا فى الصواب إذا ظنناه فاتراً لا تحركه الأحداث الدنيوية، ولسوف نجد أنه يبرر كثيراً من الأهواء والمشاعر التى يشجبها رجال الأخلاق عادة، وما كان هو نفسه ليتجزء منها، فهو عرضة للزهو والغضب والغرور.

الموبايل يرن..

— ادينى الحاج، لاحسن موبائله مقفل يا آنسة خلود.

- حاضر ياعم يوسف.
- بابا، عم يوسف عاوزك على الموبايل.
- قالتها بصوت عال لأنها تنادى والدها.
- أخذ والدها الموبايل:
- يعني أنا مش هاعرف أهرب منك يا يوسف؟!
- مافيش حاجة بتمشي من غير مشورتك يا حاج، ربنا يخليكلينا.
- إيه اللي حصل؟
- الورق زاد ٣٠ جنيه في الكرتونة.
- ياخبر اسود يعني من ١١٠ ل ١٤٠، دا خراب بيوت، انت متأكد، دا عمره مازاد أكثر من ٥ جنيه، دا كدا بيربكوا السوق، وبيوقفوا حال الناس.
- أنا مارضتش أجيب إلا لما أقول لك الأول.
- هات أقل كمية، بحيث السنتر مايوقفش، وأنا بكرة هاتصرف.
- هتعمل إيه يا حاج، دا رفع عند كل التجار، لأنه أندونيسي وبيستوردوه بالدولار، ومع ارتفاع الدولار بتزيد كل البضائع المستوردة.

— عندك حق، باقول لك إيه؟ زينا زى غيرنا، هات الكمية كلها، وارفع سعر الطباعة خلى الورقة بـ ٢٠ قرش بدل ١٦، اطبع ورقة وعلقها بالأسعار الجديدة، وبكدا يبقى الزبون هو اللي اتحمل الفرق.

— ماشي ياكبير.

أخذت خلود الموبايل من والدها، وتركته فى سريره لينام، وعادت لتقرأ ما كتبه الدكتور كعابيش عن ديكارت.

#### فلسفته:

فى «مقال فى النهج»، وهو الكتاب الفذ الذى يعتبر فاتحة عصر جديد، أعلن ديكارت عن أول مبدأ، كان يمكن فى حد ذاته، أن يقييم عليه الدنيا ويقعدها ويشير عليه غضب أولى الأمر، وهكذا كان. فقد كان الموضوع مكتوبًا فى لغة فرن西ية متميزة ميسرة، فى صيغة المتكلم الحية الساحرة.

لقد أحدث ثورة كبيرة فى التفكير، وقال ديكارت إنه كان سعيداً بنبذ كل النظريات والمبادئ والتعاليم، وطرح كل جهد ومرجع، وبوجه خاص الفيلسوف أرسسطو.

وأكيد أنه سيببدأ بصفحة جديدة خالية من أي شيء، ويشك فى كل شيء. «إن السبب الأساسى فى أخطائنا يكمن فى أهواه طفولتنا... فالمبادئ التى اعتنقتها فى شبابي، استمر على الأخذ بها دون أن أتحرى حقيقتها ومبلغ الصدق فيها».

ولكنه يمضي قدماً، إذ ساوره الشك في كل شيء.

ولما كان مولعاً بالرياضيات، وفوق كل شيء بالهندسة التي أبدت عبقريته على تحويلها، فقد تاقت نفسه، بعد ابتدائه بالشك الشامل إلى العثور على حقيقة يمكن التسليم بها على الفور بصفة عامة مثل بديهيات إقليدس.

«إن أرشميدس، لكي يتيسر له أن يزحزح الكرة الأرضية من مكانها وينقلها إلى مكان آخر، تطلب أن تكون هناك نقطة واحدة ثابتة لا تتحرك، وأنا بالمثل، سيكون لي الحق في أن أستبشر خيراً كثيراً إذا أسعدني الحظ، فأضع يدي على شيء واحد مؤكد لا نزاع فيه. (وأكيد على هذه النقطة متهلاً: «أنا أفكراً. فإذاً أنا موجود»).

وهي أشهر عبارة في الفلسفة، ولم يقصد بها أن تكون قياساً منطقياً، بل خبرة مباشرة لا سبيل لإنكارها، وهي أوضح وأجلـى فكرة يمكن أن نحصل عليها، وتكون سائـر الأفكار «صحيحة» على قدر اقترابها من هذه الـبدـهـيـة الأساسية – الإدراك الحـسىـ المـباـشـرـ، من حيثـ الجـلـاءـ والـوضـوحـ.

وكان «منهج» ديكارت الجديد في الفلسفة هو أن يحل الأفكار المركبة إلى مكوناتها، حتى تصبح العناصر غير القابلة للاختزال أفكاراً بسيطة واضحة جلية، ويبين أن مثل هذه الأفكار كلها يمكن أن تشتق من أو تعتمد على الشعور الأول لكائن يفكر.

إننا على العكس، يجدر بنا أن نحاول أن نستنتج من هذا الإدراك الحسى الأول كل المبادئ الأساسية في الفلسفة.

رسالة جديدة على الموبايل .

— باحبك.

قرأتها ثم قالت :

— انت واحد من أصدقاء رحمة أو واحد من أصدقاء فرحة، ودى حاجة بسيطة قوى، ولازم أجييك واعرفك.

فتحت صفحة فرحة فوجدت ٤٥٦٠ صديقاً.

— ياخبر دا كتير قوى.

فتحت صفحة رحمة فوجدت ٤٥٧ صديقاً.

— ماشى يارحمة معقول، بس روميو دا لازم يكون صديق مشترك بين رحمة وفرحة.

دخلت على الصفحة وبدأت في البحث فوجدت ١٧ فتاة و٢٣ شاباً مشتركين، فقالت، محدثة نفسها بصوت مسموع :

— كدا قربنا قوى، مين فيكم، يا حلويين طالب في الكلية معانا؟ وجدت ٦ طالب و١٧ من خارج الجامعة لا تعرف منهم إلا الدكتور كعابيش ومصطفى أخو فرحة.

طبعاً الدكتور كعابيش مستبعد هو ومصطفى، يبقى باقى

الـ٦، ها حطهم تحت المراقبة وأكيد هاوصل، عموما اللي  
النهارده بفلوس بكرة يبقى ببلاش.

وعادت ديكارت وبدأت تقرأ:

ومرة أخرى كانت ثورة في الفلسفة حين اتخذ ديكارت  
نقطة البداية، لا الأشياء الخارجية المفروض أنها معروفة بل  
الذات الوعية.

### المعرفة الإنسانية ومداها

ولدة ثلاثة قرون كانت الفلسفة تتساءل لقد اكتشفت  
فلسفة النهضة «الفرد»، ولكن ديكارت جعل منه همزة  
الوصل في فلسفته. «إني لأرى بوضوح أنه ليس ثمة شيء  
أيسر على أن أعرفه، من عقلي أنا».

وإذا بدأنا بالمادة، وسرنا قدماً عبر مستويات الحياة  
العضوية إلى الإنسان فإن الاتصال أو الترابط المنطقي قد  
يغرينا بتفسير العقل بأنه مادي. ولكننا لا ندرك المادة  
إلا عن طريق العقل وحده، والعقل فقط هو الذي يمكن  
معرفته أو إدراكه مباشرة (دون سلطة) وهنا تبدأ المثالية،  
لا بمعناها الأخلاقي، بل على أنها فلسفة تبدأ بالحقيقة  
المباشرة للأفكار، أكثر مما تبدأ بالأشياء التي تعرف عن  
طريق الأفكار «وليس ثمة تحقيق يمكن اقتراحه أجدى من  
تحقيق يحاول تحديد طبيعة مما إذا كان «العالم الخارجي»  
موجوداً إلا ك مجرد فكرة.

تركت خلود الغرفة وخرجت للشرفة ومعها الموبايل.

— بس أكيد رحمة هتبقى عارفة، أو ممكن فرحة، أنا  
أشك إذن أنا موجودة، لازم أوصل لك ياسى روميو،  
هما ٦ شبان، طب ليه أستبعد مصطفى؟! طب ليه  
استبعد عبدالحميد كعابيش؟! لازم أوسع دائرة الشك من  
أجل الوصول للحقيقة.

طلبت فرحة:

— ألو يا فرحة.

— أيوه ياحبيتى، مالك؟! منفعلة ليه كدا؟! لسه ولاد  
الذين بيعتوا لك رسائل شتيمة؟

— مش شتيمة بس.

— قصدك إيه؟

قصت عليها محدث وأعطتها الأسماء، وعرضت عليها  
شوكها.

— انت اتجننتِ؟! مصطفى أخوى مش بتاع الكلام دا  
حالص، دا بيخلص وبيجيب من الآخر، والدكتور  
كعابيش طبعاً مستحيل.

— طبعاً عندك حق، الظاهر ديكارت أثر على تفكيري،  
وخلانى أشك فى كل الناس اللي حوالى.

— أما بالنسبة للستة الثانيين، مافيش حاجة ضدهم، لأن  
أمير الحب دا صديقهم عادي.

— إزاي بقى؟!

— ما انت عارفة، احنا بنعمل دعاية عن الأسرة فبنقبل  
أى أصدقاء عشان نكتر العدد، وأغلبهم ما نعرفهمش  
خارج الفيس، عموماً سيبى لي الموضوع وأنا هاتصرف.

شعرت خلود بالراحة، فقررت ألا تتصل برحمة ففرحة  
 تستطيع وحدها حل هذه المشكلة، وعليها هي الآن أن  
 تنتهى من قراءة فلسفة ديكارت الأخلاقية، قبل النشر فى  
 صفحة أسرة أفكار فلسفية.

### فلسفة ديكارت الأخلاقية

وهرباً من سجن النفس «الأنانية» يلجاً ديكارت إلى الله  
 الذي لا يمكن بالقطع أن يجعل من كل حواسنا مجرد خدعة.

ولكن متى يدخل الله في هذا المنهج الذي بدأ في جرأة  
 بالشك في كل المعتقدات والمبادئ التي تلقاها الإنسان؟

إن ديكارت لا يستطيع إثبات وجود الله من شواهد بديع  
 صنعه في العالم الخارجي، وأنه لم يوضح بعد وجود هذا  
 العالم الخارجي.

ولذلك أخرج ديكارت «الله» من «النفس المدركة»، تماماً مثلما فعل آنسلم في «البرهان الوجودي» قبل ذلك بستة قرون.

وهو يقول: إن لدى تصوراً لكائن كامل مثالي قدير عليه، ضروري، خالد، ولكن هذا الذي يوجد أقرب إلى الكمال من هذا الذي لم يوجد، وعلى ذلك فإن الكائن الكامل المثالي يجب أن يكون الوجود من بين صفاتاته. ومن الذي كان يستطيع أن يثبت في هذه الفكرة إلا الله سبحانه وتعالى؟ «ومن المستحيل أن أحمل في نفسي فكرة الله، إذا لم يكن الله موجوداً حقاً».

وإذا كان الله يريد أن يخدعنا فلن يكون كاملاً، ومن ثم فإنه لا يضلانا عندما تكون لدينا أفكار واضحة جلية، ولا حين يتنيح لحواسنا أن تكشف لنا عن عالم خارجي.

«لست أدرى كيف يمكن الدفاع «عن الله سبحانه» أو تبرئته من تهمة الخداع والتضليل إذا كانت هذه الأفكار ناتجة عن أسباب غير متعلقة بأشياء جسدية مادية. ومن ثم يجب أن نقر بأن الأشياء الجسدية المادية موجودة».

ومن ثم تنسد بشكل رائع الهوة بين العقل والمادة، بين الذرات والموضوع ويصبح ديكارت، بعون من الله، واقعياً. والعلم نفسه-إيماننا الراسخ- أيكون منطقياً خاضعاً لنظام مطابع للقانون، يمكن التعرف عليه وإحصاء ما فيه-يصبح

أمراً ممكناً، لا لشيء إلا لأن الله موجود، وحاشا الله أن يكذب.  
وما إن انتهت خلود من قراءة الموضوع، حتى قامت  
بالنشر فلعل الدكتور كعابيش.

— أشكر المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية خلود الشرقاوى  
على هذا الموضوع الهام، وأنا سأرد بنفسى على كل  
الاستفسارات، وأزيل أى غموض يخص فلسفة ديكارت،  
فجاء رد التعليق من أعضاء الأسرة.

— كل الشكر والتقدير لأستاذنا الدكتور عبدالحميد كعابيش.

## ممنوع من الصرف

استيقظ كعابيش فلم يجد أحداً في البيت، والحائط مازال يحمل نفس الساعة التي تعلن الثامنة صباحاً، فهى اعتادت أن تدق في هذا الموعد يومياً، وهو اعتاد أن يستيقظ في هذا الموعد. قام من فراشه عازماً أن يبدأ اليوم في ترجمة الرواية، فقد حصل على قسطين من الناشر ولم يكتب حرفاً واحداً، والفرصة اليوم لن تعوض، فرhma قد أخذت والدتها لمول العرب لتشترى لها ملابس جديدة من النقود التي أعطاها لها من الدفعه الثانية التي أرسلها الناشر، والجو مناسب للكتابة.

دخل غرفة مكتبه، وهى تشبه مربعاً كبيراً متساوياً الأضلاع، حوائطه تحمل تاريخاً حافلاً بصور والده وهو يخلف اليدين وزيراً للصحة، وصورة له وهو يتسلم العديد من الجوائز، صورة أخرى على الجانب الآخر عزيزة على قلبه وهو يناقش الدكتورة، وجلس في مكانه الذى يحب أن يكتب فيه، فوق المكتب كتب ومجلدات بلغاته الأربعه التي يتقنها، وخلفه مكتبة عامرة بنفائس الكتب.

و قبل أن يفتح أوراق الرواية تبادر إلى ذهنه أن يقرأ الترجمة العربية السابقة، فهو قد قرأ الرواية مرتين، ولكن بالإنجليزية، أخذ الرواية وبدأ يقرأ فأخذته الرواية إلى عالم تمنى أن يعيش فيه ولو ليومن واحد، ولم يرجعه من رحلته إلا أذان صلاة الجمعة، فقام ولبس جلبابه الأبيض وخرج إلى المسجد وصلى، وما إن عاد إلى المنزل حتى دخل مكتبه ليسكن في رواية جوستين جاردر التي لم يتركها حتى انتهى من قرايتها سعيداً، مستمتعاً، مقرراً لا يترجم هذه الرواية لأن ترجمتها الحالية راقية، وهو لن يقدم أجمل مما قدمه المترجم السابق.

— ألو مساء الخير يا أستاذ فاروق.

— مساء النور يادكتور.

— ياريت تبلغ الناشر في النرويج اعتذاري، ونصيحتي.

— خير، إيه اللي حصل يادكتور كعابيش، حد زعلك؟

— لأ، أبداً، الرواية جميلة جداً، وأنا بانصحكم إنكم تتعاقدوا مع نفس المترجم وتنشروها زي ما هي كدا، وأنا مستعد أرجع القسطين، ٤٠٠٠ دولار.

— عموماً، أنا هابلغهم، وأرد على حضرتك.

أراح كعابيش ضميره، وفعل ما يعتقد أنه صحيح، ولكن عليه الآن تحضير المبلغ.

خرج كما هو بملابس الصلاة وذهب إلى الصرافة، فـى  
الشارع الذى يسكن فيه :

- مساء الخير يا أستاذ طه.
- مساء الخير يا دكتور.
- عاوز ٤٠٠٠ دولار.
- ربنا يتقبل إن شاء الله، حج ولا عمرة؟
- ولا حج ولا عمرة، دا دين علىّ كنت أخذته بالدولار  
ولازم أرجعه بالدولار.
- الموضوع دا صعب جداً يادكتور، لازم يكون معاك تأشيرة،  
وچواز سفر عشان تاخـد الدولارات من البنك.

قال متعجبـاً من ردـه :

- أنا مش عاوز من البنك ، أنا عاوز من عندك هنا ، فـى  
الصرافة ، أقول لك؟ رجع لي الـ ٢٠٠٠ دولار اللي اديتهم  
لـك أول أمبارح بـ ١٢ جنيه.
- دا كلام يادكتور؟ ! احنا بنشتري الدولار بـس.
- يعني إيه ما عندـيـش دولـارات ، أمال صـرافـة إـزاـي؟ !
- غضـبـ كـعـابـيـشـ ، وـقـرـرـ أنـ يـنـتـظـرـ إـلـىـ يـوـمـ الأـحـدـ ليـذـهـبـ إـلـىـ  
الـبـنـكـ ويـحاـوـلـ الحـصـولـ عـلـىـ المـبـلـغـ.

- ألو، انت فين ياما، الساعة بقت ستة؟!
- رحمة هلكتنى، مش عاجبها أى حاجة، ضيعنا اليوم على الفاضى — احنا راجعين يا عبدالحميد فى الطريق يا حببى.
- تيجوا بالسلامة.
- أخذت رحمة الموباييل من والدتها.
- شكلك مش مسامح فى الفلوس دى يا أبيه، مش لاقية حاجة خالص، والفلوس محجرة، مش عاوزة تتصرف.
- إيه اللي وداك فى آخر الدنيا؟! المهندسين مليانة محلات، وأرخص من مول العرب دا.
- احنا جايين فى الطريق، أهو، أوعى تتغدى من غيرنا يا عبد.
- طب بسرعة يارحمة، مع السلامة.

عاد كعابيش إلى مكتبه، وبدأ يكتب عن شخصية الأسبوع في أسرة أفكار فلسفية، فقد تفرغ للأسرة بعد اعتذر عن ترجمة رواية جوستاين جاردر.

### **أعظم فلاسفة العصر الحديث**

ولد إمانويل كانط في كونيجزبرج (٢٢ أبريل ١٧٢٤) النائية عن فرنسا، المولعة بالوضوح والمعتمة بباب البحر، وقد برز في المجالات التالية : فيزياء فلكية، رياضيات، جغرافية، علم الإنسان.

وهو أحد أكثر المفكرين المؤثرين في المجتمع الغربي والأوروبي الحديث، والفيلسوف الرئيسي الأخير لعصر التنوير.

عرف كانتنير على أنه عصر تشكل تحت شعار «الجراة من أجل المعرفة» مما نمى نمطاً من التفكير الداخلي خالياً من قواعد السلطة الخارجية.

كان لكانط تأثير حاسم على الرومانسية والمثالية فلسفات القرن التاسع عشر.... كما شكل عمله نقطة بداية لفلسفه القرن العشرين.

وقد نشأت الأسرة كلها على مذهب التقويين ، الذي كان كالوثوية الإنجليزية يشدد على الإيمان والتوبة والاتجاه رأساً إلى الله ، بعكس العبادة اللوثيرية التقليدية في الكنيسة بقسيس وسيط.

### الفيلسوف والموقف من السياسة

كانط هو أحد رموز التنوير الكبار، وفي عصر الملك فرديريك الثاني (١٧٤٠ - ٦٨٧١) ازدهرت أفكار التنوير، وأثرت الفلسفة الكانتية في أوساط المفكرين والأدباء وبعض الأوساط في إدارة الدولة، لأن هذا الملك كان مشجعاً للعلم والثقافة وحرية الرأي.

ولكن عندما تولى فرديريك فلهلم الثاني، العرش في برلين (١٧٨٦ - ٧٩٧١) بدأت حملة ضد التنوير وحرية

الفكر، وانتشرت الرقابة في أرجاء المملكة، وكان كانط أبرز من استهدفهم هذه الحملة، وصدر مرسوم ملكي يمنعه من الاستمرار في الكتابة والنشر (١٧٩١)، لكنه لم يتوقف عن الكتابة ووصل الأمر بالناشرين إلى رفع التماس إلى الملك. ولما نشر كانط كتابه «الدين في حدود العقل فقط» سنة ١٧٩٣ صدر قرار من مجلس الوزراء مخاطباً الفيلسوف «إنك لا بد تدرك كم أنت مسؤول بوصفك معلماً للشباب وأمام واجباتنا وأغراضنا الوطنية المعروفة جداً».

الموبايل يرن.

— ألو، مساء الخير يادكتور.

— مساء النور ياخلود.

— أنا آسفة حضرتك، بس الرسائل زادت، والاتهامات زادت، والأعضاء بيقولوا إن احنا في وادي، والناس في وادي.

— لا، أبداً، احنا مع الناس وبنحرضهم على التفكير، لو تعرفي أنا باكتب إيه دى الوقت للنشر في أسرة أفكار فلسفية.

— إيه يادكتور؟

— كانط، احنا دورنا نخليهم يفكروا، أنا هابعت لك الموضوع بعد ما يخلص، وهتعرفي إن أفكار كانط كان ليها دور كبير في الثورة الفرنسية، الأفكار ياخلود هي اللي ممكن تحل مشاكلنا كلها.

- وحضرتك قدامك قد إيه؟
- نص ساعة بالكتير.
- طيب ممكن استأذن حضرتك أنشر على طول، وبعدين  
أقرا مع الأعضاء؟
- لا طبعاً، لازم تقرى الأول وبعدين تنشرى.
- حاضر، بس كان عندي مشوار.
- خمس دقائق قراءة مش كتير ياخلود.
- تمام يادكتور.

عاد كعببيش للكتابة :

### **كانط والثورة الفرنسية**

بدأت الثورة الفرنسية (١٧٨٩) وكانط في أوجه الفلسفى، وكان موقفه منها معبراً عن حقيقة تقييمه للأحداث السياسية في عصره، واشتد حماسه لها قناعة بمبادئها (الحرية والإخاء والمساواة) رغم أن حماسه قد فتر مع التحولات الدموية التي جرت الثورة نفسها إليها وراح تأكل بنائها. إلا أن كانط بقى وفياً للقيم، كان مؤمناً بها مع فلاسفة الثورة فولتير وروسو وديدررو، وكان متواصلاً معهم بشكل كبير.

كتب كانط عن الثورة الفرنسية يقول: «مثل هذه الظاهرة لا يمكن أن تنسى، إذ هي كشفت في الطبيعة الإنسانية عن

استعداد للعمل لما هو أفضل، لأن هذا الحادث هو من العظمة ومن الارتباط الوثيق بمصالح الإنسانية ومن سعة التأثير في العالم بكل أجزائه، إلى حد أنه ينبغي أن تذكر به الشعوب في الظروف المناسبة، وعند المحاولات الجديدة من هذا النوع».

### نهاية الرحلة واستمرار الفلسفة

في ٨ أكتوبر ١٨٠٣ أصابت كانط نوبة قلبية فلازم الفراش طيلة أربعة أيام ثم نهض وكان يتناول الطعام مع زائره، لكن قوته بدأت تتلاشى، وفي الساعة العاشرة من صباح ١٢ فبراير ١٨٠٤ سمعه أحد تلامذته يهمس بأخر كلماته «حسن» وأغمض عينيه.

يقول مرافقه: «كان موته توقفاً للحياة، لا فعلاً عنيناً للطبيعة» وودعت مدينة وجامعة كونيغسبرغ فيلسوفها في مأتم مهيب، ودفن في «قبو الأساتذة» في مقبرة الجامعة دون أية مراسم دينية، وبعد أن نقل رفاته مراراً بسبب تقلب الأحوال، أنشئ له ضريح في سنة ١٩٢٤ بمناسبة الذكرى المئوية الثانية ليلاده ونقشت عليه العبارة الشهيرة من خاتمة كتابه «نقد العقل العملي»: «شينان يملآن الوجدان بإجلال وإعجاب يتجددان ويزدادان على الدوام كلما أمعن التأمل فيهما: السماء ذات النجوم من فوقى والقانون الأخلاقى في صدرى».

يقول ديورانت عن كانط «هذا الفيلسوف الضئيل الحجم الذى لم يتجاوز الخمسة أقدام فى طوله، والذى امتاز بالاعتدال والانطواء على نفسه، كان يحمل فى رأسه أعظم ثورة فى الفلسفة الحديثة».

فيما يصفه عبدالرحمن بدوى فى موسوعة الفلاسفة بـ«أعظم فلاسفة العصر الحديث».

وما إن انتهى من كعبيش الكتابة حتى أرسل الرسالة.  
الفاضلة خلود..

المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية، تحية طيبة وبعد.

«إن الفكرة هى النور الذى يقهر الظلام، ويفتح أبواباً جديدة للخروج من الأزمات، فعندما يفكر الناس بطريقة صحيحة تحل أزمة الدولار فتنخفض الأسعار ويحدث الانفراج السياسى فنستمتع بأجمل ثلاثة فى الكون وهى.. الحرية والإخاء والمساواة».

تلقت خلود الرسالة وقرأتها، وعرفت وقتئذ أن الحل لكل المشكلات هو الفكر الصحيح الذى يعطى حلولاً لكل المشاكل، وقبل أن تنشر الموضوع كتبت نص الرسالة التى جاءتها من الدكتور.

## التصنيع الشامل

شكر الناشر الدكتور كعابيش على رأيه، وثمن موقفه النبيل، ووعده بأن يعمل بنصيحته ويتعاقد مع مترجمة عالم صوفى، حياة الحويك عطية، وينشر الرواية العربية كما هى، وكما نشرها الناشر السابق، فالترجمة الجديدة التى سيقوم بها لن تصل بأى حال من الأحوال إلى ماوصلت إليه الترجمة السابقة من رقى وروعه وإبداع، فأصبح لزاماً عليه رد العربون فى أقرب فرصة.

بدأت رحلته فى البحث عن ٤٠٠٠ دولار بعدما رفض الناشر قبول ما يعادل المبلغ بالجنيه المصرى.

اتجه كعابيش لبنكه فقابل المدير الذى أقسم له أنه كان يريد مساعدته لكنه لا يستطيع أبداً، فالتعليمات لديه واضحة، ولن يستطيع إخراج دولار واحد من البنك إلا على جواز سفر، وعليه تأشيرة للحج أو العمرة فى الوقت الحالى.  
— إزاي بنك مافيهوش دولارات؟! أمال سوق حرة إزاي واستثمار إيه؟! ومين مغفل بيتجى يستثمر فلوسه فى

بلد مش قادرة توفر له دولارات يستورد بيها معداته  
وخاماته؟!

– طب احنا نعمل إيه يادكتور؟ التآمر على البلد من  
الخارج، بيفروا ابناءنا ويدوهم أعلى سعر للدولار.

– ودا يبقى تآمر ولا منافسة؟! وشطاره منهم وخيبة مننا،  
يعنى حضرتك عاوز تفهمنى إن الللى بيشترى الدولار  
ب١٤ جنيه دا بيخسر، مستحيل طبعاً، المفروض أن  
الدولة تنوع مصادر حصولها على العملات الصعبة،  
خاصة الدولار.

– زى إيه يادكتور؟

– زى التصنيع الشامل، زى ما عملت كل الدول، ماليزيا  
والصين، صنع سلع متنوعة وكثيرة وهامة وصدرها لدول  
تحتاجها وافتتح أسواق خارجية هتكون مصدر أساسى  
لتمويل العملة ويكون فى إيدك انت، لكن اعتمادك على  
تحويلات العاملين فى الخارج لا يمكن السيطرة عليه.

– ياريت المسؤولين يفهموا الكلام دا، طب ما تبعثت  
اقتراحات سيادتك دى للحكومة.

– احنا للأسف عندنا ناس طيبين بينفذوا الأوامر بس،  
أما الللى بيفهموا فدول مغضوب عليهم وممنوعين من  
الكلام، عموماً أشكرك.

أخذ سيارته وطاف بكل مكاتب الصرافة في المهندسين والدقى ، فوجد نصفها قد أغلق وسحب رخصته ، والنصف الثانى لا يعمل فى الدولار لا بيعاً ولا شراءً ، فعاد للبيت ، أوقف سيارته وطلب من عم سعيد البابا أن يغسل السيارة ، ثم يرسل إليه المفتاح .

— السلام عليكم يا دكتور ، أنا خليت العربية زى الفل ، جوة وبرة .

— شكرا ياعم سعيد .

وهو يعطيه عشرة جنيهات .

— خلى يا دكتور ، خيرك سابق ، أنا سمعت إن حضرتك كنت عاوز دولارات .

تغير وجه الدكتور كعابيش .

— وانت إيه عرفك ياعم سعيد ؟ !

— الحاج عبدالسلام صاحب مكتب الصرافة اللي جنبنا .

— قال لك إيه ؟ !

— قال لي إن حضرتك كنت عاوز ٤٠٠٠ دولار ، وهو اتحرج من حضرتك ، لأنك صاحب فضل ، ووالدك سيادة الوزير الله يرحمه كان حبيب الكل .

— ماعليهش يا عم سعيد الراجل ماعندوش، وما فيهاش حاجة.

— لا يادكتور عنده، بس اتخرج يقول لك بـ ١٥ جنيه فحضرتك تزعل، وتفكر إنه بيستغل الظروف.

— طب هو ماقليش كدا ليه؟

— ماهو قال لي إنه عاوز يساعد حضرتك بس خايف على زعلك، خاصة إن التليفزيون ليل ونهار بيقول إنه بـ ٩ جنيه.

— لا، أنا عارف إنه أكتر من كدا طبعاً، بس ما توقعتش إنه يوصل للمبلغ دا، عموماً شكراً ياعم سعيد، وأنا لما أعوز غير هابلغك، تصبح على خير.

— وحضرتك من أهله.

بدأ كعابيش يحسب خسائره، فالدفعتان فيهما خسارة كبيرة الـ ٢٠٠٠ الأولى غيرها بـ ١٨٠٠٠ جنيه والـ ٢٠٠٠ الثانية غيرها بـ ٢٤٠٠٠ فهو لم يحصل إلا على ٤٢٠٠٠ فكيف يدفع ٦٠٠٠ ألف جنيه للحصول على ٤٠٠٠ دولار لردها إلى الناشر.

— ألو، أيوه ياعم سعيد، قول للراجل بتاع الصرافة إنى جاهز، ولو يحب؟ أروح له بكرة الصبح الساعة ١١ إن شاء الله.

— لا يادكتور انت ماتروحش، وتعرض نفسك للخطر.

- خطر؟ خطر إيه؟!
  - تجارة العملة، دى قضية.
  - قضية إزاي؟ يعني هيلغوا الصرافة؟! ولا يسيبوها ويقبضوا على اللي يروح يشتري أو بيع، طب والعمل ياعم سعيد؟
  - أنا هاخليه بييجى لحضرتك البيت ويجيب لك الدولارات لحد عندك.
  - أشكرك ياعم سعيد، تمام كدا.
- شعر كعاييش بالراحة رغم خسارته ١٨٠٠٠ ألف جنيه دون ذنب إلا أنه يخضع لسياسات نقدية فاشلة، تمارسها الحكومة الغبية، ويعانى منها الشعب الذى لا حول له ولا قوة.
- دخل المطبخ و صب كوبًا من الشاي كى يستعد لكتابة شخصية فلسفية جديدة لأسرة أفكار فلسفية.

## الفكرة المطلقة

الموبايل يرن.

— ألو... مساء الخير يادكتور.

— ألو، مساء النور يافرحة.

— سمعت قناة الجزيرة يادكتور؟

— لاء، أنا باشتغل، هافت حالاً، هو فيه إيه؟

— خالد على - المحامى الحقوقى - والمجموعة اللي معاه  
كسبوا قضية تيران وصنافير.

— غريبة قوى، فرحة بتتكلم فى السياسة !

— لاء يادكتور، بس الموضوع دا بالذات له ذكرى معايا،  
اتفصلت بسببه من أسرة صوت الجامعة، وكنت هاتردد  
من الكلية كلها عشان قلت إنها مصرية وعملت دعوة  
للقيام برحلة لتيران وصنافير.

قال ضاحكاً :

— رحلة؟! لإيه يابنتى؟! دى صحرا، مافيهاش غير نقطة شرطة واحدة، وعساكر مصريين غلابة مغضوب عليهم، فرمواهم فى الحتة المقطوعة دى، وبنبعث لهم الأكل والشرب من سينا، دا انت كان لازم يحكموا عليكِ بالإعدام مش يفصلوكِ من الأسرة بس.

— أول مرة أشوف حضرتك بتتكلم فى السياسة.

— الأيام اللي جاية دى لازم كلنا نتكلم فى السياسة عشان أحنا لو سيبناها هى عمرها ماتسيينا، هم اعتبروا فكرة الرحلة دى استفزاز للحكومة اللي بتحارب عشان تثبت ان الجزيتين سعوديتين ودا غريب جدا وضد المنطق.

— يعني إيه يادكتور إن السياسة لو سيبناها عمرها ما هتسيينا؟!

— أنا خسرت ١٨٠٠٠ جنيه عشان سياسة نقدية فاشلة، بيقوم بيها وزير فاشل، بدون رقابة شعبية ولا إعلامية ولا مجتمع مدنى.

— حضرتك كدا دخلت فى الغميق، ربنا يستر.

— ربنا يستر.

وبعد أن أنهى مكالمته مع فرحة عاد إلى هيجل.

جورج ڤلهلم فريدرش هيجل : ٢٧ أغسطس ١٧٧٠ ،  
١٤٣١ نوفمبر

فيلسوف ألماني، يعتبر أحد أكثر الفلاسفة الألمان تأثيراً في المذاهب الفلسفية الحديثة. جادل هيجل في المقوله التي تفيد بأنه لكي نفهم أي ثقافة من الثقافات الإنسانية، يجب أن نعيد تتبع وفهم تاريخها.

وقد ركز هيجل كثيراً على أهمية الفهم التاريخي لتطویر الدراسة التاریخیة للفلسفة، والفن، والدين، والعلم، والسياسة. وانتشر المنهج التاریخی للثقافة الإنسانية الذي أشاعه هيجل حتى خارج حدود ألمانيا.

## جدل هيجل

طور هيجل نظرية في التاريخ أصبحت معروفة بالجدلية الهيجلية. وقد اعتقد هيجل أن لكل التطورات التاریخیة ثلاث خواص رئيسية:

أولاً: أنها تتبع مساراً حتمياً، أي لا تكون قد اتخذت أي مسار آخر، ولفهم التطور التاریخى في أي منطقة من فكر أو نشاط الإنسان، يجب أن نرى لماذا حدثت بالضرورة كما هي.

ثانياً: لا يمثل كل تطور تاریخى تغييراً فقط بل تقدماً أيضاً.

ثالثاً: ناقش هيجل بأن أي طور من أطوار التطور التاریخى يميل إلى أن يواجه ويستبدل بنقيضه ويميل هذا النقيض، بدوره، إلى الاستبدال بطور يكون حالاً بطريقة ما لرحلتين متعارضتين.

سميت هذه الأطوار الثلاثة للتطور الجدل التقليدي، في العادة، الفرضية والنقيض والجمع بينهما.

إلا أن هيجل لم يستخدم هذه الاصطلاحات.

طبق هيجل نظريته في الجدل على كل مظاهر الحياة البشرية. مثال ذلك أنه قال: «إن المحاولة لتحقيق الإشباع من خلال ممارسة القوة والملكية الخارجية تميل إلى أن تُفرض في مقابل محاولة تحقيق حالة توافق وهدوء داخليتين. هذا التعارض بين نشاط خارجي وحالة عدم نشاط داخلى للعقل يمكن أن يُحل عن طريق بُزُوغ النشاط الخارجى للفرد من حالة داخلية موافقة. أو إذا طرحنا مثلاً سياسياً، تميل الفترة المحددة بتركيز القوة السياسية في يد شخص واحد إلى أن تتبعها مرحلة تُوزَع فيها القوة توزيعاً واسعاً. ويمكن حل هذا التعارض، بمرحلة يتم فيها بعض التوزيع وبعض التركيز للقوة. لهذا، يمكن أن تُستبدل الملكية المطلقة بديمقراطية مطلقة، وبدورها تُستبدل الديمقراطية المطلقة بصيغة مماثلة للحكومة».

قام كعابيش، ودخل المطبخ كى يصب كوباً من الشاي يساعده على التركيز، فيبدو أن شيئاً عميقاً يقتحم قلبه وروحه، ولكنه لا يستطيع أن يعرفه أو يفهمه، فلم يعره اهتماماً عليه يرحل من روحه وعقله.

— ألو.... إزيك ياخلود.

- إزى حضرتك يادكتور؟
- أنا قربت أخلص هيجل، انت عارفه مين كلمنى دى الوقت؟
- مين؟
- فرحة، تصوري؟! فرحانة قوى بموضوع قضية تيران وصنافير.
- وإيه اللي يفرح، دى حاجة تغم؟!
- إزاي ياخلود، لما تبقى مصرية تبقى حاجة تغم؟!
- لما الحكومة تستأنف الحكم اللي جاي فى صالحها، فى سابقة غريبة لم يشهدها القضاء فى العالم، يبقى حاجة تغم، لما الناس يطلعوا فى البرامج التليفزيونية، يرفعوا أعلام السعودية، وينكسوا أعلام وطنهم، تبقى حاجة تغم، لما مالك عدل يتحبس عشان بيقول إنها مصرية بقى ظلم. عندك حق، بس معقوله يبقى عندنا واحدة بذكائك وجمالك ووطنيتك وثقافتك، ونقلق على مصر؟
- الله يخليك يادكتور، أسيبك على خير، سلام.
- سلام ياخلود.

وعاد كعا比ش مرة أخرى لهيجل :

أظهرت الفلسفة الحديثة، والثقافة، والمجتمع فى نظر

هيغل عناصر مشحونة بالتناقضات والتوترات، كما هي الحال بالنسبة للتناقضات بين الموضوع وجسم المعرفة، وبين العقل والطبيعة، وبين الذات والآخر، وبين الحرية والسلطة، وبين المعرفة والإيمان، وأخيراً بين التنوير والرومانسية.

كان مشروع هيجل الرئيسي الفلسفى يأخذ هذه التناقضات والتوترات ويعها فى سياق وحدة عقلانية شاملة، موجودة فى سياقات مختلفة، دعاها «الفكرة المطلقة» أو المعرفة المطلقة».

طبقاً لهيجل، الخاصية الرئيسية فى هذه الوحدة أنها تتطور وتتبدى على شكل تناقضات وإنكارات.

تولد التناقض والإنكار لـهما طبيعة حركية فى كل مجال من مجالات الحقيقة -الوعى، التاريخ، الفلسفة، الفن، الطبيعة، المجتمع- و هذه الجدلية تؤدى إلى تطوير أعمق حتى الوصول إلى وحدة عقلانية تتضمن تلك التناقضات كمراحل وأجزاء ثانوية ضمن كل تطورى أشمل. هذا الكل عقلى لأن العقل وحده هو القادر على تفهم كل هذه المراحل والأجزاء الثانوية كخطوات فى عملية الإدراك. و هو عقلانى أيضاً لأن النظام التطوري المنطقى الكامن يقع فى أساس وجوهر كل نظافات الواقع وجود و هو ما يشكل نظام التفكير العقلانى.

تقوم فلسفة هيجل المثالية على اعتبار أن الوعى سابق للمادة، بينما تقوم النظرية الماركسية على اعتبار أن المادة سابقة للوعى، على اعتبار أن المادة هي من تحدد مدارك

الوعي، و بالتالي يتتطور الوعي بتطور المادة المحيطة بالإنسان، كان ماركس أحد رواد حلقات عصبة الهيجليين، ثم انشق عنها مؤلفا فلسفته الخاصة به.

لا تستطيع النظرية الماركسيّة بماديتها تفسير كل ما يدركه الوعي، لأنها تفترض -على المطلق- بأن الوعي هو انعكاس كامل عن المادة، ولكن إذا سألنا أنفسنا عن ماهية المادة التي أعطت الوعي بعض المفاهيم المثالية كالحق و العدالة والرحمة فإنه لن تكون هناك أية مواد مزودة للوعي الإنساني لتلك المفاهيم، هناك حقائق مطلقة في هذا الكون كما أسمتها هيجل على المجاز يعمل العقل البشري بكل من المادة والوعي ضمن علاقة مركبة بينهما على اكتشاف تلك الحقائق والنومايس التي تجتاز في حقيقتها ومايتها حدود المادة القاصرة نفسها على تفسير مثل تلك الظواهر إذا ما حاولنا فهمها بمادية مجردة، قد يمتد هذا الفهم إلى الميتافيزيق نفسه وهو ما أنكره ماركس تحت مسمى (الدين أفيون الشعوب و زفرا العقول البائسة).

### وفاته

مات هيجل بمرض الكولييرا عام ١٨٣١ ، أما كتبه عن الجماليات وفلسفة الدين وفلسفة التاريخ فلم تنشر إلا بعد موته .  
فور انتهاءه من كتابة هيجل كشخصية فلسفية جديدة أرسلها للنشر في أسرة أفكار فلسفية .

الجميلة خلود.

المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية.

أرجو أن تتفضلى بنشر تنبويه هام جداً بعد نشر الموضوع  
كالآتى.

هام جدا..

الشخصية الفلسفية القادمة هي كارل ماركس، وهو آخر  
الشخصيات الغربية التي ستناولها في أسرة أفكار فلسفية  
وبعدها سنبدأ بالفلاسفة العرب والمسلمين.

رحبت خلود بهذه الخطوة الهامة التي تلبى رغبات  
معظم أعضاء أسرة أفكار فلسفية، ونشرت ما أرسله الدكتور  
كعابيش، ولكن استوقفتها كلمة واحدة فهو أول مرة يقول:  
الجميلة خلود، فقد كان دائماً يقول الفاضلة، هل كانت  
عفوية، أم كان يريد أن يقول لي إننى جميلة فى عينيه؟

## رأسمالية المحاسيب

استيقظت خلود كى تشرب على غير عادتها، فالساعة الثالثة بعد منتصف الليل، دخلت المطبخ وأثناء مرورها عائدة لغرفتها سمعت حديث أمها الغاضبة، وهى تهدد والدها بأنها ستترك البيت إذا وافق هو على هذه الزينة، لم تفهم أى زينة، ولم تعرف أى تفاصيل، فذهبت إلى فراشها لتنام ، وقالت: لعل هذا الموضوع خاص بعمرو أخيها.

وفي الصباح، راح الأب ينظر لابنته متربداً:

— بابا، هو حضرتك عاوز تكلمني في حاجة؟

— بصى يابنتى، احنا أصلًا ناس صعايدة، ومهما عشنا في مصر مش ممكن نغير عوایدنا.

— تمام.

— ومن عوایدنا إن البنات بتتجوز بدري، وانت جاي لك عريس، دكتور.

— دكتور كعابيش؟! عبدالحميد كعابيش؟!

— كعابيش إيه يابنتى؟! دكتور صلاح ابن عمتك، وعاوز ياخدك معاه أمريكا، وتكملى تعليمك هناك، وأنا موافق، وأمك مش موافقة.

— وأنا يا بابا مش موافقة، لازم أكمل دراستي هنا.

— مع الدكتور كعابيش؟! هو فاتحك في حاجة يابنتى؟ قولي لي احنا مابنخبيش حاجة عن بعض.

— لا يابابا مافيش حاجة أصلًا، دى زلة لسان، لأن كلمة دكتور أنا ماقولهاش إلا للدكتور كعابيش، ولما حضرتك قلت دكتور فمن البديهى إنى أكمل الجملة باللى أنا متعودة عليه.

— اتغيرت قوى ياخلود، و كبرت يابنتى، الكتب القراءة كبروك قوى.

— ودى حاجة حلوة ولا حاجة وحشة يابابا؟

— لأ يابنتى حاجة حلوة، أنا فخور بيك، ربنا يوفقك.  
دخلت خلود غرفتها، وببدأت تقرأ ما كتبه الدكتور كعابيش عن ماركس.

كارل ماركس ٥ مايو ١٨١٨ إلى ١٤ مارس ١٨٨٣ فيلسوف ألماني، سياسي، ومنظر اجتماعي، قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية.

شكّل وقدم مع صديقه فردريك إنكلز ما يدعى اليوم بالاشتراكية العلمية (الشيوعية المعاصرة)، ويعتبر أحد الشخصيات المفكرة الأكثر تأثيراً على مر العصور.

ماركس كان قد ولد في «تير Trier»، والتحق بجامعة بون عام ١٨٣٣ لدراسة القانون، وأظهر اهتماماً بالفلسفة رغم معارضة والده الذي أراد لماركس أن يصبح محامياً، وقام ماركس بتقديم رسالة الدكتوراة في الفلسفة عام ١٨٤٠ وحاز على شهادة الدكتوراة.

وصفه أحد أصدقائه بأنه عريض المنكبين، واسع الجبهة، كثيف الشعر، وداكن إلى حد الزرقة، كان حيوياً نشيطاً لا يهدأ له بال، لا ينام إلا أربع ساعات في النهار.

دخل والدها الغرفة، وفاجأها بدون مقدمات قائلاً:

— لو كنت مكسوفة أو خايفة، اطمئنى يابنتى.

— أخاف من إيه بس يا حبيبي؟!

— هو الدكتور كعابييش فاتحك في حاجة؟

— لأبداً، أنا زي ما قلت لك كدا، زلة لسان.

— بس زلات اللسان يا بنتى بتعبر عن اللي جوانا.

— يمكن يابابا، بس والله لو كلمنى في أي حاجة لأقول لك في نفس الوقت على طول.

- افهم من كدا إن انت مستنياه، وعاوزاه يفتح الموضوع.
- يابا يا حببى أنا لسه فى سنة أولى.
- خلى بالك ياخلود، أبوك أبو جلابية دا، اللي بيصور ورق للناس، كان مدير قطاع، مهندس كبير يعني.
- طبعاً عارفة يا حببى، وفخورة بإنى بنت المهندس محمد الشرقاوى مدير قطاع الإنتاج فى شركة إن إى سى لإنتاج التليفزيون.
- ولولا الحرامية اللي باعوا الشركة وأخضعوها لبرنامج الخصخصة - مع إن اسمها كان غير وارد في الشركات الخسرانة - كان زمانى رئيس مجلس إدارة.
- انت عندنا أهم من رئيس الجمهورية يا حببى... هي دى الرأسمالية المتوحشة اللي بتتدوس كل شئ قدامها، وعمرها ما بتراعى الأبعاد الاجتماعية لأى قرار.
- دى رأسالية المحاسيب يا بنتى، بيعيوا المصانع لبعض، وبيقسموا الترکة على بعض، وعمر الرأسالية ما كانت كدا.
- على فكرة يابا، أنا باقرا الموضوع اللي باعتره الدكتور كعابيش عن كارل ماركس وفيه نقد للرأسمالية.
- أخذ والدها اللاب توب، وأخذ يقرأ بصوت عالٍ:  
«قد تبني ماركس منظوراً دينامياً وصراعياً للرأسمالية، ومنها:

## نظريّة الاستغلال وفائض القيمة

يبدو العالم الحديث كتراكم للبضائع ، وتتأتى قيمة هذه البضائع من العمل الإنساني الذي هو متضمن في البضاعة ، إن العمل بدوره بضاعة تمتلك سمة خاصة : فهو ينبع قيمة أعلى من ثمن شرائه .

وبالفعل ، فالرأسمالية لا تشتري كل العمل المبذول من طرف البروليتاري ، ولكنها لا تؤدي له إلا ثمن قوة عمله (ما يكفيه للعيش ) ، والفارق القيمي فيما بين قوة العمل والعمل المنجز يشكل فائض القيمة الذي هو منبع الرأس المال . إن الرأسمال يخلق ذاته ويعيد خلقها باستمرار داخل علاقة الاستغلال الاجتماعية هذه .

## قوانين تطور الرأسمالية

تقود المنافسة الرأسمالي لراكمة رأس المال ، أى إلى استثمار جزء من الربح في تحسين أداته الإنتاجية . ومن قانون التراكم هذا استنتج ماركس عدة اتجاهات للتطور :

اتجاه أكثر فأكثر تعاظماً نحو ميكنة الإنتاج :

تمركز رأس المال ناجم عن نمو كل مقاولة على حدة وتمركز المقاولات في أيدي حفنة قليلة العدد من أقوى الرأسماليين ، تزايد البطالة والانخفاض النسبي للأجور الذي تصوره ماركس كعقوبة للتراكم ، فالآلات التي تنحو نحو

تعويض البشر والمشكلة بذلك لـ«جيش صناعي احتياطي» ينزع حضوره نحو ممارسة ضغط يؤدي إلى تخفيض الأجور. ويبدو هذا التفقيير المتعاظم كـ«قانون عام للاقتصاد الرأسمالي»؛ قانون الانخفاض النزوعى لعدلات الربح يتأتى من تزايد الرأسمال الثابت (الآلات) مقارنة بالرأسمال المتغير (الأجور)؛ الربح (فائض القيمة) المتأتى فقط من العمل الإنسانى (حسب نظرية القيمة العمل)؛ الانخفاض النسبي لعدد المأجورين مقارنة بالآلات يقود نحو انخفاض معدل الربح. غير أن التفقيير يقود نحو ثورة الجماهير؛ فهنا يفرد المنطق الاقتصادي مكاناً لمنطق اجتماعى : يتمثل فى ثورة المجموعين ضد النظام. ميكانيزم الأزمات. ليست هناك لدى ماركس نظرية ناجزة ومكتملة بخصوص الأزمات. الاستغلال وتمرکز رأس المال الثابت (الآلات) يقودان نحو تعاظم لا ينتهى لقدرات الإنتاج على حساب إمكانیات الاستهلاك (عبر المداخيل الموزعة)، ومن ثم أزمات فيض الإنتاج التي لا تنمى تحدث والتى تسم الرأسمالية بشكل دوري.

وقد اعتقد ماركس أن هذه الأزمات من شأنها أن تتفاقم عبر الزمن حتى تصبح أزمات لا تطاق».

تركها والدها، فقامت خلود، ودخلت الشرفة لتلتقط أنفاسها وتستمتع ببعض النسيم.

— مادام قال فى رسالته «الجميلة» خلود يبقى شاييفنى  
جميلة فى نظره، أكيد حس بيَّ، مع إن أنا متأكدة من  
تصرفاتي وحرصى، بس هو حس عشان هو قلبه كبير  
وإحساسه راقى وكبير كبير قوى، فكر وثقافة وعقل،  
يطمئن أى سُت فى الدنيا ويحتويها.

ثم تراجعت عن هذا الاندفاع غير المبرر قائلة بلاش  
أبنى آمال فى الخيال، ممكن تكون زلة قلم، خلينى مع  
ماركس أحسن، وعادت الى ماركس.

### المادية التاريخية

### أولوية الإنتاج

إن أساس المجتمع يقيم في الإنتاج؛ في العمل الذي  
ينتج الإنسان من خلاله ذاته وينتج المجتمع. إن وسائل  
الإنتاج المسماة «القوى المنتجة» وال العلاقات التي تنشأ حول  
العمل «علاقات الإنتاج» يشكلان «عالم الإنتاج» الخاص  
بكل مجتمع، ولقد تعاقبت خلال التاريخ عديد من أنماط  
الإنتاج (القديمة، الآسيوية، الإقطاعية، الرأسمالية).

البنية الاقتصادية التحتية والبنيات الفوقيّة: إن البنيات  
الفوقيّة السياسية، القانونية والأيديولوجية تنبني على قاعدة  
الإنتاج. إذن يجب الانطلاق من القاعدة الاقتصادية لفهم  
تطور مجتمع معطى.

## **تقسيم الشغل وصراع الطبقات**

يؤدى تقسيم الشغل أيضاً إلى انفصال الناس عن بعضهم، وإلى تكون الطبقات وصراعها. إن صراع الطبقات الاجتماعية المتعادية والمتصارعة من أجل السيطرة على الإنتاج هو محرك التاريخ في إطار النظام الرأسمالي.

### **سوسيولوجيا الطبقات والدولة**

#### **نظريّة الطبقات الاجتماعيّة**

غالباً ما اعتبر أنَّ البيان الشيوعي الذي يصرُّح فيه ماركس بأنه لا توجد إلا طبقتان أساسيتان متعارضاً مع «صراع الطبقات في فرنسا» الذي يصف فيه سبع طبقات وشرائح من الطبقات المختلفة.

وبالفعل ليس هناك تناقض؛ فلم تكن لهذين التأويليين نفس الوضعية؛ فما كان يشغل بال ماركس في البيان (وعلينا أن لا ننسى أنه نص دعائي) كان هو تحليل الصراع الذي يضع في المجتمع الرأسمالي طبقتين أساسيتين متواجهتين (حاملتين لمشروع تاريخي) : البورجوازية والبروليتاريا.

ويجب أن يؤدي هذا الصراع إلى الشورة إذا ما عرف العمال كيف يتنظمون في حزب يمكن من الإطاحة بالمجتمع البورجوازي.

إن «صراع الطبقات في فرنسا» ي يريد أن يكون تحليلًا أمبريقيا لحركة تاريخية خاصة، وماركس يصف بدقة شرائح طبقيّة وروابطها وكيف تنتظم حول طبقتين أساسيتين.

يجب إذن أن نميز عند استعمال مفهوم الطبقة النظرية الدينامية للطبقات (التي تنتظم حول قطبين اثنين) والتحليل الوصفي الذي يهتم بتركيب الجماعات الاجتماعية : ببنيتها وتطورها وسلوكها.

عادت خلود للبلكونة مرة أخرى، وقامت بتشغيل أغنية تحبها من موبائلها لنجاة الصغيرة.

أنا باستناك أنا باستناك، وليلي شمعة سهرانة في ليلة حب، وأهلاً أهلاً حلوة شيلاتها عيون بتحب، وقلبي حرير شايل لك مطرحك في القلب، وزوج ليلى واتزوق لأجمل وعد، وادوب لك في شرباتي شفافيف الورد واقول لك دوق.

وفور انتهاء الأغنية قررت خلود أن تعود لماركس حتى تستطيع نشر الموضوع وتستعد للرد على التعليقات.

### نظريّة الدولة والإيديولوجيات

نجد لدى ماركس نظرية للدولة (متصورة بوصفها أداة سلطة في خدمة الطبقة المهيمنة) وللإيديولوجيات (كتعبير عن صالح طبقيّة معينة) وللاستلام (كتقدیس أعلى للبضاعة)، وللدين (كافيون الشعوب).

لم يكن تأثير ماركس خلال حياته على الإنسانية بالشىء العظيم إلا أنه وبعد وفاته انتشرت أفكاره وتم تبنيها وتوسعت آثارها مع نمو الطبقة العاملة.

تحليلاته للنظام الرأسمالي وحديثه عن المادية التاريخية.. صراع الطبقات... والقيمة المضافة أصبحت جوهر الاشتراكية العلمية.. والتي تم تطبيقها على يد لينين والتي أحدثت تأثيراً ضخماً وظيفياً على مستوى بلاد العالم في جميع القارات وسبباً لنشوب حروب مدمرة.

استفادت العديد من النظم الرأسمالية من أفكار ماركس وخصوصاً بعد الكساد الكبير ١٩٢٩ الذي كان حتمياً طبقاً لأفكار ماركس. ومنه عملت على إصلاح وتجميل عيوب الرأسمالية، وبهكذا انتهى وجود الرأسمالية لتحل مكانها أنظمة مختلطة ديناميكية : الحكومة البريطانية تعتبر نظاماً مختلطًا براء رأسمالي، الصين حالياً هي نظام مختلط براء شيوعي، حيث من الصعب جداً، إذا لم نقل من المستحيل، الوصول إلى النظام الشيوعي الذي تحدث عنه ماركس على ضوء الإمكانيات الحالية.

كما أن ماركس لم يكن ليعلم بمستوى التكنولوجيا الذي سيحدث والذي خفف كثيراً جداً من الظلم على الإنسان، وسهل عليه عمله، وعملت الأنظمة الميالية للرأسمالية على استخدام هذه التكنولوجيا على أفضل وجه بما يضمن استمرار أنظمتها.

نهاية، يعتبر ماركس بحق أحد أكبر المفكرين الاقتصاديين الذين لم يحلوا فقط بل عملوا على تحقيق أفكارهم بمنطق وعلم.

وفى ١٤ مارس ١٨٨٣ ، توفي كارل ماركس ودفن فى مقبرة هاى غيت بلندن.

قامت خلود بنشر الموضوع ، والتنويه الذى لاقى استحسان أعضاء الأسرة الذين دائمًا ما يطالبون خلود بالفلاسفة العرب والمسلمين .

## المعلم الثانى

خلود تنتظر الرسالة الجديدة، فهذه هي المرة الأولى التي سيتكلم فيها الدكتور كعابيش عن فيلسوف عربى، وهى تنتظر لتعرف إن كان وصفه له بالجميلة فى الرسالة السابقة كان قد جاء على سبيل المجاملة أم أنه فعلاً يراها جميلة.

وصلت الرسالة ففتحتها بلهفة.

«الجميلة والحقيقة خلود، صديقى الوحيدة، التى أرسل إليها رسائل فى هذا العالم، سنبداً الآن رحلتنا مع الفلاسفة العرب والمسلمين، وكان على أن أوضح السبب فى أننا بدأنا بالفلاسفة اليونانيين أو الغربيين عموماً، وكان هذا لزاماً علىَّ حتى أتبع التسلسل التاريخي والتطور الفكري، فكل فيلسوف قد أفاد مما ممن سبقوه.

الرائعة خلود..

المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية

أشكرك على جهدك الكبير، وأعرفك أننا قد انتهينا من منتصف الرحلة، وسنبدأ بحول الله النصف الآخر من

الرحلة معاً أنا وانت ، والفلسفة العربية والإسلامية.

— بيبحبني.

قالتها لنفسها بصوت مسموع.

طبعاً، أكيد، الجميلة، الرقيقة، سنببدأ الرحلة معاً أنا  
وأنت، صديقتي الوحيدة.

أنا كمان باحبه قوى.

أخذت الموبايل واتصلت به.

— مساء الخير يادكتور.

— مساء النور ياخلود.

— أنا متشركة على المجاملة الرقيقة اللي حضرتك بتكتبها  
لي في الرسائل.

— دى مش مجالمة انت فعلاً صديقتي الوحيدة.

— دا شرف كبير لي.

— حقيقي ياخلودانا منبهر بييك، وعلى فكرة عمرى ما  
بعثت رسائل لبنت أبداً ولا وأنا طالب أو أستاذ، دايماً  
بذاكر واترجم وابحث.

— حضرتك إنسان عظيم، وبدينى شرف كبير قوى، بس  
حضرتك بتبالغ في حاجات يعني، أنا مش جميلة،

عادية يعني ومش رقيقة، دا اخوى دايما يقول إن أنا  
أرجل منه.

— لوشافوك الناس بعقلهم هيعرفوا جمالك ياخلود.

— انت اللي بتبعـت الرسائل اللي فيها باحـبـك؟  
فاجأـته خـلـود.

— لا، لا انت بتقولـي إـيهـ؟!  
أصـابـته صـدـمة قـوـية أـفـقـدـته التـركـيزـ.

— أـمـالـ مـيـنـ؟!

— مش عارـفـ أناـ حـقـيقـىـ ماـبـعـتـشـ رسـائـيلـ، وـعـمـرـىـ ماـ  
أـعـمـلـ كـداـ، أـنـاـ زـعـانـ قـوـيـ منـكـ ياـخـلـودـ، المـفـروـضـ  
احـترـامـكـ لـيـ وـتـقـدـيرـكـ يـخـلـوـكـ ماـتـظـنـيـشـ فـىـ ظـنـ السـوءـ.

— حـضـرـتكـ مـتـأـكـدـ؟

— أيـوهـ، وـالـلـهـ مـتـأـكـدـ، وـبـعـدـينـ بـقـىـ؟!

— أولـ مـرـةـ أـشـوـفـكـ بـتـحـلـفـ، يـعـنـىـ مشـ اـنـتـ الليـ بـعـتـ لـيـ  
الـرسـائـيلـ الليـ بـتـقـولـ لـيـ فيـهـاـ باـحـبـكـ؟

— لاـ طـبـعاـ، دـاـ اـنـاـ باـعـتـبـرـكـ زـىـ رـحـمـةـ أـخـتـىـ، حـبـ إـيهـ يـاـ  
استـاذـةـ أـنـاـ كـداـ هـاـزـعـلـ منـكـ، دـاـ اـنـاـ قـدـكـ مـرـتـيـنـ، وـانتـ  
زـىـ بـنـتـىـ الليـ مـاـجـبـتـهـاـشـ، عـشـانـ مـاـ اـتـجـوزـتـشـ.

— يعني انت مابتعتش الرسائل؟

—

— ولا بتحبني؟

وہی تھاں پاکیہ۔

لا ..... باحبك زى أختى، تلميذتى، صديقتى، بنت  
بلدى المثقفة اللى بافتخر بيها، لكن الحب اللى انت  
تقصدية دا لأ طبعا، حرام على أطلب منك تربطى  
مصيرك بوحد شبابه بينتهى وانت لسة ما وصلتىش  
عند بوابات الدخول لعالم الشباب.

— بس أنا باحبك قوى، انت فارس أحلامى اللي طول  
عمرى باتمناه، وماتخافش، أنا هاكمـل وهـاخد الدكتورـة  
عشـان أليـق لكـ.

دا مجرد خلط ياخلوه، انت بتحببني كأستاذ مثالى من وجهة نظرك، لكن مش بالضرورة أكون حبيب أو زوج مثالى، حاولى تركزى، وتحفظى توازنك ياخلوه، رکزى فى العمل العظيم اللي بتعمليه.

— انت خايف من فارق السن؟

يأخلود دا وهم، والسبب الرسائل المجهولة مع إعجابك  
بأستاذك، فصور لك حاجة مش حقيقة حاولى تعرفي  
ميين اللي بعت لك الرسائل.

— بضم يادكتور، انت عظيم قوى بالنسبة لي، وبالنسبة  
للناس كلها، بس أنا مش هافرض نفسى عليك أكتر  
من كدا، أنا آسفه قوى.

وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت :

— ممكن حضرتك تسيبني أنشر أول شخصية فلسفية عربية  
في أسرة أفكار فلسفية؟

— اتفضلي.

أعطي الحب الذي تأكيدت أنه من طرف واحد طاقة  
إضافية لخلود التي تبحث دائماً لتضييق المسافة بينها وبين  
الرجل الذي تحبه، فهو من العلماء وهي تلميذة صغيرة،  
ولابد أن تبذل كل الجهد حتى ترقى لمستواه الثقافي والعلمي،  
فبدأت تنشر لأعضاء أسرة أفكار فلسفية عن الفارابي.

«أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان  
الفارابي»، ولد عام ٢٦٠هـ، ٨٧٤ م في فاراب في بلاد ما  
وراء النهر، وتقع فاراب اليوم في قازخستان وتوفى عام  
٣٣٩هـ، ٩٥٠م... فيلسوف أتقن العلوم الحكمية، وبرع  
في العلوم الرياضية، ذكي النفس، قوي الذكاء، متتجنب  
عن الدنيا، قانع منها بما يقيم بأوده، يسير سيرة الفلسفه  
المتقدمين، وكانت له قوة في صناعة الطب وعلم بالأمور  
الكلية منها، ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياتها. يعود  
الفضل إليه في إدخال مفهوم الفراغ إلى علم الفيزياء.

وكان أبوه قائد جيش جاء إلى بغداد وهو في سن الأربعين، تنقل بين مصر وسوريا وحلب ، وأقام في بلاط سيف الدولة الحمداني، ثم ذهب إلى دمشق وبقي فيها حتى وفاته عن عمر ٨٠ عاماً، ووضع عدة مصنفات وكان أشهرها كتاب حصر فيه أنواع وأصناف العلوم ويحمل هذا الكتاب اسم «إحصاء العلوم». سمي الفارابي «المعلم الثاني» نسبة للمعلم الأول أرسطو، وجاء إطلاق الاسم بسبب اهتمامه بالمنطق لأن الفارابي هو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية».

الموبايل يرن:

- ألوه، أيوه يا فرحة، إزيك يا حبيبة؟
- انت تعرفي حد في العياط؟
- إشمعنى العياط يعني؟ !
- لي واحد صديقى خبير في موضوع الفيس بوك، وأكدر لي إن الحساب بتاع أمير الحب اللي بعث لك الرسالة مفتوح من العياط، وكل الرسائل أرسلها من هناك، وممكن يجيئ لك العنوان بالظبط، بس الموضوع كدا هيتتكلف فلوس وإذن من النيابة.
- لا خلاص، أنا كداعرفة، عرييس الغفلة.
- مين؟ !
- ابن عمتي، اللي اتقدم لي وأنا رفضته.

- ياحرام، دا أكيد بيحبك قوى.
- ولا بيحبنی ولا حاجة، أنا عارفة طريقة تفكيره العقيمة.
- يكون بيفكر في إيه يعني؟
- بيختبر أخلاقي.
- وهي تضحك.
- ولما مارديتش عليه قال والله دى طلعت مؤدبة ولازم أكافئها، وأطلبها للجواز.
- وانت رديت عليه؟
- يابنتي دا عيل، أنا هاتجوز واحد يكون عظيم.
- يابنت الذين، دا انت راسمه على كبير قوى.
- لا والله لو إنسان فقير جداً، بس لازم يكون بيقدر وبيفهم عنده طموح، عموماً أنا متشكرة يا فرحة ياحبيبتي.
- على إيه؟ عدى بس انت الجمايل، أشوف وشك بخير سلام.
- سلام يا فرحة.

عادت خلود لقراءة ماكتبه كعابيش عن الفارابي :

تبعد النظرية عند الفارابي والتى تسمى بالصدور والفيض، وهى أبرز ما يميز الفارابى، فهو يميز بين نوعين

من الموجودات: الموجود المكن الوجود، والموجود الواجب الوجود، هناك موجودات كثيرة ممكنة الوجود ، لكن هناك موجوداً واحداً واجب الوجود.

**الموجود المكن الوجود:** الموجود الذي متى فرض موجوداً أو غير موجود لم يعرض منه محال. يعني وجوده أو عدم وجوده ليس هناك مايمنع ذلك. لكن إذا وجدت لابد لها من علة ، وكل الموجودات التي تحقق وجودها حوادث.

**الموجود الواجب الوجود:** الموجود الذي متى فرضناه غير موجود عرض منه (الهاء تعود على الفرض) محال. يعني لا يمكن إلا أن يكون موجوداً ، وهو في المصطلح الديني (الله).

فنحن لا يمكن أن نقول الله ليس موجوداً ، لأنه لا يمكن لنا أن نقول بعد أن قلنا الله ليس موجوداً كيف وجد العالم. (مؤيس الأيسات عن ليس) تعنى موجود الموجودات من العدم (أليس أى أوجد).

س/ لا نستطيع أن نفهم كيف وجدت الموجودات الممكنة عن واجب الوجود؟ وكان جواب الكندي هو (مؤيس.....)، أما الفارابي يقول إن واجب الوجود طبيعته عقل محض واحد من كل الجهات ، جوهر عقل محض يعقل ذاته وموضع تعلقه هو ذاته ، خلافاً لنا نعقل ذاتنا ونعقل أيضاً الموجودات الطبيعية ولكن واجب الوجود عند الفارابي يعقل ذاته فقط ويقول الفارابي : إنه من تعلقه لذاته يفيض عنه

عقل أول، يكفى أن يعقل واجب الوجود ذاته حتى يصدر عنه عقل أول، أى فعل التعقل فعل مبدع يصدر على سبيل الضرورة لا الإرادة والقصد. يصدر عقل من تعقله لما فوقه يصدر عقل آخر ومن تعقله لذاته يصدر فلك.. إلخ. العقل الأخير هو العقل الفعال والفلك الخاص به فلك القمر.

### العلاقة بين الفيلسوف والنبي

التمييز الذى قام به الفارابى بين النبى من ناحية والفيلسوف من ناحية: المعرفة تكون بتجريد المعانى الكلية من المحسوسات، النبى والفيلسوف كلاهما يتلقى حقائق وينقلها للآخرين. يقول الفارابى إن معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله، لكن هناك فارقاً بين حقائق النبى وحقائق الفيلسوف، فالفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقلية وليس حسية، الرسول تأثيره المعرف منزلة من عند الله بتوسط الملك جبريل عليه السلام، ويتلقي الروحى بالخيال، ثم يتم تحويل الصور المتخيلة إلى صور ومعانٍ تنقل للناس. المعارف النبوية هى معارف المخيلة أساس فيها.

قامت خلود من أمم اللاعب توب وقررت أن تكلم كبابيش.

— ألو يادكتور.

— ألو.... ازيك ياخلود، أنا متشرك جداً إنك اتصلت بي.

— ليه يادكتور؟ أنا لاييمكن أخسر حضرتك أبداً لأن حضرتك مش ممكן تتعوض، مش أنا عرفت الإنسان اللي ورطني في المشكلة دى؟

— اللي بيعت لك الرسائل؟

— أيوه.

— من الجامعة؟

— لا، دا واحد تافه، والموضوع انتهى، وبالنسبة للموضوع الثاني أرجوك تنسى أي كلمة أنا قلتها في لحظة اندفاع ولخبطة، فأنا أول مرة أتعرض للموقف دا، وخطر في بالى إن حضرتك اللي بتبعطت لي الرسائل، أنا آسفه.

— ولا يهمك، أنا اعتبرت اللي حصل دا مؤشر مهم على معزتك لي كأستاذ لدرجة فاقت قدرتك على معرفة الفرق بين حب الأستاذ وحب الحبيب والزوج.

— هاسيبيك دى الوقت عشان اقرا فلسفة الفارابي السياسية والأخلاقية قبل النشر.

— اتفضلى.

وما إن أخلقت الموبايل حتى بكى وتمنت من الله أن يضع بيده حبه لها في قلبه، فمهى لن تستطيع أن تكون بعيدة عنه أبداً.

مساحت دموعها، وراحـت تكمل قراءة موضوع فلسفة الفارابي السياسية والأخلاقية، فإن القراءة والبحث سيجعلانها أقرب لكتابيـش، والثقافة ستقرب المسافات بينهما.

ما تميز به الفارابي بعد تميزه بالمنطق هو السياسة والأخلاق، ومن أشهر كتبـه :

آراء المدينة الفاضلة، الموسيقى الكبير، آراء أهل المدينة الفاضلة : خير المدن الممكنة على الأرض بالنسبة للبشر، قضية الكاتب هي قضية السعادة التي يطلبـها جميع الناس ويقسم الكتاب إلى قسمين : قسم يبحث فيه الفارابي نظرية الوجود، ونرى فيه التميـز بين المكنـون والواجبـ، القسم الثاني خاص بالمدينة وآراء أهل الجماعة الفاضلة. القسم الأول يقابلـه القسم الثاني والمدن المضادة للمدينة الفاضلة.

يبنى الفارابي المدينة على غرار الوجود بأسره، فـكما للوجود مبدأ أعلى كذلك المدينة الفاضلة لها مبدأ أعلى وهو الرئيس.

والفارابي يقول إن القصد في المدينة الفاضلة الإبانة عن الجماعة التي تسود فيها السعادة، والمدينة الفاضلة هي التي يطلبـ جميع أهلـها السعادة، والمدن المضادة يطلبـ فيها أهلـها أشيـاء مضـادة.

السعادة عند الفارابي مرتبطة بتصوره للتركيبـة الإنسانية والنـفس الإنسانية، والسعادة تكون عندما تسـيـطـ النفس العاقـلة (وفضـيلـتها الحـكـمة) على النفس الغـضـبية (وفـضـيلـتها

الشجاعة) والنفس الشهوانية (وفضيلتها العفة) فيصل الإنسان للسعادة.

المدينة الجاهلة: عكس المدينة الفاضلة، يطلب أهلها السعادة الآتية من النفس الغضبية والشهوانية.

المدينة الفاسقة: هي التي عرف أهلها المبادئ الصحيحة وتخيلوا السعادة على حقيقتها ولكن أفعالهم مناقضة لذلك.

المدينة المبدلة: أيضاً مضادة للمدينة الفاضلة ويكون السلوك فيها فاضلاً ثم يتبدل.

المدينة الضالة: ويعتقد أهلها في الله والعقل الفعال آراء فاسدة واستعمل رئيسها التمويه والخداع والغرور، ويتصور الله والعقل الفعال تصويراً خاطئاً، وسياسته خداع وتمويله.

وجعل الفارابي مجموعة سمات مميزة لأهل المدينة الفاضلة:

معرفة السبب الأول وصفاته (أى الله)، معرفة العقول والأفلاك، معرفة الأجرام السماوية، معرفة الأجسام الطبيعية، معرفة الإنسان، يعرفون السعادة ويمارسونها، أى أن معرفتهم كاملة بالوجود وبكل الموجودات، وعلى رأس المدينة الفاضلة يضع الفارابي الرئيس، مثلما للوجود رئيس هو الله، وللإنسان رئيس هو القلب.

والذى يقول على المدينة الفاضلة (الرئيس) له صفات: تام الأعضاء، جودة الفهم، والتصور، جودة الحفظ جودة الذكاء والفطنة، حسن العبارة فى تأدية معانيه، الاعتدال فى المأكل والمشرب والمنكح، محبة الصدق وكراهية الكذب، كبر النفس، ومحبة الكرامة (أى تقدير الذات)، الاستخفاف بأعراض الدنيا، محبة العدل بالطبع وكره الجور، قوة العزيمة والجسارة والإقدام ويتوج هذه الصفات بالحكمة والتعقل التام جودة الإقناع جودة التخييل القدرة على الجهاد ببدنه وما إن انتهت من القراءة حتى اتصلت خلود بكمابيش.

— مساء الخير يادكتور،انا قررت الفارابى كوييس قوى، وحبيت أعرف شخصية الأسبوع القادم، عشان أنشر عنها تنويهاً.

— ابن سينا.

— تمام.

وما إن أغلقت الموبايل حتى فتحت الصفحة وبدأت تنشر موضوع الفارابى، وقد أعلنت أن شخصية الأسبوع القادم هى ابن سينا.

## عمرو الشرقاوى

لعبت به الأقدار لعبتها الساخرة، فقد كان طالباً في الفرقة الرابعة بكلية الحقوق جامعة القاهرة، وبعد أن دخل امتحان الترم الأول في مادة الشريعة الإسلامية ومادة الشريعة لغير المسلمين، نجح فيما بتقدير جيد، وجيد في كلية الحقوق يعادل الامتياز في كليات أخرى، فالدراسة صعبة جداً لأنها طويلة جداً، والكتب كبيرة فقد تصل المادة إلى أكثر من ١٠٠٠ صفحة.

لم يكن مهتماً أبداً بالسياسة، ولكنه لبى دعوة اتحاد الطلبة في الانضمام لإحياء ذكرى الشهيد سليمان خاطر، هتف معهم، وسار في المسيرات الجماعية التي جابت الجامعة كلها، وعندما زاد عدد الطلاب أعلن القائمون على تنظيم المسيرات الاعتصام حتى طرد السفير الإسرائيلي من القاهرة، فجاءت الأوامر باعتقال الجميع، فانقض الأمن عليهم، وقبض على من قبض، وهرب من هرب ومنهم عمرو.

— ألو.... انت فين يا عمرو؟

- أنا فى الشارع.
- الحمدلله، دول بيدوروا عليك هنا فى الجامعة، أو عى تروح  
البيت، دول قبضوا على أغلب المشاركين فى الاعتصام.
- بس أنا كنت واقف بس، لا نظمت ولا هفت حتى،  
وانتم عارف يا باسل إن أنا ماليش فى السياسة.
- أنا قلت لك وخلاص، اللي بيقبضوا عليه بيروح ورا  
الشمس، ما فيش حد أصلًا هيتحقق معاك.
- أمال هي عملوا معانا إيه؟
- اعتقال على طول.
- ياخبر أسود، اعتقال؟!
- أقل ما فيها ١٥ سنة، حاول تشفوف لك حته تستخبي  
فيها.
- والجامعة؟!
- جامعة إيه دى الوقت ! انفد بجلدك يابنى آدم.
- حاضر.
- بكى عمرو الذى عاش حياته كلها جانب الحائط،  
لا سياسة ولا مظاهرات، وقرر أن يتصل بوالده الذى يستطيع  
وحده أن يساعده ويخرجه من هذه الحيرة.

- امتنى حصل الكلام دا؟
- النهاردة.
- طب انت فين دى الوقت يا حبيبي؟!
- أنا ورا السنتر، هنا في بين السريات.
- خليلك مكانك، أنا جاي لك حالاً.
- أعطى له والده ألف جنيه أو أكثر قليلاً، فقد أعطاه كل إيراد السنتر وقال له :
- تركب دى الوقت، وتروح سوهاج عند عمك عبدالرؤوف في المنشأة، او عى تتحرك من هناك إلا لما اتصل بيكم.
- حاضر يابا با.
- أخذ محمود الموبايل واتصل بأخيه عبدالرؤوف الذي أجابه.
- يشرف يا أخوى، لو ماشالتوش الأرض، نشيله فى قلوبنا، دا ولدنا يامحمود، انت بتقول إيه؟! عيب عليك، واطمن، طب يبقى راجل اللي ييجى ياخده من هنا.
- دا العشم برضه يا أخوى.
- ظل هارباً خمس سنوات حتى أكلته الحيرة، وحطمه بعد عن أسرته والخوف الملازم له أينما ذهب.
- يابا با أنا تعبت قوى، وعاوز أرجع.

— فيه حد عندك قصر معاك يا عمرو يا ابني؟

— لا أبداً، بس انتم وحشتوني.

وأخذ يبكي.

— طب خليك مكانك، أنا هاسأله بكرة في الجامعة،  
واشوف الموقف إيه، وأقول لك يا ابني، واطمن، أكيد  
الموضوع اتنسى، دا مافيش ولا واحد جه عندنا الشقة، ولا  
طلبونى عشان يسألونى عنك، أو عن مكانك، اطمئن يا  
ابنى، بس خليك مكانك، وما تجييش إلا لما أبعث لك.

اتصل محمود الشرقاوى باللواء سمير التونى فهو عميل  
قديم فى السنتر وترتبطه به علاقة طيبة.

— ادينى اسمه ياحاج محمود وبكرة إن شاء الله أرد عليك  
وأقول لك موقفه بالظبط.

وكانت الصدمة الكبيرة التي لم يستطع محمود الشرقاوى  
أن يصنفها، أهى سعيدة أم حزينة.

— مين اللي قال لك إن ابنك مطلوب أو له ضبط وإحضار؟!  
— واحد زميله.

— ياراجل، دا انت راجل متعلم، إزاي تعمل كدا؟! الولاد  
ضاع، ومستقبله راح ب بلاش.

— إيه اللي حصل يا افندي؟

— عمرو اترفه من الكلية لتجاوز سنوات الرسوب، عمر مش مطلوب في أي حاجة، كان لازم يروح الكلية ويحضر الامتحان أو يقدم اعتذار.

— يعني ابني دى الوقت مطلوب؟

— لا، ابنك اتصرف بغياء، ومشي ورا وهم خمس سنين، وضعيف مستقبله بيأيده.

تنفس الصعداء:

— مش مهم، الحمد لله إنه صاغ سليم، أنا محتاجه، يقف جانبي ويمسك السنتر، الحمد لله، قدر الله وما شاء فعل.

دخلت خلود لعمرو في غرفته:

— إيه يا ابني، بقى لي ساعة باكلمك، انت كنت سرحان في إيه، معقوله مش سامعني يا عمرو؟!

— كنت سرحان في اللي حصل لي.

— أه والله، عندك حق، دا فيلم عربى ساقط، مش ممكن حد يصدق اللي حصل لك دا يا عمرو، ربنا يكون فى عونك، بس الحمد لله انت عندك سنتر كبير وبasha وألف واحدة تتنماك.

— يعني فكرك إنى لو اتقدمت لواحدة صاحبتك، ممكن توافق؟

- طبعاً، دى هتتجنن، ومستنية اليوم دا.
- هى كلمتك، وانت إزاي تخبي علىّ؟
- ما انت عامل تقيل، وماقلتليش أى حاجة ياعريس.
- أنا رايحة لها دى الوقت، تعالى وصلنى، وأنا اخلص لك الموضوع.
- بس المشوار بعيد والساعة دى الوقت ٨، عقبال ما نوصل تكون عشرة، ميعاد مش مناسب.
- ليه بقى؟! دول خمس دقايق، دا بولاد الدركور أهى.
- وهى تشير بيديها اليمىنى.
- انت قصدك مين؟!
- انت اللي قصدك مين؟!
- فرحة زميلتك، اللي فى المعادى.
- ياخبر أبيض، إيه لم الشامى على المغربي، أنا كنت بافكر فى سماح، دى بتحبك من زمان.
- معقوله دى؟! والله ما أعرف، أنا باعتبرها زيڭ بالظبط، أختى يعني، لكن نفسى أخطب فرحة، بس أكيد مش هتوافق، أنا عارف.
- ليه بقى هى تطول؟ بس أنا ماليش دعوة، ماباحبتش

الكلام فى الحاجات دى، أهى عندك كلها انت  
بنفسك.

قال لها عمرو متنهكمًّا :

— أنا عارف إنك ما بتتكلميش إلا فى الفلسفة والفلاسفة.  
— ومين سمعك.

وهى تترکة وتنجحه لخارج الغرفة: أنا هابتدى أقرا  
رسالة الدكتور كعابيش عن ابن سينا قبل ما انشرها على  
صفحة أفكار فلسفية، تصبح على خير.  
— وانت من أهله.

عادت خلود إلى غرفتها، وبدأت تقرأ.

ابن سينا، هو أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن  
بن على بن سينا، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما.  
ولد في قرية أشنة الفارسية سنة ٣٧٠ هـ : ٩٨٠ م  
م : ١٠٣٧ م وتوفي في همدان، عرف باسم الشيخ الرئيس  
وسماه الغربيون بأمير الأطباء.

عاش ابن سينا في أواخر القرن الرابع الهجري وبدايات  
القرن الخامس من الهجرة، وقد نشأ في أوزبكستان، حيث  
ولد في «خرميش» إحدى قرى «بخارى» في أغسطس ٩٠٨ م.  
وتلقى تعليمه في سنوات تشكله الأولى على يد أبيه.

كان والده أحد مشايخ الطائفة الإسماعيلية، وهي طائفة من المسلمين ترتكز أفكارها على نمط من الأفلاطونية الجديدة.

ورغم أن ابن سينا لم يتبع أبداً معتقدات والده، إلا أنه استفاد جداً من حقيقة أن الكثير من العارفين حينها كانوا يجتمعون في البيت عند أبيه للحديث والمناقشة. ولما أصبح في عمر عشر سنوات، كان ابن سينا قد أصبح حافظاً للقرآن مثلما حفظ الكثير من القصائد العربية وغيرها من الأعمال الأدبية وسرعان ما أخذت هذه الاندفاعة المبكرة للمعرفة ابن سينا إلى أساتذة المنطق والغبييات البارزين. وحين بلغ الثامنة عشرة من العمر أحس أنه لم يعد بحاجة لعلمه هؤلاء فمضى يواصل دراسته بنفسه، وهكذا حصل معرفة عمقة في علوم الطب والشريعة والغبييات.

ومما كان له أبلغ الأثر في تطوره الفكري تمكنه من الاطلاع على موجودات المكتبة الغنية في قصر السمنديين، وهو أول حائلة حاكمة كبيرة من أصول محلية ظهرت في فارس بعد الفتح العربي لها. وقد سمح لابن سينا بدخول تلك المكتبة العظيمة بعد نجاحه في علاج الأمير نوح بن منصور السمندي من مرض عجز كل أطباء عصره المشهورين عن علاجه.

حتى إذا بلغ العشرين من عمره توفي والده، فرحل أبو على الحسين بن سينا إلى جرجان، وأقام بها مدة، وألف كتابه القانون في الطب، ولكنه ما لبث أن رحل إلى

«هعدان» فحقق شهرة كبيرة، وصار وزيرا للأمير شمس الدين البويهي، إلا أنه لم يطل به المقام بها، ففي عام ١٠٢٢ توفى شمس الدولة ليجد ابن سينا نفسه وسط محيط غير مريح، وتسبب موت راعيه في مرحلة من المصاعب بلغت ذروتها بسجنه، ولحسن حظه، استطاع ابن سينا أن يهرب إلى أصفهان، ٢٥٠ ميلاً جنوب طهران، مصحوباً برهط صغير من أعوانه وقرر أن يستقر فيها. وفعلاً قضى في أصفهان ١٤ عاماً في طمأنينة نسبية. وفيها أنهى كتابه «القانون في الطب» كما أنهى أيضاً كتابه الشهير الآخر كتاب «الشفاء».

لم يكن تركيز خلود كاملاً، فهو قد انشغلت بأخيه الطيب الذي تحمل مالاً يتحمله بشر، وضاع مستقبله دون أى سبب، فقررت أن تتدخل لتساعده.

— ألو.... ازيك يا فرحة؟

— ازيك يانجمة النجوم؟

— دا كله بتوجيهاتك يا سيادة مقرر الأسرة.

— بصراحة ياخليو انت رجعت لي الثقة في الطلبة، وفي شباب مصر عموماً، كنت فاكراهم كلهم تافهين، وعمرهم ما بيهموا إلا بالرحلات والحفلات.

— مش كدا وبس، وجايبة لك هدية كمان.

— ياشيخة، باحسبك هتقولى لي جايبة لك عريس؟

- فعلاً، أنا جايبة لك عريس، أمور قوى وغنى وطيب جداً وعنه شقة وعربية ووحيد أبوه وأمه وأخته.
- دا مين العريس اللقطة دا؟! لايبيني عليه.
- عمرو أخوى، تتجوزيه؟
- أتجوزه، وأتجوز أبوه كمان.
- وهى تضحك، فتضحك كلود ويبدو وجهها مشرقاً.
- المهم هو شافنى كوييس يعني، وعجبته؟ هو محامى مش كدا؟
- وهيمان ياستى وبىحبك قوى، بس أخوى متربى كوييس، ومتدين، ما ينفعش يدخل البيت إلا من بابه.
- لأ، بس لازم نتكلم الأول، وناخد على بعض، هو بصراحة أمور وأنا شفته، وعاجبنى، بس لازم نتكلم ونشوف هنفهم بعض ولا لأ.
- اتفقنا، بس فيه سر أنا لازم أقول لك عليه، عمرو اترفد من كلية الحقوق فى سنة رابعة، وقصت عليها القصة وقالت :
- دا لازم يفضل سر بينى وبينك.
- سرازى ياخلود؟! لازم بابا وماما يعرفوا، ولو بابا عرف مش ممكن يوافق، عمرو.. ماتزعليش منى ياخلود، كدا معاه يادوب ثانوية عامة، وبابا مصر إنه يجوزنى واحد

معاه دكتوراة أو على الأقل ماجستير، متهيأً لـ الموضوع  
كدا اتعقد.

— طب قولى لوالدك، وردى علىَّ.

— أنا عارفة أبوى كوييس، دا دايماً يقول إن الليسانس  
والبكالوريوس دول مش مؤهل عالي دى الوقت، فـى  
الزمن دا لازم تكونى حاصلة علىَّ الدكتوراة عشان تقولى  
أنا معـاـى شهادة، مش ممكن يقبل أبداً، أنا آسفة  
ياخلود، أنا مش هقدر أقول لبابا.

وما إن أنهـت خلود المـالـة حتى قـرـرت أن تـفـكـرـ كـيـفـ  
تسـاعـدـ أـخـاـهاـ وـتـنـقـذـهـ منـ بـحـرـ الحـزـنـ الذـىـ سـيـسـقـطـ فـيـهـ حـتـماـ.

— بص ياعمرـو أنا عـاـوزـاكـ تـبـصـ بـعـيـنـ تـانـيـةـ عـلـىـ سـماـحـ،  
دىـ بـتـحـبـكـ، وـأـنـاـ بـصـراـحةـ حـاسـةـ إـنـ فـرـحةـ مشـ هـتـنـفـعـكـ.

— ليه ياـخلـودـ فـىـ دـقـيقـةـ وـاحـدـةـ غـيـرـتـ كـلـامـكـ؟ـ!

— أنا قـلتـ لـكـ رـأـيـيـ، خـدـ اللـىـ تـحـبـكـ تـفـضـلـ مـرـتـاحـ الـبـالـ.

— شـكـراـ يـافـيلـسـوـفـةـ.

— عمـومـاـ دـاـ رقمـ فـرـحةـ وـدـاـ رقمـ سـماـحـ، نـصـيـحـتـىـ لـيكـ انـكـ  
لاـزمـ تـتـكـلـمـ معـ الاـتنـيـنـ، وـفـيـهـ شـهـادـهـ حقـ لـازـمـ أـقـولـهـاـ :ـ  
سـماـحـ صـارـوخـ يـابـنـىـ - وـهـىـ تـضـحـكـ - وـمـاـ أـقـدـرـشـ أـفـسـرـ  
أـكـثـرـ مـنـ كـداـ.

— قصدك إيه؟ !

سماح ملتزمة بالحجاب، لأنها متدينة، فطريقة لبسها سلفي، من النوع اللي يخليك تحس إنها وحشة قوى، ودا مقصود عشان ماتلتفتش نظر الرجالـة، لكن احنا عشان بنات زى بعض بنقعد على راحتنا فى البيت، سماح مزة آخر حاجة، بص يا ابن المحظوظة، يعني أجمل مني أنا وفرحة بكثير، كلها واتفاهموا على كل حاجة.

استطاعت خلود أن تنقذ أحدها من صدمة محتملة فأقنعته بسماح، ودعت الله أن يوفقهما معا.

كل يوم تشعر خلود أنها تغيرت، تستطيع أن تفكـر بشكل أعمق وأجراً، تجد حلولاً لكل المشكلات، فتشكر الله أنها تعرفت على الشخص الذى علمها كيف تبحث وتفكر بطريقة صحيحة فى كل شئ.

عادت خلود إلى غرفتها لتكمـل ما بدأته عن ابن سينا.

— كنت وصلت لغاية فين ؟ أيوه...

رحل ابن سينا إلى أصفهـان وحظـى برعاية أميرها علاء الدولة، هناك أصاب جـسده المرض واعتلـ، حتى قـيل إنه كان يمرض أسبوعاً ويشفـى أسبوعاً، وأكثر من تناول الأدوـية، ولكن مرضـه اشتـد، وعلم أنه لا فـائدة من العـلاج، فأهـمل نفسه وقال: «إن المـدبر الذى فى بدئـى عـجز عن

تدبير بدني ، فلا تنفعنَّ المعالجة» ، واغتسل وتاب ، وتصدق بما لديه من مال للفقراء ، وأعتق علماً طلباً للمغفرة ، وتوفي في يونيو ١٠٣٧م ، في سن الثامنة والخمسين من عمره ، ودفن في همدان ، إيران.

كتابه «الإشارات والتنبيهات» هو الذي ذهب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلاً إلى الأديان ، فهو مؤسس الاتجاه الفلسفى الذى تحدى العقيدة وفكرة النبوة والرسالة فى الإسلام ، وكان يقول بقدم العالم ، وإنكار المعاد ، ونفى علم الله وقدرته وخلقـه العالم وبعثـه من فى القبور.

وذهب ابن سينا مذهب الفلسفـة من أمثال الفارابـي أبـى نصر التركـى الفيلسوفـ، وكان الفارابـي يقول بالمعاد الروحـانـى لا الجسمـانـى ، ويـخصـصـ بالـمعـادـ الأـروـاحـ العـالـمـةـ لاـ الجـاهـلـةـ ، وله مذاهـبـ فىـ ذلكـ يـخـالـفـ المـسـلـمـينـ وـالـفـلـاسـفـةـ منـ سـلـفـهـ الأـقـدـمـينـ ، وأـعـادـ تـلـكـ الفـكـرـةـ ابنـ سـيـناـ وـنـصـرـهـ ، وـقـدـ ردـ عـلـيـهـ الغـزـالـىـ فـىـ «ـتـهـافـتـ الـفـلـاسـفـةـ»ـ فـىـ عـشـرـينـ مجلـساـ لـهـ كـفـرـهـ فـىـ ثـلـاثـ مـنـهـاـ وـهـىـ قولـهـ بـقـدـمـ الـعـالـمـ ، وـعـدـ المـعـادـ الجـسمـانـىـ ، وـقولـهـ إـنـ اللـهـ لـاـ يـعـلـمـ الـجـزـئـاتـ ، وـبـدـعـهـ فـىـ الـبـوـاقـىـ.

لا شك أن صحبـتـهـ لـفـلـاسـفـةـ الـبـاطـنـيـةـ (أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ النـائـىـ)ـ الـذـىـ عـلـمـهـ فـىـ صـغـرـهـ قدـ أـثـرـتـ فـىـ تـفـكـيرـ اـبـنـ سـيـناـ ، وـهـيـأـتـهـ لـلـدـورـ الـذـىـ لـعـبـهـ فـىـ تـنـشـيـطـ تـيـارـ الـفـلـاسـفـةـ وـاتـخـاذـهـ

موقف التحدى للعقيدة الإسلامية، ومثال على ذلك «نظيرية المعرفة» والتى ساوى فيها بين الفلسفه والأنبياء، وقد خص الفلسفه بميزة أخرى وهى أن الفلسفه استمروا فى رسالتهم وارتقاء معارفهم فى الوقت الذى ختمت النبوة .

وكان اتباعه يدعون بـ«الأئل» وقالوا مقالته، ومن أشهرهم النصير الطوسى واسمه محمد بن عبد الله، ويقال له الخواجة نصير الدين، الذى انتصر لمذهب ابن سينا والذب عنه، وشرح إشاراته، وكان يسمىها «قرآن الخاصة»، ويسمى كتاب الله «قرآن العامة»، ورد على الشهيرستانى فى مصارعته ابن سينا بكتاب سماه «مصالحة المصارع».

وما إن انتهت من قراءة ابن سينا حتى نشرت الموضوع على الصفحة فجاءت أولى التعليقات من فرحة.

— أشكر صديقة عمرى وحبيبتي على الحاجات الجميلة اللي بتعملها عشان أصدقاءها (الحدق يفهم).

— طبعا فاهمة، أى خدمة يا فرحة.

## تطورات فلسفية

الساعة التاسعة صباحاً في بين السريات، خلود بعدما تفتح عينيها تفتح صفحة «أفكار فلسفية» لتقف على مدى التفاعل، وتردد على الرسائل لتعطى حيوية للصفحة، فكل رسالة تنتظر الرد، وكل سؤال يبحث عن إجابة، ولكنها وجدت كل شئ قد تم على أكمل وجه؛ فالدكتور كعابيش خلق تواصلاً رائعاً بينه وبين أعضاء الأسرة، «شات جماعي» وحواراً مباشراً على الصفحة، الأعضاء يسألون وهو يتفاعل معهم بشكل مباشر ويجيب عن جميع الأسئلة، طافت خلود بالصفحة وراحـت تقرأ الأسئلة والإجابات الرائعة التي كتبها كعابيش، وأخذـت تعلق تحت الأسئلة بشكره وفضله على تلاميذه الذين يحبونه ويقدرون تطوعه بهذا الجهد الكبير.

— نقرأ كثيراً في المنهج كلمات ومصطلحات غامضة فهل يمكنكم إيضاحها وتبسيط معناها.

علق الدكتور كعابيش قائلاً :

— لأن الأستاذة خلود غير موجودة على الصفحة الآن، فأنا معكم لمدة ساعة ومستعد للرد على كل الأسئلة وإيضاح ما يلزم من إيضاح وتبسيط الصعب.

د. كعابيش... رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة.

تفاعل الطلبة فانهالت الأسئلة، وراح كعابيش يرد عليها:

— ما هو معنى كلمة الأنثولوجيا؟!

— هي علم اجتماعي يفسر الظواهر من أحوال الشعوب، ويدرس أنماط حياتها المادية والروحية.

— أشكوك يادكتور، طب إيه معنى الأستقراتية.

— الأستقراتية هي كلمة يونانية وهي ضد الديمقراطية، لأنها حكومة طبقة معينة ومحدودة، تستولى على السلطة عن طريق الوراثة.

— أشكوك حضرتك يادكتور، طب إيه معنى الاستبطان؟

— يطلق عليه معان منها دراسة الصفات النفسية بالتجربة والاختبار، ومنها عملية التذكير بالماضي القريب والبعيد.

— أنا آسفه يادكتور آخر سؤال عشان أفسح المجال لباقي الطلبة، عاوزة أعرف معنى كلمة الاستقراء؟

— الاستقراء في اللغة : يعني تتبع الأمور لمعرفة أحوالها وخواصها، وفي الاصطلاح : الحكم على الكلى بما تحقق

في أفراده وجزئياته، فإن عدم التتبع والفحص جميع الأفراد والجزئيات كان الاستقراء تاماً، وإن وقف عند عدد محدود من الأفراد والجزئيات كان الاستقراء ناقصاً.

— طب والاستنباط يادكتور؟

— مع إنك قلت آخر سؤال أنا هاجاوبك، بس سيبى فرصة لزمايلك، الاستنباط هو استخراج المعنى من النص أو النتيجة من مقدماتها بعد الفرض أنها صحيحة.

شعر كعابيش بسعادة من إيجابيته الجديدة التي يعيشها واندماجه الذي جعل الحيوية تسرى في روحه:

— أنا معاكم لو فيه أسئلة من حد تاني، اتفضلوا.

— أنا حضرتك أحمد من أولى فلسفة.

— أهلاً يا أحمد، عندك سؤال؟

— هما خمس اصطلاحات مش عارف معناهم.

— افضل، أنا معاك، بس اصطلاح واحد فقط ثم الذي يليه كى تعم الفائدة ولا يحدث أى لبس ويستفيد باقى الأعضاء.

— تمام يادكتور، أكاديمية.

— «أكاديمية» هي مدرسة أسسها أفلاطون تطل على بستان أكاديموس، وهو بطل قديم، فنسبت إليه المدرسة.

— شكرًا يادكتور كنت عاوز أعرف معنى الإمبريالية.

— «الإمبريالية» : أخذت هذه الكلمة من كلمة إمبراطور، وستعمل الآن في أعلى مراحل الاحتياج والإستعمار الجديد الذي يضغط على الشعوب المستضعفة سياسياً، ويحاصرها اقتصادياً، ويُؤلب عليها الأتباع والأذناب بالانقلابات الرجعية وإيقاد الفتنة والقلق وما إلى ذلك حتى تستسلم بكل ماتملك من أقوات ومقدرات لإرادة المحتكريين والمستغلين.

— ما المقصود بالانتخاب، وما معنى الانتحال؟

— الانتخاب عند دارون قانون طبيعي، يعني تنازع البقاء، وبقاء الأقوى، أما الانتحال فهو تطور مقلوب من الصحيح إلى الفاسد، ومن التمام والكمال إلى النقص والانتحال.

— شكرًا يادكتور، عندي سؤال تاني.

— اتفضل.

— ماذا تعنى كلمتي : الانطولوجيا والأيديولوجية؟

— الانطولوجيا : تعنى الأمور العامة التي تشمل جميع الموجودات : الواجب والممكن والجوهر والعرض، أما الأيديولوجية فهى كلمة تعنى نسقاً من الأفكار والآراء السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية والدينية والفلسفية.

- أنا عارف انى طولت على حضرتك يادكتور، بس آخر اصطلاح.
- اتفضل.
- الأيكولوجيا، ما المقصود بهذا الاصطلاح؟
- الأيكولوجيا : هي كلمة يونانية الأصل، أطلقت على العلم الحيوانى والنباتى ، وهو فرع من علم الحياة الذى يبحث فى العلاقة بين البيئة والكائنات الحية.
- كله تمام يا ولاد، فيه حد عنده سؤال تانى؟ أو استفسار؟
- أيوه حضرتك ، ممکن أعرف معنى « البراجماتية »؟
- البراجماتية باختصار أن كل ما يؤدى للنتائج المرجوة فهو حق ، وكل مالا يؤدى إلى هذه النتائج فهو باطل ، إن الكلمة الحق وكلمة النفع كلمتان مترادافتان ، فنقول عن فكرة أنها حق لأنها نافعة ، ونقول عنها إنها نافعة لأنها حق ، والقولان فى المعنى سواء ، وهذا أيضاً معيار الأخلاق ، فالذى يجعل الفعل فضيلة هو أنه فعل ناجح ، فالبراجماتية هى الاعتقاد بأن الصادق باختصار هو النافع فقط فيما يتعلق بالفكرة ، كما أن الصواب هو النافع فيما يتعلق بالسلوك.
- تمام يادكتور، طب و « البرجوازية »؟

— البرجوازية : هي طبقة متوسطة بين النبلاء وأبناء الشعب العاديين، ويتميز افرادها بثقافتهم ودخلهم وممارستهم لإحدى المهن الحرة، أما في اصطلاح الماركسيين فالبرجوازيون هم الذين يمثلون النظام الرأسمالي.

— ماهي البريونية؟

— «البريونية» نسبة إلى الفيلسوف اليوناني بيرون، ويدعى هذا الفيلسوف إلى أن الحقيقة لا يستطيع أحد إدراكتها والعلم بها، وعليه فمن الأفضل التوقف عن الحكم على أي شئ من الأشياء.

— شakra يادكتور آخر سؤال، إيه هو «التجريد»؟

— من أحسن خصائص التجريد أن يبحث الشئ من حيث هو وبصورة عامة دون النظر إلى جوانبه وصفاته الخاصة، فإذا استخرجت النتيجة من دليل مسلم به تكون النتيجة صحيحة ومسلمًا بها أيضا سواء أمكن تطبيقها أو تعذر ذلك - مثلاً - إذا بحثنا : هل المادة صلبة وساكنة كما تبدو للعيان أو هي ذرات متحركة؟ جرى البحث فيها بغض النظر عن كونها حية أو غير حية، وإذا بحثنا اللون وصلته بالبصر جرى البحث فيه بصرف النظر عن كونه أبيض أو أسود.

— ماهو «التصوف»؟

- طريقة سلوكية، قوامها التقشف والتخلّى عن الرذائل والتحلّى بالفضائل.
- أشكر حضرتك يادكتور، كنت عاوز أفهم المقصود من اصطلاح «التعمية».
- التعمية مذهب سياسى يعارض نشر المعرفة والثقافة فى جميع فئات الشعب لما قد ينشأ عنها من وعى يضر بالسياسة المستقرة، ويقابل التعمية حركة التنوير.
- ما هي «التكنوقراطية»؟
- هي اتجاه ظهر حديثاً فى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض البلاد الأوروبية ومؤداته أن الرأسمالية والاحتكارات الصناعية لا عيب فيها، وإنما العيب فى إدارة الدولة ورجالها السياسيين، تماماً كما نقول نحن : ليس الذنب ذنب الإسلام، وإنما الذنب ذنب المسلمين.
- وبعد رده على هذا السؤال كتب كعابيش : أستأذنكم ربع ساعة راحة ولكن انتم اكتبوا عادى كل الأسئلة وأنا هاردد بعد ربع ساعة... تحياتى وتقديرى لكم جميعا..
- د. كعابيش.

بدأ الطلبة يطرحون الأسئلة :

- ماهي التكنولوجيا؟

- ماهو التلبائي؟
- مادا يعني اصطلاح التيوقратية؟
- ماهو التعريف الفلسفى لكلمة ثقافة؟
- ماهي الاثنينية؟
- ما معنى كلا من الاصطلاحات الآتية : الجبرية ، الجدل ، الجشطلت ، الجوهر ، الحتمية ، الحس المشترك ، حلم اليقظة .
- أرجو من حضرتك توضيح معنى حيوية المادة ، الخاصة ، الخلاء ، الديمقراطية .

قرأت خلود الأسئلة وردود الدكتور كعابيش عليها ، ورأيت أن تتصل به كى يرد على باقى الأسئلة ، وخطرت ببالها فكرة جديدة ، وهى أن يتولى الدكتور كعابيش الرد كل يوم خميس من السادسة مساء حتى التاسعة كما حدث اليوم ولكنها لن تنشر هذا الخبر إلا بعد موافقته .

— ما شاء الله يادركتور كلنا بنفرح لما حضرتك بتكون معانا ، الساعة كانت ٣ صباحاً وحضرتك بتترد على أسئلة أعضاء الأسرة ، إيه رأى حضرتك لو نخصص موعد أسبوعى للقاء مفتوح مع الطلبة للرد على جميع الأسئلة والاستفسارات؟

— قوى ، قوى ، أنا كمان هارد دى الوقت على الأسئلة

المطروحة كلها.

— اتفضل سيادتك، مع السلامة.

— مع السلامة ياخلود.

التواصل مع الطلبة أدخل السعادة لقلب د. كعابيش فلم يعودوا تلاميذه فقط بل أصبحوا جمیعاً أصدقاءه وأحبابه وأصبح يمثل لهم نموذجاً للمعلم المثالى.

ما زالت نادية تطبع كل ما ينشر على صفحة أسرة أفكار فلسفية، فهي قبلت أن تتتجسس على كعابيش وأسرته الفلسفية كى تعطى لزوجها سمير السلاح الذى يقضى به على كعابيش ويزيحه من طريقه، ولكنها رغم كل شئ لا تستطيع أن تخفى احترامها له رغم الخصومة التى تبنتها إرضاءً لزوجها فدخلت وكتبت على الصفحة:

— لن تضيع مصر أبداً مadam فيها علماء يملكون هذه الروح والعطاء «كدا لازم ننطمبن على مصر».

فقال كعابيش معلقاً :

— كل الشكر والتقدير لحضرتك لكنى اختلف مع سيادتك، الأمل فى الشباب الذين يتلقون العلم ويستخدمونه للوصول إلى حياة أفضل، فإذا ما قدر الشباب الفكر والفلسفة واستخدموها الفكر فى وضع حلول لمشكلاتهم ورؤى لمستقبلهم فستتحتل مصر مكانها المناسب.

## تفاعل أحد المتابعين على الصفحة :

- لكن يادكتور حتى لو احنا قدرنا نفكر زي ما حضرتك بتقول، إزاي نقدر نطبق أفكارنا دي؟! فيه ناس في البلد دي بينفذوا «التعمية» اللي حضرتك كنت بتشرحها لنا امبارح، وبيخافوا من المعرفة، وبيحاولوا يلهموا الشباب بالجنس والمخدرات والكرة والسينما الهاابطة ويحافظوا على نسب الأمية والتخلّف الفكري.
- مش عاوزك تتعامل مع الواقع المأزوم اللي احنا فيه ده بالاستسلام والانهزامية دي، نصيحتى ليك انك ما تخطييش أبعد من الخطوة اللي احنا فيها دي الوقت.
- إيه هي الخطوة اللي احنا فيها دي الوقت يادكتور؟!
- الخطوة الأولى للتغيير أى شئ وكل شئ هي المعرفة والتعود على التفكير بعمق وإيجاد حلول بديلة.
- تابع نادية كل ما يكتبه فأدركـت ان كعابيش فقد دبلوماسيته وبـدأ يقع فى المحظور، فـهذه الجمل تـكفى لـبقاءـه فى مـعتقلـات أـمن الدولة حتى الموت ، وليس ترك رئـاسـة القـسم لـسمـير فـقطـ، فـبدأت تـطبعـ المـحادـثـةـ الأخيرةـ حتى صـارـ المـلـفـ كـامـلاـ، عـلـ سـمـيرـ يـرضـىـ عـنـهـاـ.
- كتبـ كـعـابـيـشـ عـلـىـ صـفـحةـ أـفـكـارـ فـلـسـفـيـةـ عنـوانـاـ جـانـبـياـ.

اعتذـارـ :

— لازم اعتذر لأنى قلت لكم امبارح إنى هاربح ربع ساعة  
وأجى أكمل الرد على الأسئلة لكن غلبني النوم، فانا  
مش شباب زيكم ومش واحد على السهر.

دخلت خلود وكتبت تعليقاً :

— كل الشكر والتقدير لعلمنا العظيم الذى نحبه حباً عظيماً  
مثله، ونتمنى من الله أن يظل دائماً شاباً كما هو،  
وأحب أن أعلن أن سيادته قد وافق على موعد يستقطعه  
من وقته الثمين لنا يوم الخميس من الساعة ٦ إلى ٩  
ليرد على جميع الأسئلة.

— شكرأً ياخلوه، ودى الوقت هارد على الأسئلة بتاعة  
امبارح وبعدين أستقبل الأسئلة الجديدة، وأبدأ في الرد  
على حسام عن التكنولوجيا، هذه الكلمة العلمية والفلسفية  
أصلق الكلمات بالحياة، وأكثرها استعمالاً بحكم معناها  
الشامل، هي كلمة تعبر عن دراسات الإنماء والتكمال  
بكل ما تنطوي عليه من البحوث العلمية في الصناعة  
والزراعة والنقل وغير ذلك مما يدل على مستوى  
حضارى يفرق بين المتقدم والمتخلف من الشعوب.

— راح كعابيش يقرأ السؤال التالى ماهى «التلباشيا».

— التلباشيا هي ظاهرة نفسية، تقوم على الاتصال بين

نفس ونفس على ما بينهما من بعد بحيث يفهم كل  
منهما مراد الآخر مباشرة وبلا وساطة.

— «الثيوقراطية» هي كلمة يونانية، وتعنى الدولة الدينية  
مثل حكم البابوات فى القرون الوسطى.

— أما بالنسبة لتعريف «الثقافة» فهى فى اللغة تعنى  
الحذاقة، وبالمعنى الذى نفهمه الآن، أن يتعدى العالم  
حدود اختصاصه بعلم من العلوم إلى الاطلاع والإلام  
بالتراث وما يمكن العلم به من جديد مفيد، وخاصة  
الأفكار والتيارات السائدة فى عصره على أن ينظر إليها  
وإلى الحياة والمجتمع نظرة صحيحة، أما العالم الذى  
يقف عند مهنته ويحمد على دروسه فهو تماماً كالأخرج  
يسير على قدم واحدة.

وما إن أجاب السؤال المتعلق بالثقافة اعتقاداً منه بأنه  
السؤال الأخير كما رأى، ولكن رأى إقبالاً كبيراً للطلبة وأسئلة  
جديدة، فراح يستقبلها كى يرد عليها بمنتهى السعادة والرضا.

— ماهى «الاثنينية»؟

— هى فرقة تدين بإلهين : إله الخير وإله الشر، لأن فى  
العالم خيراً وشراً ونوراً وظلمة ومن يخلق الخير والنور  
لا يخلق الشر والظلمة، وكان المسلمون الأوائل يشيرون إلى  
من يذهب إلى هذا الرأى بكلمة الزنديق.

— ما معنى كل من الاصطلاحات الآتية : «الجبرية» ،  
«الجدل»؟

الجبرية هي المذهب القائل بأن الإنسان مسير لا مخير،  
أما «الجدل» فهو في الأصل فن الحوار والمناقشة ، وعند  
سocrates تفنيد رأى الخصم باستدراجه بإلقاء الأسئلة عليه  
إلى أن يجيء بعبارة تناقض قوله ، فيستسلم مرغماً.

— ما هو معنى اصطلاح «الجشطلت».

الجشطلت هو لفظ مانى معناه الشكل أو الصورة،  
ومعنى الصورة هنا الصورة الخارجية من جهة ، والبنية  
الباطنية والتنظيم الداخلى من جهة ثانية.

— ماذا يعني مصطلح «الاحتمية»؟

الاحتمية هي المبدأ القائل بخضوع الأشياء للقوانين  
الضرورية ، وبهذه الاحتمية يتربأ الطبيب بما سيحدث من  
الأمراض عن طريق العلم بأسبابها ، وأيضاً بهذه الاحتمية  
توضع القوانين العلمية القائمة على الاستقراء ، ولولاها  
لانسد باب العلوم ، وقد ظهرت الأفكار الاحتمية في الفلسفة  
القديمة ، وكان أكثر الذين سلموا بها الذريون القدماء ،  
وجرت البرهنة على مفهوم الاحتمية على يد العلم الطبيعي  
والفلسفة المادية عند بيكون وجاليليو وديكارت ونيوتون.

— ماذا يعني مصطلح «الحس المشترك» ، «حلم اليقظة»؟

— الحس المشترك هو الذى يشتراك فيه الكبير والصغير والجاهل والعالم، بل الإنسان والحيوان فى كثير من المحسوسات، ومنه ما نكون على يقين من وجوده بالحس الظاهر كالطعم واللون والريح، ومنه ما يدرك بالحس الباطن كالجوع والشبع واللذة والألم.

أما حلم اليقظة فهو هذيان المخيلة المريضة حيث ينفصل الإنسان عن نفسه وواقعه وعن العالم بكامله، ويرتقى إلى عالم الوهم يبني فيه الدور والقصور ويستوی على عرش الأمر والنهى وهو في الحضيض.

— أرجو من حضرتك توضيح معنى «حيوية المادة»، «الخاصة»، «الخلاق»، «الديمقراطية» .

بدأ يظهر الإرهاق على كعابيس، فقد فمر من الزمن ساعتان وهو أمام اللاب توب يجيب على أسئلة الأعضاء، فكتب على الصفحة :

إلى أعضاء أسرة «أفكار فلسفية» أرجو قبول اعتذاري عن باقى الأسئلة، وأعدكم أن أبدأ يوم الخميس القادم بالإجابة عنها، وذلك لشعورى بالإرهاق.

ما إن قرأت خلود هذا التعليق حتى اتصلت به فلم يرد فهو يضع موبايله صامتا حتى يستطيع الرد على الأسئلة، ويبدو أنه نسى إعادته للوضع العام، ظلت ترن عليه خلود وهو لا يسمع ولا يرد فقررت أن تذهب بنفسها كى تطمئن عليه.

خافت عليه فتحطمت قدرتها على التحكم في نفسها  
فجرت كالجنونة ولم تفق إلا بعدما رنـت الجرس وخرج  
كعابيش وفتح الباب فرآها فاندهش.

— خلود إيه.. ليه.. خير..؟

— أنا آسفة.

صمتت ثم بكـت بصوت عالـ لأنـها أفاقـت من غـيـبـوبـة ،  
وقالت وهي تبـكي :

— كنت هاتـجـنـنـ عـلـيـكـ ، فـيـنـ تـلـيفـونـكـ؟ !

— اتفـضـلـىـ .

قالـهـاـ ، وـهـوـ مـنـدـهـشـ فالـسـاعـةـ التـاسـعـةـ وـالـنـصـفـ وـهـىـ لـمـ  
تـتـصـلـ قـبـلـ المـجـيـءـ ، دـخـلـتـ ، وـراـحـ يـبـحـثـ عـنـ التـلـيفـونـ  
الـصـامـتـ ، فـوـجـدـهـاـ قـدـ اـتـصـلـتـ بـهـ ٣٤ـ مـرـةـ .

— يـاخـبـرـ ، أـنـاـ آـسـفـ .

— بـعـدـ ماـ قـرـيـتـ عـلـىـ الفـيـسـ إـنـكـ تعـبـانـ ، وـمـرـهـقـ ، كـنـتـ  
عاـواـزـةـ اـتـطمـنـ عـلـيـكـ ، أـنـاـ عـارـفـهـ إـنـكـ مـاـ بـتـحـبـنـيـشـ ،  
وـبـكـتـ ، وـاسـتـمـرـتـ تـتـكـلـمـ وـهـىـ تـبـكـىـ ، لـكـنـ أـنـاـ مـشـ  
قادـرـةـ مـاـ أـحـبـكـشـ .

— اـنـتـ بـتـحـبـىـ فـىـ الدـكـتـورـ ، الأـسـتـاذـ اللـىـ كـانـ نـفـسـكـ  
تـلاـقـيـهـ فـىـ الجـامـعـةـ .

— أنا عارفة إنك كتير علىً.

قامت معلنة رغبتها في الرجوع لمنزلها.

— أنا هاكمـل تعليمـى، وهابـقـى دكتورـة زـيكـ.

فـضـحـكـ قـائـلاـ :

— روـحـى يـابـنتـى، أنا قد والـدـكـ.

— أنا مروحة، بـسـ بـابـاـ عـنـدـهـ ٦٣ـ سـنـةـ مشـ ٤٥ـ سـنـةـ  
يـاحـبـبـىـ.

فـضـحـكـ وـهـ يـوـصـلـهـ لـبـابـ الشـقـةـ.

— يـامـجـنـونـةـ ..

أشعلـتـ خـلـودـ حـمـاسـهـ فـقرـرـ أنـ يـفـتحـ الصـفـحـةـ وـيـرـدـ عـلـىـ  
بـاقـىـ الأـسـئـلـةـ قـائـلاـ لـنـفـسـهـ :

— حد يـسيـبـ الشـبابـ اللـىـ زـىـ الفـلـ دـولـ وـيـنـامـ، وـالـلـهـ فـيهـ أـمـلـ.

فتحـ الصـفـحـةـ وـكـتـبـ :

حاـولـتـ أـنـامـ ماـ اـقـدـرـتـشـ أـسـيـبـ سـؤـالـ منـ غـيـرـ إـجـابـةـ  
لـحدـ الصـبـحـ.

انـهـاـلتـ التـعـليـقـاتـ :

— أـلـفـ شـكـرـ يـادـكـتـورـ.

— حضرتك إنسان عظيم.

— أخ وصديق والله، ربنا يعلم احنا بنحبك قد إيه.

تأثر كعابيش بتعليقات الشباب خاصة ما جاء فيها من إشارات الصداقة والحب، ولم يشر أحد للأبوبة، فيبدو أنهم يرونها شاباً مثلهم وهذا أسعده كثيراً، خاصة بعدما سمع كلام خلود ورأى لهفتها وخوفها عليه، فهى لم تتحمل مجرد شعوره بالإرهاق.

— كان هذا هو نص السؤال الذى لم أجب عنه، سأبدا بطرحه ثم الإجابة عليه، وسأرد على كل أسئلتكم فأنا معكم يا أصدقائي.

— أرجو من حضرتك توضيح معنى «حيوية المادة»، «الخاصة»، «الخلاء»، «الديمقراطية».

— حوية المادة : تشير هذه الكلمة إلى المذهب القائل بأن المادة حية، وأنها تملك العقل والإحساس، وكان على هذا المذهب الماديون اليونانيون الأول وبعض الماديين الفرنسيين.

— الخاصة : وصف خارج عن ماهية الموصوف، ولكن يختص بها دون غيرها، ومن هنا سمي بالخاصة، وأيضا لا يمكن استقلاله بنفسه، وقد يكون ملازماً لكل أفراد النوع كالضحك، وقد يكون ملازماً لبعض أفراده مثل الكرم.

— الخلاء : هو عند الفلاسفة خلو المكان من مادة جسمية تشغله ، وبعضهم قال بجواز هذا الخلاء ، أما المحققون فقالوا بالامتناع ، واستحالة الخلاء.

— الديمقراطية : الكلمة يونانية ، ومعناها سيادة الشعب بإرادة الشعب لمصالح الشعب بلا تمييز بين فئاته وأفراده ، وتقابلها الأرستقراطية ، بکدا نبقى انتهينا من الأسئلة القديمة وهنبدأ في الأسئلة الجديدة ، وما تقلقوش ، أنا هارد على كل الأسئلة.

دخلت خلود ووضعت سؤالاً فاندهش كعابيش وشعر بالحرج :

— «الذوق» يعني إيه يادكتور؟

قلق كعابيش من السؤال ، وخاف أن تتجاوز خلود في حقه ، فقد كان قليل الذوق معها ، فلم يستقبلها استقبالاً لائقاً ، لم يرحب بها ، لم يقدم لها مشروباً أو حتى كوباً من الماء وهي التي قطعت كل هذه المسافة كى تطمئن عليه فحدث نفسه قائلاً :

«لا ، لا ، خلود مخها كبير وعاقة ، لازم أرد وكل شئ يبقى عادي وتمام».

— أما بالنسبة لإجابة سؤال المقرر الثقافى لأسرتنا أفكار فلسفية خلود الشرقاوى ، فقد ذكر أصحاب المعاجم الفلسفية الذوق ، وقال بعضهم : هو قوة إدراكية

للطائف الكلام ومحاسنه، وقال آخر : هو المقدرة على فهم الجميل والقبيح، وقال ثالث: إنه القوة الحاكمة على القيم الجمالية، وعلى أية حال يا خلود فإن الذوق السليم غير العقل والعاطفة؛ لأن العقل يتطلع للحقيقة ومن أجلها يحل وينقب، والعاطفة تؤثر المصلحة الخاصة، أما الذوق السليم فبینه وبين الحسن والجمال رابطة وثيقة وتفاعل وتقارب طبيعى وفطري.

سألت خلود سؤالاً آخر.

— ماهى «الرومانسية» وهل يستطيع الإنسان أن يعيش بدونها؟

ارتباك ثانية وحدث نفسه «أنا هارد على السؤال دا واقفل، خلود مش ناوية تجيبها البر الليلة دي».

— الرومانسية ياخلود اتجاه فى الأدب يتميز بالتحدي للمنطق ويتعلق بفكرة الحياة واللانهائية.

— سؤال من طالب آخر ماهى «الرواقيه» «يادكتور؟

— هى مدرسة فلسفية تنسب إلى الفيلسوف اليونانى زينون وكان يعلم تلاميذه فى رواق، ومن تعاليم الرواقيه أن الحكيم لا يحزن على ما فات، ولا يفرح بما هو آت، وأن السعادة هى الفضيلة.

— سؤال آخر، من فضلك يادكتور عاوز أعرف ما هو «الزمانى»؟

— الزمانى هو الموجود فى الزمان، وهو مضاد الأبدى، لأن  
الزمانى يدل على التغيير، والأبدى يدل على الثبات.

— عاوزة أعرف إيه «السبب»؟

— السبب يطلق عادة على كل ما له تأثير بجهة من  
الجهات، والسبب مرادف للعلة من وجودها الوجود،  
ومن عدمها العدم، والسبب الناقص يلزم من عدمه عدم  
السبب، ولا يلزم من وجوده الوجود.

تنفس كعابيش الصعداء، فكل شئ مر بسلام، ويبدو  
أنه قد أخطأ ولم يقابل خلود بطريقة لائقة، فقرر أن يغلق  
اللاب ويتصل بها فى التليفون ليعتذر عليها ترضى.

— ألو مين معاي؟

خلود بصوت مبحوح يبدو أن تأثير البكاء والمصراخ قطع  
أحبالها الصوتية فصوتها محجوب وتتكلم بصعوبة.

— أنا آسف يا خلود، أنا باعمل كدا عشان مصلحتك،  
الموضوع دا بيحصل كتير، الطالبة تحب أستاذها لو كان  
بمواصفات معينة.

— أنا مش عاوزة أفتح الموضوع دا، خلينا فى شغلنا  
يادكتور.

— ماشى، عموماً احنا أصدقاء، ولازم تعرفى إن معظم المرضى النفسيين بيحبووا الدكتور اللي بيعالجهم حب كبير قوى لأنه بيسمعهم وهم محتاجين كدا.

صرخت خلود قائلة :

— قصدك تقول على مريضة نفسياً، أنا متشركة يادكتور، عموماً حضرتك أستاذى وبكرة السنين تعددى وآخذ الدكتورة ونبقى زملاً إن شاء الله.

يوضح كعابيش ويتعامل معها كمريضه بوهم حبه الذى ستنساه بمجرد الدخول فى أول قصة حب حقيقية.

## بين السرايات

الثانية بعد الظهر، الناس هنا لا يحتاجون لحمل ساعة يد فساعة الجامعة ساعتهم جميعاً، والجامعة هي مصدر رزقهم الأساسي، يعتمدون عليها في التخطيط لمستقبلهم ومستقبل أبنائهم، فهذا يفتح سنترال تصوير المستندات، آخر لتجارة الأدوات المكتبية وطباعة الرسائل العلمية، حتى الذي يفكر في إقامة مشروع آخر، يكون نجاحه أيضاً مرتبطاً بطلبة الجامعة، المطعم والمقاهي، كل شيء هنا يعتمد على الطلبة، ويتمنى كل قاطني بين السرايات أن يكون العام الدراسي اثنى عشر شهراً ليكون العمل دائماً والرزق متداولاً ومستمراً.

— واحد بيسأل عليك أستاذ عمرو.

— مين يا عم منصور؟

دخل مصطفى قائلًا :

— مصطفى محمود، كنت هنا باشتري ورق للشركة بتاعتنا، وقلت لازم أعدى وأسلم.

— أهلاً وسهلاً، وهو قائم من مكتبه مرحباً، تحب ن Creed  
هنا ولا تجرب النسكافيه بتاع عم سيد؟

— نجرب النسكافيه.

خرج عمرو ممسكا بيد مصطفى قائلاً :

— خلى بالك ياعم منصور وأول ماييجى الحاج قله معاه  
واحد صاحبه على كافيتريا الجامعة.

— حاضر ياريس.

— دى خطوة عزيزة جداً يا درش، بين السرايات منورة.

— منورة بيكل.

— افضل استريح، اتنين نسكافيه يا سيد، وقل له لللى  
واقف على الناصبة عمرو الشرقاوى مع ضيف وخليه  
يعمله وصاية.

التفت إلى مصطفى قائلاً :

— احنا زارنا النبي دى خطوة عزيزة قوى يا درش.

«شاشة التليفزيون الكبيرة في الكافيتريا تعرض مرتضى  
منصور وهو يشتم عمرو أديب ويهدده قائلاً: «والله لأضربك  
بالجزمة واقفل لك القناة السعودية دى، وانا عارف ان  
المحترم القطان سفير السعودية لا يمكن يرضى إن قناة  
سعودية تشتم المصريين وتوصفهم بأنهم كلاب».

- يبتسن كل من مصطفى وعمره:  
 — إيه رأيك في اللي بيحصل دا يادرش؟  
 — ياعم سيبك، أنا ماليش في السياسة.  
 — إزاي بقى؟! دا انت راجل مثقف وفي كلية التجارة؟  
 يضحك مصطفى محاولاً إخفاء ضحكته.  
 — أنا فخور جداً بفرحة وخلود ياعمره، البنات دول  
 أجيده من أي شاب، وبيفكرروا وبيشتغلوا عشان يحققوا  
 أفكارهم ولا الدكتور كعابيش دا بيفكرك بالزعماء اللي  
 كنا بندرسهم في الكتب.  
 — عندك حق، أنا في الأول كنت مع خلود عشان اطمئن  
 عليها وما اسيبهاش لوحدها بس دى الوقت أنا فخور  
 بحركة التغيير اللي بيعملها د. كعابيش.  
 — بس التغيير دا بطئ قوى.  
 — أيوه بس هيبقى تغيير حقيقي.  
 — أنا بيبني وبينك كنت زيكم مكلف من بابا اكون مع  
 أختي، أوصلها بالعرببة عشان بنخاف عليها واتعلقت  
 قوى بالمجموعة وبالدكتور كعابيش، أنا نفسى ياعمره  
 تيجى تزورنا في المعادى وتسأل على كتير.  
 — دا يشرفنى.

قرر مصطفى أن يستبدل بأصدقاء السوء عمرو المحترم،  
ويعطى وقتاً أطول لدعم أخيه فرحة في أسرة أفكار فلسفية،  
على التغيير يلفت نظر خلود التي لم ير مثلها أبداً.

— أسيبك لشغلك يا عمرو.

— مستعجل ليه درش؟ احنا لسة هنتغدى سوا.

— لا، أنا باتغدى الساعة خمسة أو ستة، سلام يا صاحبى.

— ألف سلامة.

أخذ مصطفى سيارته، وانطلق ذاهباً إلى منزله، وأثناء السير يجد فرعاً جديداً لمحل سقارة، فيوقف السيارة وينزل.

— مساء الخير.

— ادينى ٣ ازايز .٨٪ وواحدة ستلا.

أعطي له عامل المحل شنطة سوداء مغلقة قائلاً :

— ليلىتك بتضحك، ٦٠ جنيه.

— افضل.

أخذ الشنطة وركض من أمام محل الخمور يتلفت حوله خشية أن يراه أحد عماله والده أو أحد الموظفين فيصل الخبر إلى والده فيطرده من البيت كما فعل به المرة السابقة، فتح السيارة بالريموت ووضع الكيس على الكتبة

الخلفية، وانطلق قبل أن يطلع الدائري استوقفه لجنة.

— لجنة إيه اللي في عز الضهر دى، ربنا يستر؟!

استوقفه أمين الشرطة:

— رخصك.

— اتفضل.

— مين ثناء محمد ابراهيم؟!

— دى والدى، وبعدين الرخصة سارية ورخصتى سارية،  
إيه المشكلة؟

— هاقول لك حالاً.

وهو يفتح السيارة:

— إيه دا؟

ممـساً بالكيـس الذى وجـده عـلـى الـكـنـبة الـخـلـفـيـة.

— دول إزازتين بيرة شارـيـهم منـ المـحـلـ، عـادـى يـعـنـىـ.

— عـادـى يـعـنـىـ؟ طـبـ اـنتـ مـنـ حـقـكـ تـشـتـرـىـ عـادـىـ  
يـعـنـىـ، وـأـنـاـ مـنـ حـقـىـ أـقـبـضـ عـلـيـكـ عـادـىـ يـعـنـىـ بـرـضـهـ.

— لـأـ مـشـ مـنـ حـقـكـ، هـىـ دـىـ مـخـدـرـاتـ؟ دـاـ رـاجـلـ فـاتـحـ  
فـىـ عـزـ الضـهـرـ وـقـدـامـهـ حـرـاسـةـ مـنـ الشـرـطـةـ.

- لا من حقى أعمل لك تحليل عشان أعرف انت سايق  
وانت شارب ولا لأ.
- ياباشا الأزاي즈 مقولة قدامك.
- طب اركن لى على جنب.
- يقف مصطفى مع ثلاثة شباب من سنه فيسألة الأول:
- لقوا معاك إيه؟
- ارازتين بيرة.
- مقولين؟
- أيوه.
- ماتخافش هتمشي دى الوقت.
- وانت؟
- أنا لقوا معاي حته حشيش صغيرة كنت هلفها سجارة،  
حاجة غريبة قوى يا أخي يسيبوا الناس تشرب خمر  
ويقتلوا بعض ويغتصبوا ويزنوا، انت عارف أغلب زنا  
المحارم دا والمصابب السودا دى بيقوموا بيها ناس  
سکرانين، الخمرة هى سبب كل البلaoi ومع ذلك  
الحكومة بتحترم الخمورجية وفاتحة لهم الاستيراد  
وموفرة كل أنواع الخمور وحاطة حراسة ل محلات البيع.

— طب ما هو الحشيش بيعمل كدا.

— الحشاش يؤذى نفسه بس، أما الخمورجي بيؤذى نفسه وكل اللي حواليه، ممكن تطلب معاه خناقة يفضل يضرب أهل بيته ويكسر كل حاجة، أما الحشاش يقعد على حنب ساكت، مسطول، لا عاوز يكلم حد، ولا حد يكلمه، ولو طلبت معاه كلام يبقى أغاني وكلام حلو.

تدخل أحد الموقوفين:

— دا زفت ودا قطران.

— أمال انت موقفينك ليه؟

— رخصتى انتهت، عربىتى شاريهما بالقسط، وحال البلد زى ما انت شايف، الواحد بيأكل بالعافية، أيام أسود منالسوداد، ماكناش متوقعينها أبداً.

— صاحب المعرض عامل لك قضية يعني؟

— لأ، بس مش راضى يدينى جواب التجديد والرخصة انتهت، ومش معاي الوصل.

— كدا يامعلم لازم يكشفوا عليك وعلى العربية عشان يتاكدوا إنها بتاعتك، انت معاك بطاقة؟  
أيوه.

— بسيطة، هتحتل إن شاء الله.

— وانت إيه مشكلتك؟

— انا كنت فى الميكروباص قاعد فى آخر صف ما عملتش  
أى حاجة نزلنى وطلب منى افتح صفحتى على الفيس  
بوک، قلت له مفتوحة، بص فيها وقال لي انزل.

— لقى فيها إيه؟

— والله ما أعرف، وبطاقتى سارية وأنا طالب فى الثانوية  
العامية، وشكلى زى ما انت شايف.

— لا، انت ابن ناس، مش شكل واحد شمال.

تدخل أحد الموقوفين :

— دا احنا كلنا واقفين بسببك انت والألتراس.

— إزاي؟

— فيه تهديدات على الفيس بوک من ألتراس زملكاوى  
إنهم هيمنعوا رئيس النادى من دخول النادى وهيعتدوا  
عليه رداً على سبه لهم فى وسائل الإعلام.

— ياراجل، ما انا استغربت فعلاً، لجنة فى عز الضهر  
دى غريبة قوى.

— بس هو مش من حقه إنه يفتش حسابي على الفيس  
بوک بدون إذن نيابة.

ضحك كل الموقوفين وقال أحدهم :

— انت فاكر نفسك في أمريكا؟! دا ممكن يقلعك ملط هنا  
في نص الشارع ويفتشك.

جاء الضابط ومعه أمين الشرطة.

— هما دول يا أفنديم.

نظر الضابط إليهم.

— بتاع الفيس بوك، بلاش ياحببى تصيع مستقبلك عشان  
الكلام الفاضى دا.

— كلام إيه حضرتك؟

— بوست ألتراس زملكاوى انت عامل له لايك.

— دا حاجة عادية كدا باعمل لايك بشكل عشوائي، لكن  
والله ما كتبت حاجة وأى واحد بيكتب يسقط يسقط  
حكم العسكر باعمل له بلوك.

— تمام، روح.

وهو يعطى له البطاقة، ونظر لمصطفى :

— انت بتاع البيرة خد حاجتك وروح، أما بتاع الحشيش  
تعالى معاي ياجميل.

— اشمعنى أنا ياباشا؟ دى سجارة الواحد بيشربها من  
القرف اللي هو عاييش فيه.

— آخرس بقى واركب ، وانت ساكت.

وما إن وصل مصطفى إلى سيارته حتى تنفس الصعداء  
وانطلق ، فتح زجاج سيارته وقذف بالشنطة السوداء وعزم  
على ألا يشرب بعد اليوم ويضع نفسه في هذه المواقف  
المهينة.

## مذاهب فلسفية

كعادتها ، تفتح خلود عينيها ، ثم تفتح حسابها على فيس بوك ، فتدخل إلى أسرة أفكار فلسفية ، فتجد عدد المشتركين زاد أمس فقط ٤٠٥ مشتركاً في يوم واحد لتفاعل الطلبة مع كعابيش ، فتحت الإيميل فوجدت رسالة منه :

— الرقيقة خلود أحبك كما أحب رحمة اختى ، وأعتذر لو كنت قد تسببت فى أملك ، فلو كان هناك أقل وأعلى فأنت الأعلى بجمالك وثقافتك وشبابك ، وأنا الأقل بشيخوختي المبكرة . احترامي لك وحبى وتقديرى أسمى من حب رجل لأمرأة ، فأنا وأنت شركاء فى رحلتنا الفلسفية ، وأنا استكثرك على نفسى وليس العكس ، دعينا نكمل ما بدأناه .. مرسلا إليك ملف عن ابن رشد وكتاب pdf بعنوان مذاهب فلسفية ، اطبعى منه نسخة فى السنتر عندكم ، هتساعدك قوى فى إجابة معظم الأسئلة .

خلود : أشكرك على السعادة والأمل اللي منحتيهم لي يا فيلسوفة ..

ابتسمت خلود وحملت الملف والكتاب على جهازها ثم  
بدأت في قراءة الملف :

ابن رشد:

أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسى « الحفيد »  
(٥٩٥ - ٥٢٠) هـ ، ١٤ ابريل ١١٢٦ ، ١٠ ديسمبر ١١٩٨ م،  
المعروف بابن رشد، عالم عربى ولد فى قرطبة بالأندلس،  
من أسرة عرفت بالعلم والجاه، وتوفى فى مراكش.

إن ابن رشد يعد فى حقيقة الأمر ظاهرة علمية عربية  
متعددة التخصصات، فهو فقيه مالكى، وهو قاضى القضاة  
فى زمانه، وهو ذاته طبيب نطاوى تفوق على أساتذته  
حتى أن أستاذه ابن زهر قال عنه : « ابن رشد أعظم طبيب  
بعد جالينوس »، وهو عينه فيلسوف عقلانى، وهو أيضاً  
مترجم لأعمال أرسطو المرجعية للعرب والغرب فيما بعد،  
وهو أيضاً فلكى ذو أعمال جليلة فى المضمار، وهو نفسه  
المتكلم الذى تصدى لنقد المتكلمين باسم توافق العقول  
والمنقول وعلى رأسهم الإمام الغزالى.

عرفت عائلة ابن رشد بالمذهب المالكى، وجده أبو الوليد  
محمد (توفي ١١٢٦) كان كبير قضاة قرطبة تحت حكم  
المرابطين، وشغل والده ذات المنصب حتى مجيء الموحدين.

يعد ابن رشد من أهم الفلسفه العرب، دافع عن  
الفلسفه، وصحح إنتاج علماء فلاسفه سابقين له كابن سينا

والفارابي في فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسسطو.

درس الكلام والفقه والشعر والطب والرياضيات والفلك والفلسفة، قدمه ابن طفيل لأبي يعقوب خليفة الموحدين عام ١١٨٢ م فعينه طبيباً له ثم قاضياً في قربة.

تولى ابن رشد منصب القضاء في إشبيلية، وأقبل على تفسير آثار أرسسطو، تلبيبة لرغبة الخليفة المودي أبي يعقوب يوسف، وكان قد دخل في خدمته بواسطة الفيلسوف ابن الطفيلي، ثم عاد إلى قربة حيث تولى منصب قاضي القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات أُلحق بال بلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص.

صوت الموبايل يقطع استمتاع خلود بابن رشد الذي لم تكن تعرف عنه إلا اسمه فقط.

— ألو... ازيك يا فرحة؟

— الحمد لله، ازيك انت ياخلود، بصى ياحبيبتي أنا مش عاوزاك تزعلني مني أبداً.

— وأنا إيه اللي هيزعنى ياعبيطة، بالعكس دا كل شئ قسمة ونصيب، لعلمك سماح صاحبتي المزة.

— آه عارفها.

— بتموت فيه.

- قصدك إيه بالمرة يعني؟! هى أحلى منى؟
- بكتير يا بنتى، مافيش مقارنة، وإيه بقى، تنام وتحلم بعمر و.
- واحنا عندنا هنا كمان واحد ببينام ويصحى يحلم بخلود.
- يا بنتى أخوكِ دا عيل، ماينفعش معاي.
- ياعبيطة دا بيحبك، أنا اللي غلطانة.
- ليه بقى؟!
- من كتر كلامى عليه وحش كرهتك فيه من قبل حتى ماتشوفيه.
- جايز، بس اللي انا متأكدة منه إنه ماينفعش.
- فكرى تانى، يمكن..؟
- ربنا يسهل.
- اعتبر دا وعد؟
- يابنتى باقول لك ربنا يسهل، سبينى أرجع لابن رشد.
- لكن الحكمة والسياسة وعزوف الخليفة الجديد أبى يوسف يعقوب المنصور ١١٨٤ - ١١٩٨ عن الفلاسفة، ناهيك عن دسائس الأعداء والحاقدين، جعل المنصور ينكب ابن رشد، قاضى القضاة وطبيبъ الخاص، ويتهمه مع ثلاثة من

مبغضيه بالكفر والضلال ثم يبعده إلى (أليسانه (وهي بلدة صغيرة بجانب قرطبة أغلبها من اليهود، ولا يتورع عن حرق جميع مؤلفاته الفلسفية، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا الطب ، والفلك ، والحساب.

كانت النيران تأكل عصارة عقل جبار وسط اتهام الحاذين بمروق الفيلسوف ، وزيفه عن دروب الحق والهداية ... كى يعود الخليفة بعدها فيرضى عن أبي الوليد ويلحقه ببلاطه ، ولكن قطار العمر كان قد فات كليهما فتوفى ابن رشد والمنصور في السنة ذاتها ١١٩٨ ، في مراكش .

يمثل ابن رشد ردة الفعل الفلسفية على الهجمة القوية على الفلسفة التي أقدم عليها الغزالى ، فابن رشد يمثل محاولة رد اعتبار الفلسفة بعد أن أصابها الغزالى في كتابه تهافت الفلسفة ووضع هذا الجهد في كتابه تهافت التهافت ، شروح ابن رشد على أرسطو هي أفضل شروح نعرفها في تاريخ الفلسفة ، وهو شارح لأرسطو أكثر من كونه فيلسوفاً مبدعاً ذا فلسفة خاصة ، بل هو تلميذ لأرسطو رغم وجود ١٦ قرناً بينهما - يتبنى معظم آرائه في الطبيعة وما بعد الطبيعة.

قامت خلود ودخلت البلاكونة ، وببدأت تفكير فيما قاله كعابيش ، وفي مقالة فرحة ، ولكنها قالت محدثة نفسها : « لا لا ... مصطفى إيه التافه دا لا مستحيل ». ثم دخلت المطبخ ، وصبت كوباً من الشاي وعادت إلى غرفتها لتكميل قراءة ابن رشد :

«قدم ابن رشد نظرية أو موقفاً متميزاً وخاصاً ومهماً في مسألة العلاقة بين الشريعة والحكمة، أي بين الدين والفلسفة، وذلك في كتاب (فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال).

وستتكلّم عن القسم الثالث المتعلّق بالعلاقة بين الدين والفلسفة، وهذه المسألة شغلت جميع الفلاسفة من الكندي، الفارابي، الغزالى، ابن سينا، وابن رشد.

والغزالى وحده اعتقد أن الفلسفة يخرجون من الدين عندما كفّرهم في الثلاث قضايا وبدعمهم في سبعة عشر.

ابن رشد يستأنف موقف الكندي مع شيء من التعديل، ويقول لا تعارض بين الدين والفلسفة، أي لا اختلاف بين الأمرين (الشريعة والحكمة)، وإذا كان هناك من تعارض فالتعارض ظاهرٍ بين ظاهر نص ديني وقضية عقلية، ونستطيع حلّه بالتأويل وفقاً لقواعد وأساليب اللغة العربية.

عندما ننظر إلى كتاب فصل المقال لابن رشد نجد أن ابن رشد ميّز بين الفلسفة والمنطق أو جعلهما مرتبطين.

دق جرس الباب فقامت خلود لتفتح :

— النور ..

فتحت لمحصل النور واستلمت منه الإيصال قائلة :

— دقّيقـة واحـدة.

ودخلت كى تحضر المبلغ فهم اعتادوا على دفع أقل من مائة جنيه، فدخلت تحضرها لدفع الاستهلاك وتأخذ الباقى، وأنباء الدخول إلى الغرفة قرأت المبلغ المطلوب ٨٤٥ جنيه، فصرخت:

— يانهار أسود.

وعادت للمحصل:

— إزاي الرقم دا؟! دا احنا ماعندناش تكيف والملابس موفرة وبندفع ٧٠ أو ٨٠ جنيه كل شهر، وعمر الاستهلاك ما زاد عن ٩٥.

— أكيد دا كذا شهر، ممكن الإيصال؟

— أيوه، دا شهرين.

— حتى لو شهرين، بيبقوا ٢٠٠ بالكتير.

— لأ، ما هو حضرتك لما ماتدفعيش بتخسي شريحة تانية.

— هو حضرتك جبت وصل قبل كدا واحدنا مادفعناش؟!

— ياستى أنا محصل مش كشاف، روحى اشتكي الكشاف، سلام عليكم.

وتركتها فى ذهولها، فاتصلت بأبيهما الذى قال لها:

— ولا يهمك أنا هاتصرف.

فقررت أن تعود لابن رشد الذى تريد أن تعرف عنه أكثر:

«والفلسفة عند ابن رشد تعنى أن المصنوعات التى يصنعها الصانع تدل عليه، وكلما عرفنا الموجودات معرفة أتم تكون معرفتنا بصناعتها أتم و الشرع ندب (المندوب أى المستحب) إلى اعتبار الموجودات والنظر بها وبيان دلالتها.

الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات، لأن النظر في الموجودات نظر عقلي، وهناك أكثر من آية تشير إلى اعتبار الموجودات بالعقل «فاعتبروا يا أولى الأ بصار»، وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي.

«أولم ينظروا في ملوك السماوات والأرض»، «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت»، «ويتفكرن في خلق السماوات والأرض».

هذه أدلة، فابن رشد يشدد على كلمة النظر والاعتبار والتفكير والرؤية، وهى أدلة دينية على وجوب النظر العقلى فى الموجودات.

يفسر ابن رشد كلمة الاعتبار فيقول: إننا من مقدمات معلومة نستنتج نتيجة مجهولة، أى من مقدمة كبرى فمقدمة صغرى نستنتج نتيجة، إذا سلمنا بالمقدمات الكبرى والصغرى ينتج عنها بالضرورة نتيجة، وبهذا الشكل سوّغ ابن رشد دراسة المنطق.

التمييز بين أنواع الأقيسة ، البرهانى قياس لمقدمتين سابقتين مثل ، كل إنسان فان.. سقراط إنسان.. إذن سقراط فان.

القياس البرهانى : القياس الذى كلتا مقدمتيه صادقتان .  
وهو القياس السليم عنده .

القياس الجدلی : القياس الذى إحدى مقدمتيه احتمالية أو كلتا مقدمتيه احتمالية . القياس المغالطي : هو القياس الذى فيه إحدى المغالطات .

أقر ابن رشد و أكد شرعية المنطق و أكد القياس بآية «اعتبروا يا أولى الأباء» .

القياس فى الفقه لا يقولون عنه بدعة ، فحكم القياس العقلى نفس الشيء .

إذا تقرر أن النظر بالقياس العقلى واجب فنحن ننظر بالذى سبقونا .

ويقول ابن رشد مثل قول الكندى فى أننا يجب أن نأخذ الحقائق حتى لو كان قائلها من ملة غير ملتنا ، وأن النظر فى كتب القدماء واجب بالشرع ، وأن الفرد لا يستطيع أن يحصل على العلم وحده ويجب أن نستفيد من بعض ومن السابقين .

شرعياً أو جب النظر العقلى فى القضايا التى توصل إلى الله وينبغى أن تتواتر فى من ينظر بهذه العلوم أمرين :  
— ذكاء الفطرة .

— العدالة الشرعية والفضيلة الخلقية.

ويقول ابن رشد إذا غوى (أى ضل وانحرف) غاو بسبب النظر فى الوجود لا يمكن أن ننكر الصنعة نفسها عن الأكفاء بالنظر فيها ودراستها لأن بعض غير الأكفاء للنظر قد أخطأ.

سؤال أحدهم النبى صلى الله عليه وسلم عن حل لإسهام أخيه فأشار عليه الرسول بالعسل، ولما سقاه العسل زاد عليه الإسهام فرجع إلى النبى، فقال له عليه السلام :«صدق الله وكذب بطن أخيك».

والمقصود أنه إذا مات أحد ما بسبب أنه شرق بالماء، فإن هذا لا يعني أن نمنع شرب الماء حتى يموت الإنسان من العطش لهذا السبب، فالموت عن الماء بالشرق أمر عارض، وعن الماء بالعطش أمر ذاتي ضروري.

قال ابن رشد أيضا إن الناس مختلفون في جبلتهم، فهناك أناس يجري عليهم القياس البرهانى وأناس القياس الجدلی.

نظر ابن رشد إلى العلاقة بين الدين والفلسفة وخلاصة موقفه في المسألة :

مثلا إذا قررنا قضية مثل قضية العالم مخلوق ، فلا يخلو هذا الوضع (أى خلق الوجود) أن يكون الشعور قد سكت عنه أو قال قوله ما.... اليقين الفلسفى البرهانى حق ولا يمكن أن يتعارض مع حقيقة ذكرها الشعور :

قول سكت عنه الشرع : يجوز الكلام فيه.

قول قرر بشأنه الشرع قوله ما :

إما قرر بشأنه قوله موقعاً ملائلاً لما قدره العقل : فلا نتكلّم فيه

أو قرر بشأنه قوله مخالفًا لما قدره العقل : فنلجلأا للتأويل.

تتلخص أطروحة ابن رشد في هذه المسألة في :

— أن الشرع أوجب النظر بالعقل في الوجود وأوجب دراسة المنطق من ناحية مفسراً آية «واعتبروا يا أولى الأ بصار».... معنى الأ بصار القياس، وأوجب النظر في الوجود من علل الموجودات.

— الوجه الثاني أن هذا النظر ليس بدعة، وينبغي أن نأخذ به ولا يمكن أن يتحقق لفرد واحد، فهو إسهام لأفراد كثيرين فيجب أن نلجلأا للأمم الأخرى.

— العلاقة بين ما يقرره العقل البرهانى وما تتفق به الشريعة، كل منهما يعبر عن الحق، والقضايا البرهانية العقلية هي حق، وما نطق به الشرع حق، والحق لا يضاد الحق بل يؤكده ويشهد له، أى ليس هناك تناقض بين الحكمة (الفلسفة) والشريعة. وابن رشد مرجعه النهائي العقل

وما إن انتهت خلود حتى نشرت الموضوع ونامت لأنها  
شعرت بالإرهاق، وكتبت: «ولتتابع غدا تعليقات أعضاء  
أسرة أفكار فلسفية».

ما زالت نادية تقرأ كل ما ينشر وتطبعه في أوراق، وتضع  
خططاً أسفلاً ما يمكن أن يستغلها سمير ضد كعابيش للقضاء عليه  
وإزاحته من طريقه ليصبح هو رئيس قسم الفلسفة بدلاً منه.

— ألو... أيوه يا حبيبي.

— ألوه، مين معاي؟

— هو فيه حد ممكن يقول لك يا حبيبي غيري يا سمير؟!

— نادية؟! غريبة قوي أول مرة تكلميوني بالطريقة دي من سنين.

— هو أنا لي غيرك يادكتور سمير يارئيس قسم الفلسفة  
بكلية الآداب جامعة القاهرة.

لعل وجهه:

— حصل ولا إيه؟

— أيوه، الفار وقع في المصيدة.

— أنا جاي حالاً.

— وانا في انتظارك يا حبيبي، لا تيجي هاقول لك كل  
حاجة.

عاد سمير إلى منزله بسرعة البرق :

— فين، فين؟

— هو إيه اللي فين؟

— السلاح اللي ها قضى بيه على كعابيش للأبد وأزيحه من قدامى.

— اهدا، واسمع كلامى، ونفذه بالحرف الواحد.

جلس سمير كطفل صغير مستسلماً ومستعداً لتنفيذ أى شئ تقوله نادية ليتخلص من كعابيش:

— أقرا الملف دا، بلاش تقراه كله، أقرا الكلام اللي تحته خط أحمر، والكلام اللي تحته خط أخضر.

وهي تعطيه ملفاً به أوراق فأخذها وبدأ يتفحصها:

— طب الخطوط دي معناها إيه؟

— بص ياسيدى، الكلام اللي تحته خط أخضر كلام خطير بس ممكن يفلت منه، بس الكلام اللي تحته خط أحمر لازم يوديه فى داهية.

— إزاي بقى؟

— اسمعني، ونفذ اللي ها قول لك عليه.

— قولى ياروحى.

- انت هتتصل بالأمن الوطنى ، وتسليمهم الملف دا ، وتديمهم الرابط بتاع الصفحة.
- يعني إيه الرابط بتاع الصفحة ياحبيبتي ، انت عارفة أنا ماليش فى الحكايات بتاعتكموا دى.
- كله موجود فى الصفحة الأخيرة ، انت هتتصل وتطلب المقابلة ، تبقى ضربت عصفورين بحجر واحد ، أول حاجة هيعرفوا مين اللي عنده وفاء للوطن وخايف على مستقبله ومين اللي بيحرض الشباب على الثورة.
- تمام.
- وأول مايتشال كعابيش هتبقى انت رئيس القسم على طول بدون كلام ، إيه اللي هيخليلهم يعملوا تحريات عن محمود سراج وهما عندهم واحد جاهز ، وطني وتعاون وبيخاف على مصلحة الوطن.
- يسلم مخك ، طبعاً صح.
- بس أهم حاجة إنك تاخذ تعهد بإخفاء اسمك كمبلغ ودا من حقك قانوناً.
- ربنا يخليل<sup>١</sup> يانادية.
- وأخذ يقبلها ، وهو يضحك ضحكة تشبه ضحكات المجانين ، فخافت منه ورجعت خطوتين للخلف.

## شرطه الفكر

امتلأت روح كعابيش بموحات من الأمل، فمصر ستكون أسعد حالاً عندما يتولى هؤلاء الشباب المسؤولية، نقاشاتهم وأسئلتهم توحى بفكر وطاقة يمكنها أن تمنح الدفء لوطن عانى من البرودة القارسة، ويحلم بحضن أبنائه، أخذ قلمه وأوراقه وجلس فى مكانه الذى يحب أن يكتب فيه عادة - مكتب والده فى المنزل - وبدأ فى كتابة مقال يحمل هذا المعنى، ويعتذر فيه للشباب ولنفسه التى كانت دائماً ترفض فكرته عن شباب الجامعة الذى لا يهتم إلا بما هو تافه وسطحى، فهؤلاء الخمسة ليسوا مجرد تلاميذ يتلقون علومهم على يده بل هو الذى أصبح تلميذهم الذى تعلم منهم أن اليأس عار على عقول متقدة وقلوب تنبض بالحرية وتباحث عن المجد.

طرق شديد على باب الشقة كان عصابة سطو مسلح ت يريد كسر الباب واقتحام الشقة، هرول كعابيش فاصطدم بأمه وأخته رحمة اللتين اندفعتا لاجئتين إلى غرفته خوفاً من صوت الاقتحام.

— ماتخافيش ياما، ماتخافيش يارحمة.

وهو يحيطهما بذراعه :

— إن شاء الله خير.

اتجه نحو الباب، لم يستطع وضع عينيه ليرى من العين السحرية، فالطرق شديد والباب يهتز من قوة الخبط، تمالك قواه، وفتح الباب، بينما اختبأت رحمة فى حضن أمها التى كانت تحتمى بظهر كعابيش.. دخل سبعة كائنات أمنية بملابس مدنية.

— ممكن أعرف حضرتك مين؟

قالها كعابيش لأحدهم ويبدو أنه قد اختاره لأنه أضعفهم بنياناً، فهو قصير القامة، ويلبس نظارة طبية، ويبدو عليه عدم القدرة على الوقوف طويلاً، فهو بدین والحمل على ساقيه كبير.

— خمس دقائق وتعرف كل حاجة، من فضلك تيجى معانا بهدوء ودون أي مقاومة.

— أجي معاكم فين؟! ممكن أعرف حضرتك مين.

— مباحث أمن الدولة، أقصد الأمن الوطنى.

تعجب كعابيش، وأعاد النظر فيهم، وحدث نفسه كيف دخل هؤلاء كلية الشرطة، يبدو أن الواسطة كانت كبيرة جداً.

- ممکن أشوف الكارنيه؟!
- اتفضل.
- وأعطي له الكارنيه.
- ممکن طلب الضبط والإحضار الصادر من النيابة؟
- لا، حضرتك مش مطلوب فى جريمة، دا مجرد سؤال وترجع على طول.
- قالها الضابط القصیر.
- ممکن أغیر هدومى؟
- اتفضل.
- غير کعابیش ملابسه، واتصل بالمحامى وطلب منه أن يأتى حالاً.
- قاوم کعابیش إحساس الرعب الذى سيطر عليه حتى لا يصل لأمه وأخته الغارقتين فيه أصلاً.
- اطمئنى يامااما كلها ساعة وارجع إن شاء الله.
- والتفت ناظراً بحنان لرحمة:
- خلى بالك من ماما يارحمة.
- خرج معهم وأغلق خلفه باب الشقة، فصرخت الأم صرخة كانت تقاومها من الخوف المسيطر والقلق على ابنها الوحيد.

فى جابر بن حيان، كعابيش فى غرفة مكتب :  
— تشرب إيه حضرتك؟  
قالها عسكري يبدو أنه عامل فى البو فيه.  
— مش عاوز أشرب حاجة.  
خمس ساعات مررت، ولم يتكلم أحد مع كعابيش فأغمض عينيه أملأاً فى الاحتياط ببعض ما تبقى من هدوئه، وأفاق على سؤال من أحدهم.  
— انت بقى كعابيش؟  
فتح عينيه :  
— عبدالحميد محمد كعابيش، دكتور، ورئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، ووالدى محمد كعابيش وزير الصحة الأسبق، عضو الحزب الوطنى.  
فضحشك الرجل قائلاً :  
— احنا عارفين كل دا يادكتور.  
— ممكن أعرف أنا هنا ليه؟  
— بص ياحبيبي، بلاش تهزاً نفسك.  
— نعم؟!

قالها كعابيش متعجبًاً مصدوماً، فهو لم يتعرض لهذه الإهانة من قبل.

— مستغرب ليه أنا ممكن أمسح بيكم بلاط المكتب هنا، وأضربك بالجزمة ياروح أمك.

— هو فيه إيه؟ انت بتعمل كدا ليه؟!

— يعني ياروح أمك انت مش عارف؟!

— والله ما عارف، يارب، يارب.

— هو أنا عملت حاجة؟! ممكن تقول لي؟!

— انت هتستعبط؟

— من فضلك، أنا ماینفعش تكلمني كدا، أنا.....

دخل عليهما رجل بملابس مدنية، ولكن يبدو عليه أنه ضابط غير الذين قابلهم كعابيش من قبل.

— هو فيه إيه محمد بيته؟! إيه اللي انت بتقوله دا؟! حد يكلم دكتور جامعة بالشكل دا، أمال تعامل الحرمية إزاي؟!

تنفس كعابيش الصعداء، وشعر أن فرج الله قد أصبح قريبًاً.

— احنا آسفين يادكتور.

— أبداً، أبداً، كان الله في العون.

— تمام، أهوا الفرق بين التعامل مع العامة والتعامل مع المثقف.

قالها ناظراً للضابط الأول.

— هو فيه إيه بالظبط، انتوا جايبني هنا ليه؟!  
نظر إليه الضابط نظرة شر فألقى الرعب في قلبه مرة أخرى وقال في نفسه:

«يبدو أنهم كلهم أشرار».

— بص يادكتور، الكلام اللي انت بتكتبه على الفيس بوك دا اسمه تحريض على أعمال شغب، وتكدير للسلم العام، ومحاولة لقلب نظام الحكم.

— نعم؟!

— أنا فاهم إن انت ماتقصدش، بس فيه شباب من اللي قبضنا عليهم لقينا معاهم كلام عن دور الفلسفة في نجاح الثورة الفرنسية.

— دا كلام مقرر على الطلبة.

— ما أنا قلت كدا برضوا، عشان كدا هاسيبك تروح، بس الكلام يبقى داخل قاعة المحاضرات بس، احنا دى الوقت عندنا شرطة لراقبة الإنترنـت.

— شرطة فكر؟!

- ايوه شرطة بتتحرك بطريقة استباقيه بنقبض على المجرم اللي بيفكر يعمل جريمة.
- أنا مستعد أروح المحكمة، لو فيه حرف واحد ضد مصلحة البلد دي.
- مش انت اللي تحدد إيه هى مصلحة البلد ياعبد الحميد، فوق أحسن لك، أنا هاسيبك المرة دى، بس لازم تلم نفسك شوية عشان خاطر أمك وأختك.
- حاضر، ممكن أمشي.
- مع السلامه ومش عاوز أشوف وشك تانى عشان أنا ماحدش فى مصر بي Shawfni مرتبين.
- يعني إيه سيادتك؟!
- يعني لو شفتنى مرة تانية تعرف إن انت انتهيت يا كعابيش.
- خرج كعابيش فاتصل فورا بأمه.
- الحمد لله إنكم بخير ياما، ما فيش حاجة، أنا جاي.
- خلود وسماح عمرو ومصطفى وفرحة مع رحمة هنا فى الأوضة، وما سابوناش ولا لحظة يابنى، تعالى بسرعة احنا كلنا فى انتظارك.

- وما إن دخل كعابيش إلى بيته حتى تنفس نفساً عميقاً وقال :
- الحمد لله ، رب ضارة نافعة ، أنا أول مرة أحس ان بيتنا جميل يشبه جنينة جميلة مليانة زهور ، أهلاً وسهلاً.
- وهو يسلم على الأعضاء الخمسة لأسرة أفكار فلسفية .
- أهلا ياخ LOD.
- حمدا لله على السلامة يادكتور .
- أهلا ياعمرؤ .
- حمدالله على السلامة .
- ومصطفى هنا كمان ، وسماح وفرحة ؟ الله ، الله ، لأن ، دا أنا كدا أخليهم ياخدوني كل أسبوع عشان أشوفكم .
- بعيد الشر عليك يا حبيبي .
- قالتها أمه ، بينما رحمة تقبل خده .
- حمدا لله على السلامة يا آبيه .
- وقف كعابيش وسط دائرة مكونة من خلود وسماح وفرحة ورحمة وعمرو ومصطفى وقال :
- احنا عندنا اجتماع دى الوقت حالاً .
- هو دا وقته يادكتور ؟ احنا نسيب حضرتك تستريح دى الوقت .

- أنا راحتى فى إنجاز المهمة، واحنا كدا نبقى ماشيين  
فى الطريق الصح يا مصطفى.
- بص يادكتور، أهم حاجة فى نشاط الأسر الرحلات،  
وأنا شايفة إن حضرتك أكتر واحد فينا يحتاج تغيير  
جو، أنا هاعمل لكم رحلة يومين لاسكندرية، ولا انت  
رأيك إيه ياخلود؟!
- قالتها فرحة.
- موافقة، ونروح مكتبة الإسكندرية، عشان عمرى مارحتها.
- موافق.
- قالها كعابيش، وواصل كلامه: وممكن نعمل أمسيه  
كبيرة فى قاعة الندوات فى المكتبة.
- إيه رأى حضرتك يادكتور إن احنا نعمل زى سقراط؟
- إزاي ياسماح؟
- نطرح على حضرتك الأسئلة وحضرتك تجاوب فالناس  
تستفيد بالجدل وتوصل للحقيقة.
- عظيم.
- نظر عمرو لسماح كأنه يراها للمرة الأولى.
- فعلًاً ياسماح دى فكرة جميلة، واحنا كلنا ممكن نشتراك فيها.

قالها عمرو، فطارت سماح من الفرحة، فمالت عليها  
خلود قائلة :

— ماشية معاكِ ياست سماح.

— حمدالله على السلامة يادكتور.

— والله يسلّمك يامصطفى.

— والله لما فرحة أختي قالت لي كنت هاتجنبن، وسبيت  
اللى فى إيدى وطررت بالعربى، على فكرة احنا كنا  
سايبنهم بس متابعين كل حاجة، لكن والله لو كانوا  
جزوك لكنت قلبت الدنيا، دا حضرتك قيمة كبيرة،  
ومافيش دولة فى العالم بتعامل العلماء بالشكل دا.

— كنت هتعمل إيه ياعنى؟!

قالتها خلود.

— كنت هاجمع آلاف الشباب، فى ساعة زمن نكون  
معتصمين قدام أمن الدولة لغاية ما يخرجوه، ولو  
ما خرجش، كنا هنصد الموقف لأكبر من كدا بكثير.

ابتسمت خلود وهى تنظر لمصطفى، فقد تغير أسلوبه فى  
ال الحديث وأصبح راقياً، فنادت فرحة بصوت عالٍ:

— مين هيدفع اشتراك الرحلة؟

## رحلة فلسفية

تولت فرحة قيادة نشاط الأسرة للمرة الأولى، فخلود هي التي كانت تتصدر المشهد طوال الفترة السابقة، ولكن الكرة الآن في ملعب فرحة التي تجيد تنظيم الرحلات، وجبات، فقرات ترفيهية، مسابقات، بهجة، سعادة. تألقت فرحة بعدما تم الاتفاق بينها وبين خلود على أن تتولى فرحة الرحلة الترفيهية في اليوم الأول، بينما تتسلم خلود المسؤولية في اليوم التالي في مكتبة الإسكندرية.

سعد كعابيش بعائالته الجديدة التي تخاف عليه وتسانده وترفع عنه إذا كان حزيناً، بمجرد وصول الأوتوبوس إلى المنشية حيث بيت الطلبة وضعوا حقائبهم وانطلقوا إلى البحر، فالیوم رحلة وانطلاق وسعادة.

— خليك جنبنا لاحسن تتوهى ياست سماح، مش ناقصين مشاكل، خلى بالك منها والنبي ياعمرو يا أخوى.  
قالتها خلود، وهي تتأهّب لتركهما وحدهما على الشاطئ كى يقتربا.

— هو انت أول مرة تيجى هنا ياسماح؟

— لأنّ طبعاً، بس أول مرة أروح أى مكان من غير بابا،  
انت طبعاً عشان راجل يا عمرو مش هاتحس باللى أنا  
هاقوله لك، أنا ما اعرفش أعيش من غير بابا، لازم  
يكون معاي مش عارفة إزاي هابات هنا النهاردة؟! المرة  
دى أول مرة أبات برة البيت من غير بابا.

— ربنا يخليه لك.

— البنـت دايـماً بـتحـتـاج لـحـمـاـيـة رـاجـلـ، عـشـانـ كـداـ ربـناـ  
أمرـناـ بـطـاعـة الأـبـ والـزـوـجـ وـاحـتـرـامـهـمـ.

ابتسم عمرو محدثاً نفسه :

— احترم نفسك بقى، البنـت بـتـتـقـدـمـ لكـ رـسـمـىـ أـهـوـ، بـطـلـ  
افتراـ.

— تحبـى تـنـزـلـ الـبـحـرـ يـاسـماـحـ؟!

— لأنّ لأنّ.

— ليه لأنّ، هنـنـزـ أـنـاـ وـأـنـتـ وـاخـتـىـ خـلـودـ اـنـتـ لـوـحـدـكـمـ وـأـنـاـ  
هاـخـلـىـ بـالـىـ مـنـكـمـ.

— مـدـامـ هـنـبـقـىـ فـىـ حـمـاـيـتـكـ، وـهـتـخـلـىـ بـالـكـ مـنـنـاـ، أـنـاـ  
مـوـافـقـةـ يـاعـمـروـ.

وما إن نزلت سماح البحر حتى وقع غطاء الرأس الخفيف  
الذى أتت به للبحر، وشفت الملابس الطويلة فظهر الجمال الذى  
تآمر عليها ونفذ ما كان يريده، أراد الظهور ظهر، وأضاءت  
سماح التى أخذت الترتيب الأول فى جمال فتيات الرحلة.

— ياخبر ياخلود، مش قلت لك بلاش البحر، أهو  
الإشارب وقع، يارتني كنت لابسة الخمار، أنا غلطانة  
إنى سمعت كلامك.

— بصى ياسماح أنا مابفهمش فى الدين زيك، بس فيه  
حديث عن الرسول ببيبح الرؤية الشرعية، وإن العريس  
يشوف كوييس جمال العروسة مدام غرضه شريف، أنا  
سمعت كدا فى التليفزيون.

— هو صح بس بالشكل اللي انت بتقوليه دا، الحديث  
بيأمر الرجل الراغب فى الزواج بالنظر فى كل مكان  
فى جسد المرأة من أجل الزواج، بس دا حديث ضعيف

— بصى بقى ما تبقيش عبيطة، احنا عازين نجنن عمرو،  
نهوشه، و أنا بأقول لك أهو، فرحة بترسم عليه، وهو  
ممكن يخطبها، وقد أذر من أنذر.

— ياخبر، طب انت شايقة إيه؟ أقول لك؟ أنا معاكِ  
ياخلود، من إيدك دى لإيدك دى.

— معاكِ فلوس هنا؟

— ايوة الحمد لله.

— تعالى نشتري طقم بنطلون وبلوزة ألوانهم حلوة، وسيبى  
الباقي علىّ.

— حاضر، ربنا يسامحني، بس أهم حاجة عمرو ما  
يضعش منى ياخلود، وأنا هاسمع كلامك، مش انت  
هتبقى عمتى.

— أيوه عمتك وعمة أولادك إن شاء الله.

لم تكف النقود التي كانت مع سماح فدفعت خلود  
الباقي لتخرج عليهم ليلاً كقمر يحبه كل الناس ويتمنون  
رضاها، ولكنه لا يحب الا عمرو، فرك عمرو عينيه، فهو لم  
يكن يتوقع أن كلام خلود عن سماح صحيح، فهو فاتنة،  
وجميلة، وشهية، ولكن يبدو أنها فقدت النطق، فمن  
لحظة ما غيرت شكلها لم تتكلم كلمة واحدة.

— ماشاء الله، انت قمر ياسماح.

قالها عمرو، فابتسمت، ولم ترد.

نادت فرحة على خلود.

— هو الدكتور مارضيش بييجى معانا ليه؟!

— أصله قرر إنه يتحدى شرطة الفكر، ويكتب عن ابن  
رشد، وباقى الفلاسفة العرب.

— طب وانت بكرة هتعمل إيه فى ندوة مكتبة الإسكندرية؟  
— أنا هاوزع الأسئلة علينا احنا الخمسة ، والدكتور كعابيش  
يرد ، فيحصل تناغم جميل ، ويبقى إيقاع الندوة سريع  
وجذاب .  
— تمام.

ظل كعابيش جالساً فى غرفته بالاسكندرية عازماً على أن  
يستمر فى حركة التنوير التى تقودها أسرته فى الجامعة ،  
ففتح صفحة أسرة أفكار فلسفية وبدأ يكتب :  
الحلاج : ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله فيه .

١٢٠٧ / ١٢٧٣ هو الحسين بن منصور ، وكنيته أبو مغيث  
أو أبو عبد الله .

ولد عام ١٢٠٧ ، بقرية تابعة لبلدة البيضاء الفارسية ونشأ  
بواسط ، العراق ، رحل إلى بلاد كثيرة ، منها مكة وخرسان  
والهند وتعلم السحر بها ، وأقام أخيراً في بغداد ، العراق  
درس علوم الدين ، ثم سلك طريق الصوفية على يد الشيخ  
سهل بن عبد الله التستري .

صحب جماعة من المشايخ الصوفية كالجنيد بن محمد  
وعمر بن عثمان المكي ، وأبى الحسين النورى ، وكان بعض  
مشايخ الصوفية أمثال أبو العباس بن عطاء البغدادى ، و  
محمد بن خفيف الشيرازي ، وإبراهيم بن محمد النصر

أبازى، له مريدون يصححون له حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف : الحسين بن منصور عالم ربانى.

قال أبو عبد الرحمن السلمى : سمعت إبراهيم ابن محمد النصر أبازى وعوتب فى شيء حکى عن الحلاج فى الروح فقال للذى عاتبه : إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج.

قال أبو عبد الرحمن : وسمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الشبلى يقول : كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتم.

وقد روى عن الشبلى من وجه آخر أنه قال وقد رأى الحلاج مصلوباً : ألم أنهك عن العالمين.

أقواله :

- ما انفصلت البشرية عنه ، ولا اتصلت به .
- من ظن أن الألوهية تمتزج بالبشرية أو البشرية بالإلهية فقد كفر.
- حجبهم بالاسم فعاشاوا ، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا ، ولو كشف لهم عن الحقيقة ملأتوا .
- وكان الحلاج ، يقول : إلهى ! .. أنت تعلم عجزى عن مواضع شكرك ، فاشكر نفسك عنى ، فإنه الشكر لغير .

- أسماء الله تعالى، من حيث الإدراك اسم؛ ومن حيث الحق حقيقة.
- لا يجوز لمن يرى أحداً، أو يذكر أحداً، أن يقول: إنى عرفت الأحد، الذى ظهرت من الآحاد.
- من أسرته أنوار التوحيد، حجبته عن عبادة التجريد؛ بل من أسرته أنوار التجريد، نطق عن حقائق التوحيد؛ لأن السكران هو الذى ينطق بكل مكتوم.
- وسائل الحسين: لم طمع موسى- عليه السلام- فى الرؤية وسألها؟. فقال: لأنه انفرد بالحق، وانفرد الحق به، فى جميع معانيه. وصار الحق مواجهه فى كل منظور إليه، ومقابله دون كل محظوظ لديه؛ على الكشف الظاهر إليه، لا على التغيب؛ فذلك الذى حمله على سؤال الرؤية لا غير.
- عن الحلول يقول : إن مَعْرِفَةَ اللَّهِ هِيَ تَوْحِيدُهُ، وَتَوْحِيدُهُ تَمِيزُهُ عَنْ خَلْقِهِ، وَكُلُّ مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهُوَ - تعالى- بِخَلَافِهِ، كَيْفَ يَحْلُّ بِهِ، مَا مِنْهُ بَدَأَ.

### فلسفته

عن الشيخ إبراهيم بن عمران النيلى أنه قال: سمعت الحلاج يقول: النقطة أصل كل خط، والخط كله نقط مجتمعة، فلا غنى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط،

وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها، وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين، وهذا دليل على تجلّ الحق من كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين، ومن هذا قلت: ما رأيت شيئاً إلاً ورأيت الله فيه.

لم يلتفت كعابيش للتعليقات لأنّه يريد أن ينشر على الصفحة رصيداً كافياً ينفع الطلبة فربما يُقبض عليه في أى وقت فقد عرف مما حدث أهمية مايفعل، ولكنه يجب أن يطمئن على أسرته ويتفقد أحوالهم.

— ألو.... هو مين معاي؟

— حضرتك اللي متصل.

— أيوه، دا تليفون خلود؟!

— أيوة، بس هما بيجبوا حاجة، وسايبين الموبايلات معاي.

— مين هما؟!

— خلود وفرحة ورحمة.

— أنا عبد الحميد كعابيش.

— أهلاً يادكتور، أنا مصطفى أخو فرحة.

— خلى بالك منهم يادرش.

— اتطمئن حضرتك.

وما إن وصلوا حتى أخبر مصطفى خلود بأن الدكتور  
كعابيش قد اتصل.

— وانت إيه عرفك انه الدكتور كعابيش؟!

— ماانا ردیت عليه.

— ردیت إزاي يعني (وغضب) إزاي ترد على تليفونى؟!

— وانت ازاي تسبيبى تليفونك معانى؟ أنا ما ينفعش حد  
يزعق لي كدا.

ووجه كلامه لأخته فرحة:

— فهميها حاجة دى، مشيراً إلى خلود.

تركهم مصطفى، فجرت رحمة وراءه لتطيب خاطره دون  
جدوى.

أخذت خلود الموبايل وقررت أن تكلم كعابيش، محدثة  
نفسها:

«أكيد زعل دى الوقت، أعمل إيه ياربى، هيفكر إنى  
كنت مع مصطفى لوحدى، أعمل إيه؟! منك الله يامصطفى».

— مساء الخير يادكتور.

— مساء النور ياخلود، أنا كنت قلقان عليكم بس اطممنت  
لما رد على مصطفى، أوعوا تروحوا في أى حتى  
لوحدكم، خلوا مصطفى معاكم.

— نخلی مصطفی معانا؟!

بدهشة قالتها خلود.

— ماشاء الله عليه، شهم جداً وراجل هو في كلية إيه؟

— في تالتة تجارة.

— إنسان جميل، فعلاً، وجري، شفت لما قال إنه  
كان هيحاصر مقر أمن الدولة هو وألف شاب عشان  
يخرجونى، مش مهم أنا، المهم إن فيه شباب رجاله  
في مصر، ممكن تعمل كدا عشان واحد مظلوم، هي  
رحمة معاكم ياخلود؟

— أيوة يادكتور، اطمأن.

— خلوا بالكم من بعض.

— حاضر.

عاد كعابيش للكتابة على صفحة أفكار فلسفية، فهو  
مازال مع الفلسفه العرب.

أبو الحسن العامرى

٩١٢ هـ : ٣٨١ م ، ٩٩١ م

(من كبار فلاسفة القرن الرابع الهجرى)

أبو الحسن محمد بن يوسف العامرى النيسابورى، ورد ذكره فى كتابى «المقابسات» و«الإمتاع والمؤانسة» لأبى حيان التوحيدى، و«تجارب الأمم وتعاقب الهمم» لمسكويه، ولا تشير هذه المصادر إلى أصله، لذلك لا يمكن الجزم إن كان أصله عربياً بناءً على نسبته إلى العامرية، أو فارسياً بناءً على نسبته إلى نيسابور وخراسان؛ لأن كثيراً من العرب قد قطنوا بعد الفتح العربى الإسلامى أقاليم فى فارس وغيرها، وأضافوا إلى أنسابهم العربية انتسابهم إلى المدن أو الأقاليم الفارسية كأبى الفرج الأصفهانى مثلاً، وهو عربى أموي، فضلاً عن ذلك فإن بعض الأعاجم كانوا من الموالين للقبائل العربية فانتسبوا إليها.

ولد محمد فى نيسابور عام ٩١٢ م، وتعلم فيها العلوم الدينية، ثم انتقل إلى بلخ، حيث تلذم على يد أبى زيد البلخى وتعلم منه الفلسفة، وبعد وفاة معلمه، انتقل إلى «طشقند» حيث علم الفقه وأصول الدين والمنطق، ثم انتقل إلى بخارى حيث كتب كتابه الشهير «السعادة والإسعاد» ثم انتقل إلى نيسابور وعاش من ٣٤٢-٣٥٢، ثم انتقل إلى الري حيث أقام خمس سنوات.

وكان فيلسوفاً معاصرًا لابن سينا، يقول أبو حيان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة»: «إنه كانت بين العامري وابن سينا مباحثات في الفلسفة، وقد كتب ابن سينا كتاب الألوجية على سؤالات سأله أبو الحسن العامري»، وفي «المقابسات» يقول أبو حيان: «كان العامري من أعلام عصره، وكان متبحراً في الفلسفة اليونانية منكباً على كتب أرسطو، وله على بعضها شروح»، «وإن العامري سكن بالري، وهي من ضواحي طهران الحالية، خمس سنين جمعةً أى متواصلة - ودرّس وأملى وصنف وروى، ولم يأخذ مسكويه عنه كلمة واحدة، ولا وعي مسألة، حتى كان بينه وبينه سداً.

واتصل العامري بابن العميد الوزير الكاتب وقرأ معاً عدة كتب، ثم قدم بغداد سنة أربع وستين وثلاثمائة، ولقى من البغداديين عنتاً شديداً ومناكدة، وذلك أن طباعهم معروفة بالحدة وشراسة النفس وذلك تابع لهوائهم وترابهم».

قابلت خلود مكالمة كعابيش بدهشة، ماذا يقصد بالضبط؟! أكان يلفت نظرى لصطفى، أم أن إعجابه به حقيقي؟! فى كل الأحوال فأنا قد أخطأت فى حق مصطفى، ولا بد أن اعتذر له.

— لا، أبداً، مافيش حاجة.

— أنا كنت قليلة الذوق معاك.

— ليه كدا؟! انت بتكبرى الماوضيع قوى ياخلود، أحنا  
زملا فى أسرة واحدة.

هذا وفرحة تراقب الموقف من بعيد، مصطفى يحدث  
خلود، وسماح قد انطلقت مع عمرو، وبعد أن كانت غارقة  
فى بحر الخجل تحدثه كانهما كانا معاً منذ سنوات طويلة:  
— كان عندي مشكلة غريبة فى حياتى، لغاية دى الوقت  
مش عارف إزاي دا حصل.

— قصدك موضوع الجامعة؟ خلود قالت لي، دى مش مشكلة  
ولا حاجة، ادخل التعليم المفتوح لو عاوز، وادرس أى  
حاجة كان نفسك فيها، التعليم دى الوقت بقى سهل  
فى مصر، لأنه مابقاش بيوصل لأى حاجة.

— يعني انت لو اتقدم لك واحد ما كملش تعليمه زى  
كدا ترضى تتجوزيه؟!

قاد قلب سماح أن يتوقف من السعادة، فجاء إليهما  
خلود ومصطفى وفرحة التى قالت :

— إيه، نقول مبروك؟!

— إيه اللي بتقوليه دا يا فرحة؟! لأ مايصحش كدا، إيه  
البواخة دى؟!

وغضبت سماح وتركتهم ومشت وحدها فلحق بها عمرو.

— هي قالت حاجة زعلتك؟!

— لاً بالعكس، بس أنا مش عاوزة أفرض نفسي عليك.

— باحبك ونفسى اتجوزك.

— طب قول والله.

— والله، باحبك وعاوز اتجوزك.

— طب قول والله العظيم.

— والله العظيم باحبك وعاوز اتجوزك.

— طب قول والله العظيم ثلاثة.

— والله العظيم ثلاثة، باحبك وعاوز اتجوزك.

— وأنا والله ياحببى عمرى ما اتخيلت حد فى الدنيا  
ممكن يبقى جوزى إلا انت.

وبكت، وهى تقول، لو سمحت سيبنى أجرى على  
البيت بسرعة، عاوزه أصلى، سيبنى أصلى وأشكر ربنا  
اللى وقف جنبى.

وتركتهم وجرت لتصلى لله الذى أعطاها رجلاً هو كل ما  
تتنناه من هذه الدنيا.

ظل كعابيش فى غرفته يكتب عن شخصية الفيلسوف  
العربى أبى الحسن العامرى.

ترك العامری جملة من المؤلفات أهمها: «شروح على كتب أرسطو» ثم «النسك العقلي»، و«الإبصار والبصر»، و«الإعلام بمناقب الإسلام»، و«السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية» ثم مجموعة كتب ورسائل تشمل: «إنقاذ البشر من الجبر والقدر» ثم «التقرير لأوجه التقدير».

يمكن عد العامری من الفلاسفة العقليين، فكان يذهب مذهب المعتزلة في تقديسه العقل ورفضه الجبر، وهذا واضح في كتابه «النسك العقلي» حيث يرى كما يخبر التوحيدى أنه «عد رُدِع النفس عن غوايتها لا يتم إلا بالعقل، فالعقل هو المعول عليه في كل مسألة، لأنه لما كان الله تعالى واهب العقل، فهو الذي يضيء العقل ويساعدنا على حل مشاكلنا، وعلى هذا أخذ العامری بمبدأ المعتزلة في القبح والحسن العقليين، فالقبيح ما يقيّبه العقل، والحسن ما يحسنه العقل، ويلزمه عن مذهبة هذا في العقل».

ومثلاً يلزم عند المعتزلة رفضه للجبر، وهذا يظهر في كتابه إنقاذ البشر من الجبر والقدر» فالإنسان يملك الإرادة الحرة، والقدرة على الفعل، لأنَّه يملك العقل، ولما كان الإنسان عاقلاً حكيمًا لزم بالضرورة أن يكون فاعلاً، فالحكمة مقتضية لوجود الفعل، والقدرة مبرزة لذات الفعل، والإرادة مزيّنة لنفس الفعل».

وما إن انتهى كعابيش من كتابته عن أبي الحسن  
العامري حتى اتصل بخلود.

— انت سايية كل الشغل على يا أستاذة؟! أنا نشرت  
الحلاج وأبوحسن العامري، وانت بتتفسحي، براحتك  
يا سيادة المقررة الثقافية.

— احنا هنروح سينما بالليل، تيجي معانا؟

— لاً خدوا رحمة، مش مصطفى هيكون معاكم؟

— أيوة مع أخته فرحة.

— كدا تمام، أنا كدا متطممن عليكم، سهرة سعيدة.

— كان نفسي تبقى معانا.

— يا بنتي انتم شباب زى بعض، زى النغم المتجانس،  
لكن أنا نغمة شاذة هتبظ اللحن.

— براحتك، عموما استعد، بكرة يومنا احنا فى مكتبة  
إسكندرية.

— إن شاء الله ه تكون أمسية رائعة.

وما إن أنهى المكالمة مع خلود واطمأن على أسرته التي  
صارت كل حياته، حتى عاد يكتب عن الفلاسفة العرب  
وال المسلمين في صفحة أسرة أفكار فلسفية.

د. زكي نجيب محمود

١٩٠٥ - ٨ سبتمبر ١٩٩٣ مفكر وفيلسوف مصرى

ولد فى قرية ميت الخولي، دكرنس، الدقهلية، مصر، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة من لندن ، وعيّن مستشاراً ثقافياً للسفارة المصرية في واشنطن، وعضوًا في المجلس الأعلى للثقافة.

وصف ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أبا حيان التوحيدي بأنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلسفة؛ لأنّه كان أديباً موسوعياً يحاول مزج الفلسفة بالأدب، ويقدم خلاصة ذلك للناس ليكون قريباً من أفهامهم. والوصف الذي أطلقه ياقوت الحموي يكاد لا ينطبق على أحد من أعلام النهضة الأدبية في مصر إلا على زكي نجيب محمود، فقد نجح في تقديم أعسر الأفكار على الهضم العقلاني للقارئ العربي في عبارات أدبية مشرقة، وفكّ أصعب مسائل الفلسفة وجعلها في متناول قارئ الصحفة اليومية، واستطاع بكتاباته أن يخرج الفلسفة من بطون الكتب وأروقة المعاهد والجامعات لتؤدي دورها في الحياة.

مررت حياة زكي نجيب محمود الفكرية بثلاثة أطوار، انشغل في الأولى التي امتدت حتى سفره إلى أوروبا بنقد الحياة الاجتماعية في مصر وتقديم نماذج من الفلسفة القديمة والحديثة والآداب التي تعبّر عن الجانب التنويري،

ويتمثل هذا النشاط في الكتب الثلاثة التي اشتراك في تأليفها مع أحمد أمين.

وبدأت المرحلة الثانية بعد رجوعه من أوروبا وامتدت حتى الستينيات من القرن العشرين، وفي هذه الفترة دعا زكي نجيب إلى تغيير سلم القيم إلى النمط الأوروبي، والأخذ بحضارة الغرب وتمثيلها بكل ما فيها باعتبارها حضارة العصر، ولاستعمالها على جوانب إيجابية في مجال العلوم التجريبية والرياضية، ولها تقاليد في تقدير العلم وفي الجدية في العمل واحترام إنسانية الإنسان، وهي قيم مفقودة في العالم العربي.

وفي هذه الفترة دعا إلى الفلسفة الوضعية المنطقية ونذر نفسه لشرحها وتبسيطها، وهي فلسفة تدعو إلى سيادة منطق العقل، وإلى رفض التراث العربي وعدم الاعتزاد به.

وعبرت كتبه التي ألفها في هذه الفترة عن هذا الاتجاه مثل الفلسفة الوضعية وخرافة الميتافيزيقا.

أما المرحلة الثالثة فقد شهدت عودته إلى التراث العربي قارئاً ومنقباً عن الأفكار الجديدة فيه، وباحثاً عن سمات الهوية العربية التي تجمع بين الشرق والغرب وبين الحدس والعقل وبين الروح والمادة وبين القيم والعلم.

ترك زكي نجيب محمود أكثر من أربعين كتاباً في ميادين مختلفة من الفكر والأدب والفلسفة، في مقدمتها

حياة الفكر في العالم الجديد ، برتراند راسل ، وديفيد هيوم ، والشرق الفنان ، وقشور ولباب ، وتجدد الفكر العربي ، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، ورؤيه إسلاميه ، وجنة العبيط ، والمنطق الوضعي ، وشروع من الغرب .

وإلى جانب ذلك ترجم إلى العربية عدداً من عيون الفكر الغربي مثل: محاورات أفلاطون ، وتاريخ الفلسفة الغربية ، والمنطق ... نظرية بحث .

وفور نشر الموضوع انهالت التعليقات :

«الحمد لله ، كدا الناس ابتدت تفكر وتحس بقيمة اللي احنا بنعمله ، بس النت مش كفاية ، لازم يبقى التواصل مباشر مع الناس ، وبكرة في مكتبة إسكندرية هتكون البداية» .

## أبو حامد الغزالى

١٠٥٨ - ١١١١ م

محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسي، أبوحامد،  
حجـة الإسلام : فيلسوف ، متـصوف ، له نحو مئـى مـصنـف.

ولد وـمات فـى الطـاـبرـان (قصـبة طـوس ، بـخـرـاسـان) رـحل  
إـلـى نـيـساـبـور ثـم إـلـى بـغـدـاد فالـحـجـاز فـيـلـادـ الشـام فـمـصـر ، وـعـاد  
إـلـى بـلـدـتـه .

«تهافت الفلسفـة» هو كـتاب الإـمام الغـزالـي . اعتـبرـ البعض  
هـذا الـكتـاب ضـرـبة لـما وـصـفـه الـبعـض باـسـتكـبارـ الفلـسـفة  
وـادـعـائـهـمـ التـوـصـل إـلـى الـحـقـيقـة فـى الـمـسـائـلـ الـغـيـبـيـة بـعـقـولـهـمـ .  
أـعلـنـ الغـزالـي فـى كـتابـه «تهافتـ الفلـسـفة» فـشـلـ الفلـسـفة فـى  
إـيجـادـ جـوابـ لـطـبـيعـةـ الـخـالـقـ وـصـرـحـ أـنـهـ يـجـبـ أـنـ تـبـقـىـ  
مـواـضـيـعـ اـهـتـمـامـاتـ الـفـلـسـفـةـ فـىـ الـمـسـائـلـ الـقـاـبـلـةـ لـلـقـيـاسـ  
وـالـمـلاـحظـةـ مـثـلـ الـطـبـ وـالـرـيـاضـيـاتـ وـالـفـلـكـ ، وـاعـتـبـرـ الغـزالـيـ  
مـحاـوـلـةـ الـفـلـسـفـةـ إـدـرـاكـ شـيـءـ غـيرـ قـابـلـ لـإـدـرـاكـ بـحـوـاسـ  
الـإـنـسـانـ مـنـافـيـاـ لـمـفـهـومـ الـفـلـسـفـةـ أـسـاسـاـ .

خلص الغزالى فى كتاب «تهافت الفلسفه» إلى فكرة أنه من المستحيل تطبيق قوانين الجزء المرئى من الإنسان لفهم طبيعة الجزء المعنوى ، وعليه فإن الوسيلة المثلثى لفهم الجانب الروحي يجب أن تتم بوسائل غير فيزيائية.

كان الغزالى أول الفلسفه المسلمين الذين أقاموا صلحاً بين المنطق والعلوم الإسلامية حين بين أن أساسيات المنطق اليونانى يمكن أن تكون محايده ومفصولة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية.

توسع الغزالى فى هذا الكتاب فى شرح المنطق واستخدمه فى علم أصول الفقه ، لكنه شن هجوماً عنيفاً على الرؤى الفلسفية للفلسفه المسلمين المشائين الذين تبنوا الفلسفه اليونانية.

رد عليه لاحقاً ابن رشد فى كتابه «تهافت التهافت».

وبقول الغزالى فى بداية الكتاب :

«ابتدأت تحرير هذا الكتاب ، رداً على الفلسفه القدماء ، مبيناً عقيدتهم ، وتناقض كلمتهم ، فيما يتعلق بالإلهيات ، وكاشفاً عن غوايائل مذهبهم ، وعوراته التي هي على التحقيق مضاحك العقلاة ، وعبرة عند الأذكياء . أعني ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء ، من فنون العقائد والآراء».

كما يُوضّح في المقدمة الثالثة للكتاب أنه يتوجه به بشكل خاص إلى من أبهِر بالفلسفه حتى ظنَّ أن أفكارهم

واستنباطاتهم نقية من التناقض، فيُظهر تناقض مسالكهم وأدلةهم على معتقداتهم ويهدمها، وهو بذلك لا يدعى تصحيح فلسفاتهم أو بناء فلسفه بديلة.

نشر كعابيش الموضوع ثم خطر بباله فكرة، فاتصل بخلود.

— إيه رأيك لو عملنا دعوة على صفحة الأسرة عن ندوة بكرة؟ أكيد الطلبة هبيجوا، ويبقى يوم جميل.

— خلاص حضرتك كمل الكتابة، وأنا أول ما آجي هاعمل المناسبة، احنا قدامنا نص ساعة وجايين.

عاد كعابيش للفلاسفة العرب والمسلمين، فهو قد قرر أن يكتب الليلة الكثير والكثير عليه يبلغ رسالة إلى من يهمه الأمر، وليعرف الجميع أنه سيفكر ويحرض الناس على التفكير رغم مطاردة شرطة الفكر.

## ابن الطفيلي

أبوبكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي الأندلسي فيلسوف وفيزيائي وقاضي أندلسي عربي مسلم، ولد في وادي آشي، وهي تبعد ٥٥ كم عن قرطبة، ثم تعلم الطب في غرناطة وخدم حاكمها.

توفي في ٥٨١ هـ بمراكش وحضر السلطان جنازته.

كان ابن طفيل فيلسوفاً ومفكراً وقاضياً وطبيباً وفلكياً.

يمثل ابن طفيل الأب الروحي للنزعية الطبيعية في التربية عبر كتابه «حى بن يقطان» والذي حاول فيها التوفيق الفلسفى بين المعرفة العقلية والمعرفة الدينية.

درس على يد ابن باجة وخدم في بلاط أبي يعقوب يوسف حاكم الأندلس من سلالة الموحدين.... درس على علماء وحكماء عصره، وكانت له معرفة جيدة وشاملة بمختلف العلوم، خاصة منها الطب، والفلسفة، والفلكل.

وقد تقلب ابن طفيل في مناصب عده، فاشتغل في البداية كاتباً في ديوان والي غرناطة، ثم في ديوان الأمير أبي سعيد بن عبد المؤمن حاكم طنجة، ثم أصبح وزيراً وطبيباً للسلطان الموحدى «أبى يعقوب يوسف».

ويقال إن ابن طفيل كان له تأثير كبير على الخليفة، وقد استغل ذلك في جلب العلماء إلى البلاط، ونذكر منهم بصفة خاصة الفيلسوف والطبيب ابن رشد الذي قدمه ابن طفيل عندما تقدم به السن إلى السلطان ليقوم بشرح كتب أرسطو وليختلف في عمله كطبيب.

وقد ظل ابن طفيل في بلاط السلطان إلى أن توفي بمراكش عام ١١٨٥هـ/١٧٠٣م.

«حى بن يقظان» وهى أشهر ما ترك ابن طفيل، وهى قصة فلسفية عرض فيها أفكاره الفلسفية عرضاً قصصياً، محاولاً التوفيق فيها بين الدين والفلسفة، وقد عرفت هذه القصة فى الغرب منذ القرن السابع عشر، وترجمت إلى عدة لغات، منها اللاتينية، والعبرية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية.

مررت نصف ساعة ولم تأت خلود.

— ألو، انتِ اتاخرت كدا ليه؟

— كنت عاوز ألغف نظرك لحاجة.

— اتفضلى يا خلود.

— لو كنت عاوز تهرب منى بلاش تلزقنى لواحد تانى،  
شكراً، أنا فاهمة انت بتفكير إزاي، عموماً أنا مافيش حاجة،  
ولا يمكن فى يوم يكون فيه حاجة بينى وبين مصطفى.

— انت بتقولى إيه يا خلود؟! احنا فى رحلة وانا باتطمـن  
عادي.

— رحمة اختك معها موبايل ابقي اتصل عليه يادكتور لما  
تحب تطمن، انت بتحبني ياعبدالحميد وبتقاوم ومش زى  
ما انا كنت فاكرة انك حاسس انى مش قد المقام وانك  
انت دكتور كبير لا، انت بتقوم بددور الصحية، انت  
خايف تظلمنى بفارق السن اللي مش فارق معاي أصلًا.

— هنرجع تانى برضه لنفس الموضوع اللي مالوش أساس  
ده؟! خلود، تعالى بسرعة انت والأسرة كلها عشان  
تناموا، عندنا بكرة أمسية كبيرة فى مكتبة الإسكندرية.

— حاضر.

استغل مصطفى الرحلة ليقترب أكثر من خلود، فهو  
لاينظر إليها كأنثى وشهوة ورغبة كما كان ينظر للفتيات  
الأخريات، إنها باب جديد للدخول للحياة الصحيحة،  
لقد شعر بالتغيير وشعر بالسعادة لأنه أصبح صاحب هدف  
ورسالة، مفيداً لنفسه ولغيره، راضياً لأول مرة في حياته

عن تصرفاته وتصرفات صحبته ورفاقه، ومرضى عنه، ويبدو أن كعابيش يساعده دون أن يدرى، فكثرة الحديث الإيجابى عنه أمام الأسرة وإبداء إعجابه بشخصيته أمامهم، خاصة خلود، جعله فخوراً بدوره وسعيداً بهذا التغيير الذى كانت خلود سببه الرئيسي.

عاد كعابيش يكتب عن الفلاسفة العرب والمسلمين متناسياً مادار فى مکالته مع خلود الرقيقة التى تخلط بين إيمانها به كأستاذ وبين الحب الذى يتبادله شخصان متكافئان، وكان يتمنى أن يسمح لخلود أن تدخله إلى حياتها الربيعية لكن ضميره يقف حائلاً بينه وبين ذلك، فهو قد ناهز السابعة والأربعين من عمره وهى لاتزال عشرينية، على كل حال ليست رسالته فى الكون هى الزواج والإنجاب، عليها رسالة غيره ولكنه فطن أن رسالته الآن هى أن يخرج الأفكار الفلسفية - التى كلفت فلاسفة عمرهم كله - من الكتب حتى تستخدم بين الشباب ويبداوا فى التفكير، هذه هى البداية الصحيحة للتغيير الأمول، فراح يكتب :

### يعقوب بن اسحق الكندي

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح بن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، ولد في مدينة الكوفة عام ١٨٤ هجري / ٨٠٠ ميلادي و ذلك كما ترجح الروايات التاريخية، كان والده إسحق أميراً على الكوفة،

و تنتهي سلسلة أجداده إلى عرب بن قحطان، و كان آل  
يعقوب يسكنون في قصر الإمارة الذي يقع خلف المسجد  
الجامع الكبير، توفي إسحاق بن الصباح الكندي في أواخر  
عهد هارون الرشيد وكان عمر يعقوب حوالي ٦ سنوات.

بعد وفاة أبيه إسحاق بن الصباح، أخذت أم يعقوب  
أسرتها و عادت بهم إلى دارها في الكوفة حيث شهدَ  
الكندي سنين صباه الأولى

و مع أن الكندي كان يتيمًا، إلا أنه كان من أغنى أغنياء  
الكوفة، فقد كان يسكن في بيت القصر ذي حدائق كبيرة،  
كما أنه من أبناء الملوك.

تعلم الكندي في صباه ما يتعلمه كل صبي مسلم،  
فقد تعلم القراءة والكتابة والنحو وحفظ القرآن وكثيراً من  
الأحاديث النبوية الشريفة ومبادئ الفقه والكثير من الأشعار  
وأصول الفصاحة.

وكانت الدراسة في الكوفة حرّة، أي أن الطالب حرّ في  
أن يختار ما يدرسُه، فمن كان ميله للعلوم درس العلوم، و  
من كان ميله للعلوم الدينية درس فيها، و كان ميل الكندي  
إلى العلوم الدينية و علوم الكلام فاتجه إليها و درسها.

لم يصلنا عن حياة الكندي في صباه الكثير فكانت هذه  
المراحل من عمره غامضة. على كل حال، كَبِرَ الكندي وأصبح  
في سن الشباب، و كان قد تعلم الكثير من العلوم الدينية و علوم

الكلام، وأحس الكندي أن ميله إلى الفلسفة أكبر من ميله إلى العلوم الدينية وعلوم الكلام، فاتخذ قراره بدراسة الفلسفة، فجهز نفسه وقصد بغداد لتعلم الفلسفة على أيدي العلماء.

يصل الكندي إلى بغداد حيث يبدأ هناك بدراسة الفلسفة وما يتصل بها من علوم الرياضيات والطبيعة وغيرها..... ولم يكن أمام الكندي إلا أن يعتمد على الترجمات التي بدأت تظهر لأهم المراجع الأجنبية، فأخذ يتابع أجزاء هذه الكتب وشارك في نقلها ثم يلخصها ويعمل على تفسيرها، فاستطاع بذلك أن يدرس كتب أرسطو في الفلسفة والمنطق والطبيعة والسياسة وكتب ما بعد الطبيعة.

توفي الكندي عام ٢٥٢ هجري / ٨٦٦ ميلادي عن عمر يناهز ٦٨ عاماً و كان سبب وفاته انه أصيب بداء في ركبته فانقل إلى رأسه و سبب له الوفاة... رَحْمَةُ اللهِ، لقد خسر العالم فيلسوف العرب.

قرر كعابيش أن يأخذ استراحة قصيرة يشرب فيها كوباً من الشاي، ويطمئن على والدته التي مازالت في القاهرة.

— مساء الخير يا حبيبتي.

— مساء الخير يا عبد الحميد يا ابني.

— اتعشيت؟

— الحمد لله.

— كنت باطنن علىك، وباطمنك، احنا بخير.

— لو عاوز تطمئنى عليك صحيح اتجوز ياعبدالحميد، نفسى أشوف ولادك يا ابني، عشان خاطرى، عشان خاطر أبوك الله يرحمه، خلد ذكراه فى الدنيا بأولادك، لو بتحبنى صحيح اتجوز خلود، دى بتحبك، إيه يعني أصغر منك، ما كل الرجال زمان كانوا كبار قوى، أبوك كان أكبر منى بـ ١٨ سنة، يعني نفس الفرق تقريبا.

— أنا مش عارف حضرتك بتتكلمى عن إيه؟!

— رحمة حكت لي على كل حاجة، اللي بتحبك دى يا ابني هتبقى قلبها عليك، وفرحانه بيتك، عشان انت مالى عينيها، وحلم بالنسبة ليها، هتمسك فيه بإديها واسنانها.

— اللي فيه الخير يقدمه ربنا يا ماما.

بدأت كلمات أمه ترن في أذنه، وخلود الذكية يصعب خداعها، فقد عرفت بذكائها الخارق أنه أحبهما، فلن يستطيع أن يهرب من هذا الحب، لكنه في نفس الوقت لا يستطيع أن يستغل مشاعر فتاة صغيرة ويجنّى عليها.

عاد كعابيشه للكتابة عن يعقوب بن إسحق الكندي :

لم يُلْقِب الكندي بالكثير من الألقاب، فلقد لُقِبَ بالكندي نسبة لعائلته و لُقِبَ بفيلسوف العرب و لُقِبَ بسليل السيف و لُقِبَ بالفيلسوف و كُنِي الكندي بأبو يوسف.

يُعزى إلى الكندي بأنه سجل الحضارة الإسلامية في زمانه ورسم خطوطها العامة التي ينبغي أن تسير عليها في المستقبل، وهو الذي صَنَف الفلسفة إلى نظرية وعلمية، وهو الذي وفق بين الدين والفلسفة وحدَّ معالم هذه المسألة، كما وضع رسالة في صناعة العطور، وعارض أيضاً إمكانية تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، ووضح أيضاً الفروق بين أنواع السيوف من حيث المعدن التي صُنِعَتْ مِنْهُ و الصورة التي تكون عليها و طريقة صنعها، ثم تحدث عن الفوارق بين أسعارها و طرق معالجة السيف الذي يثلم حده من كثرة الطعن، و وضع نظرية في التنااسب الهندسي بين قدر الدواء و مفعوله بالنسبة إلى المريض، و غيرها الكثير الكثير.

وضع الكندي الكثير من الكتب منها الفلسفية وله فيها ٢٢ كتاباً، ومنها الطبيعيات والتوحيد وما فوق الطبيعيات وعلاقة الفلسفة بالرياضيات والحدث على تعلم الفلسفة و دراسات حول كتب أرسطو و الفاعلة و المنفعلة من الطبيعيات الأولى و أوائل الأشياء المحسوسة، و غيرها من المواضيع الفلسفية الأخرى.

وما إن انتهى من كتابة الموضوع، حتى كتب إلى أعضاء الأسرة :

— آخر شخصية اخترتها لكم من الفلاسفة العرب والمسلمين هو ابن باجة، وبعدها هتكون خلود معاكم على الصفحة

كل يوم وأنا كل خميس من ٦ الى ٩ مساء، وبدأ يكتب :

### ابن باجه (علم الإنسان)

أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ التّجّيبي السرقسطي  
المعروف بابن باجه.

أول مشاهير الفلاسفة العرب في الأندلس، اشتغل أيضاً  
بالسياسة والعلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والموسيقى والطب .

توفي في فاس المغرب، مسموماً سنة ٥٢٩ هـ.

وُلد في سرقسطة في الثغر الأعلى من الأندلس، ألمّ  
بعلوم الثقافة الإسلامية في عصره، وبعلوم اليونان، واشتهر  
بتضلعه في الفلسفة والطب والموسيقى، ونظم الشعر.

عمل زهاء عشرين عاماً كاتباً وزيراً لأبى إبراهيم بن  
تيفلويت المسوفى صهر على بن يوسف بن تاشفين، وأخباره  
معه كثيرة. وبعد وفاة ابن تيفلويت عام ١١١٦هـ/٥١٠م،  
وقيل بعد سقوط سرقسطة بيد ألفونسو الأول ملك أرغون  
عام ١١١٨هـ/٥١٢م، غادر ابن باجه سرقسطة إلى جنوبى  
الأندلس، فسكن المرية وغرناطة وارتحل إلى فاس، وفيها  
اتّهم بالإلحاد ومات مسموماً.

كان بينه وبين بعض أعلام الأندلسيين خصومة  
شديدة، ومن هؤلاء الذين كانت بينه وبينهم خصومة  
ابن زهر (ت ١١٦٢هـ/٥٥٧م) والفتح بن محمد بن خاقان

(ت ٢٨٥ هـ / ١١٣٤ م). وقد حمل عليه ابن خاقان حملة عنيفة في كتابه «قلائد العقيان» واتهمه بالإلحاد.

كان ابن باجّه أول الواقفين في الأندلس والمغرب على فلسفة المشائين فشرح قضياتها، ومهّد الطريق لمن جاء بعده، ومنهم ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) الذي بثّ في كتاب «النفس» بعضًا من آراء ابن باجّه، واعترف بفضله في حقل الفلسفة.

ومن أشهر تلامذته ابن باجّه أبو الحسن على بن الإمام وابن رشد.

عمد ابن باجّه إلى العودة بالفلسفة إلى أصولها الأرسطية خالصة كما هي في كتب أرسطو مبتعداً عن أفكار العرفان والأفلاطونية المحدثة فكان بذلك أحد أفراد تيار تجديدى أندلسي حاول فصل الأفكار العرفانية التي احتللت كثيراً بالفكر الإسلامي و الذي بدأ بمشروع ابن حزم الذي عمد إلى تأسيس منهجه العودة إلى الأصول واستبعاد القياس في الفقه واستئناف بعد ابن باجّه بابن رشد الذي عمد إلى فصل نظام البيان الفقهي عن نظام البرهان الفلسفى ، بمصطلح آخر فصل الدين عن الفلسفة لأنظمة استنتاجية وربطهما عن طريق الغايات والأهداف .

## فلسفته

- في الإنسان : «كل حى يشارك الجمادات فى أمور، وكل إنسان يشارك الحيوان فى أمور.. لكن الإنسان يتميز عن الحيوان غير الناطق والجماد والنبات بالقدرة الفكرية، ولا يكون إنساناً إلا بها».
- في منازل الناس
- المرتبة الجمهورية : وهؤلاء لا ينظرون إلا للمعقول.
- المرتبة النظرية : وهؤلاء ينظرون إلى الموضوعات أولاً، وإلى المعقول ثانياً ولأجل الموضوعات.
- مرتبة السعداء : وهم الذين يرون الشيء بنفسه.  
يمكن أن يطلق على فلسفة ابن باجّه اسم «علم الإنسان» فقد كان جل ما تناوله فيها يبحث فى ميدان الإنسان، والفكرة الأساسية التى أضافها إلى التراث الفلسفى هي ما يتصل باتحاد العقل الفعال بالإنسان.

بهذه الشخصية العربية الإسلامية نكون قد وصلنا إلى آخر الشخصيات الفلسفية المختارة لأسرة أفكار فلسفية، وأحب أن أعلن لكم عن أمسية فلسفية غداً في تمام السادسة مساء تقييمها أسرة أفكار فلسفية في مكتبة الإسكندرية يمثلكم فيها معى :

خلود الشرقاوى المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية،  
فرحة محمود المقرر العام للأسرة، والأعضاء : سماح عبد  
الله ، عمرو الشرقاوى ، مصطفى محمود.

انتشرت الدعوات على موقع التواصل الاجتماعى تويتر وفيس بوك ، لأول مرة تقام فى الجامعات المصرية والعربية رحلة فلسفية وسيسجلها التاريخ لمدينة الإسكندرية وملكتبة الإسكندرية وأسرة أفكار فلسفية ، رحلة فلسفية إلى مكتبة الإسكندرية ، عنوان جذاب ، أقبل أعضاء أسرة أفكار فلسفية عليه بقوه ، هم وأصدقاؤهم ، فالتجربة جديدة وكل جديد براق ، امتلأت قاعة الندوات بمكتبة الإسكندرية عن آخرها ، وهى التى تسع لمائة شخص ، قبل الندوة بساعة .

دخل كعابيش القاعة ومعه مدير المكتبة متقدماً بخطوة عن خلود ومصطفى من جهة ، وسماح وعمرو من جهة أخرى ، بينما فرحة قد سبقت الجميع للمنصة تتفقد اللوحة الكبيرة التى علقت فى خلفية المنصة (بانر) والتى كتب عليها «أمسية فلسفية من إعداد أسرة أفكار فلسفية إشراف الدكتور عبدالحميد كعابيش» ، وب بدأت تتفقد المايكات والمنصة وتشرف على المكان الذى سيجلس فى كعابيش ، بدوا كفريق عمل واحد ، متجانس ، ومتفاهم ومترابط .

ظهر كعابيش فى أبهى صورة ، بدلة زرقاء وقميص روز وكرافته تجمع بين الزرقة والروز ، ونظارته ذات الإطار

الذهبى فبدا فى منتهى الأنقة، جلس وأمامه مجموعة من الكتب، أولها من أعلى «مذاهب فلسفية» الذى ستدور حوله هذه الندوة.

بدأت الندوة بكلمة لإدارة مكتبة الإسكندرية ألقاها مدير المكتبة، أثنى فيها على جهود د. كعابيش فى خلق حالة من التواصل بين المعلم والطلبة مما يجعل تفاعل الأجيال وتكاملها فى صالح الوطن، بدلاً من صراعاتها وتناحرها، كما أثنى على دور د. كعابيش فى الترجمة، خاصة الكتب الفلسفية والروايات العالمية التى أثرت المكتبة العربية، وقدم بعدها د. كعابيش فصقق الجمهور بحرارة، فحياتهم، وبدا فريق العمل فخوراً جدا بما يحدث.

شكر كعابيش إدارة المكتبة ثم قال ناظراً لخلود.

— أشكر فريق العمل القائم على أسرة أفكار فلسفية، أريد أن أقدم لكم هؤلاء الرائعين، الذين أعادوا إلى الروح، هؤلاء هم أساتذتي الذين علموني المشاركة فى كل شئ.

— خلود الشرقاوى.

ضحت خلود ووقفت تحبى الحضور فزاد التصفيق.

— مصطفى محمود.

فصفق الحضور ونظر مصطفى لخلود نظرة فيها فخر وإعتذار.

— سماح عبدالله، عمرو الشرقاوى، أما المقرر العام للأسرة  
ومنظم الرحلة هى فرحة محمود.

فصفق الجميع ووقف كعابيش يحيى فريق أسرة أفكار  
فلسفية ويعبر لهم عن فخره بهم.

تعمد كعابيش أن يقدم مصطفى بعد خلود وعمرو بعد  
سماح كرسالة فهمتها خلود فامتلاط عيناه بالدموع وهى  
تبتسم وتابعته بلهفة وهو متوج وأمامه مریدوه الذين أتوا  
إليه من القاهرة وتحملوا عبء السفر ليسمعوا له ، فقال :

« إن الهدف الأول من هذه المحاضرة هو التمهيد لبعض  
الحقائق الفلسفية ، وأن يخرج جميع الحضور من هذه القاعة  
وهم أدق فكراً وأوسع أفقاً مما كانوا عليه قبل دخولها ،  
وسنسمح في الجزء الثاني منها بأسئلة أعضاء أسرة أفكار  
فلسفية ، وهى أسئلة معدة سلفاً كى تدعم المحاضرة وإجاباتها  
ترسيخاً للفكرة الرئيسية والهدف المنشود من هذه الندوة .

كل إنسان إذا رأى شيئاً ، وتساءل عن علته فهو من  
طلاب الفلسفة والراغبين فيها ، لأن الفلسفة فى واقعها هى  
التعرف على علل الأشياء وعلاقة واقعها بظواهرها ، ومن  
هنا كانت الفلسفة عند الأقدمين العلم الكلى الذى يعم  
ويشمل جميع العلوم بشتى أنواعها وكما قال أبو الفلاسفة  
الفرنسى ديكارت : الفلسفة أشبه بشجرة جذورها علم  
ما بعد الطبيعة ، وجذعها على الطبيعة ، وأغصانها علوم

أخرى، وقال أيضاً: ليس في الفلسفة أمر ليس فيه خلاف.

كما قال الفيلسوف الألماني ليبرنر : لكل حادث سبب.  
وقال أيضاً: لا واقع يمكن أن يكون حقاً إلا وتكون هناك  
علة كافية لكونه كذلك لا على خلافه، وإن كانت العلل -  
في الغالب - لا يمكن أن تكون معروفة لنا.

وكل العلوم والفلسفات وجميع القوانين والشائع والأديان  
السماوية والكتب المقدسة - تقوم على أساس مبدأ العلية  
القاتل لكل حادث سبب، ولو لاه لكان حديث العلم و  
الدين والفلسفة أشبه بمضغ الهواء، وكان العالم الرشيد  
تماماً كالجاهل البليد.

وانطلق كعابيش شارحاً فلسفة ابن رشد وحرض الحضور  
على التفكير العلمي في كل شيء وإعمال العقل في كل  
القضايا التي تتعلق بمستقبلهم ومستقبل الوطن.

وبعد أن أكمل محاضرته سمح كعابيش بالأسئلة، ولكنه  
نوه ثانية أن الأعضاء الخمسة في أسرة أفكار فلسفية هم  
وحدهم من سيطرون على الأسئلة لأنها تفيذ الموضوع ولن تخرج  
عن موضوع الندوة وهي المذهب والمصطلحات الفلسفية،  
 وأشار بيده قائلاً لخلود :

— اتفضلى يا خلود.

— «الシリالية» مصطلح يستخدم عادة في الآداب والفنون،  
فما هو معناه؟

— بصى ياخلود، فيه مصطلحات منتشرة في حياتنا وممكن  
نستخدمها استخدام خاطئ، عشان كدا أنا سعيد بإإننا  
هنبدى في الندوة دي نعرف ونوضح معنى المصطلحات  
دي، كلمة السريالية تستعمل في الأدب اللامعقول واللا  
أخلاقي، ومعظم أنصار هذا الأدب يمدحون التناقض  
والجنون، ويغوصون في اللاشعور لاستخراج كنوزه،  
ويتلقنون في وصف الرغبات الجامحة والأحلام العجيبة.

والتفت إلى الصف الأول قائلاً :

— حد عنده سؤال تانى؟

وقف مصطفى وفي يده ورقة يقرأ منها، فقال له  
كعابيش باسماً :

— وانت يادرش عندك سؤال؟

— أيوه يا افندم، سؤالي عن مصطلح «السلوكية» إيه  
معناه؟

— السلوكية يا أستاذ مصطفى هي طريقة عملية ومذهب  
فلسفي في نفس الوقت، لأنها ترد العمليات الذهنية  
إلى أسباب مادية، فلا تأخذ بما هو داخلي، لا تأخذ  
إلا المحسوس الملموس.

— حد عنده سؤال تانى؟

ينظر كعابيش فى القاعة، فهذا دور سماح فى طرح السؤال، ولكنها تبدو هائمة فى كلام عمرو لها اليوم على الشاطئ.

— سماح عندك سؤال؟

— أيوه حضرتك.

قامت وهى تمسك بيدها ورقة صغيرة تقرأ منها.

— ما هو معنى «السيكلوجيا»؟

— هى علم النفس البشرية ياسماح، افضلى اقعدى وحضرى السؤال الجاي.

— مين معانا تانى؟

رفع ثلاثة ضيوف من القاهرة يدهم طالبين السؤال ولكن كعابيش تجاهلهم وأشار إلى عمرو.

— افضل يا عمرو.

وقال مازحاً :

— ماهو عمرو أخو المقرر الثقافى للأسرة الأستاذة خلود وما نقدرش نرفض له طلب.

— شكرًا يادكتور، يعني إيه «الشخصانية»؟

— بضم يا أستاذ عمرو، الشخصية هي أن الفرد هو القيمة المطلقة والأسمى والعنصر الروحي للوجود، وأن مصلحته فوق مصلحة الجماعة علمًاً بأنها تتالف من الأفراد.

لم يعقب عمرو وجلس، ولكنه يبدو عليه أنه لم يفهم، فنظر له كعابيش قائلاً :

— فهمت يا أستاذ عمر؟

— أية فهمت، الحمد لله.

رفعت فرحة يدها فأشار لها كعابيش بالسؤال قائلاً :

— اتفضلي يا فرحة.

— ما هو المعنى العلمي والفلسفى «للشك»؟

— الشك نوعان، الشك المذهبى ويسمى أنصاره الشراك، كل قضية عندهم تقبل التدليل عليها بالسلب والإيجاب بقوة متساوية كما يزعمون، والنوع الثانى هو الشك المنهجى والعلمى، وهو أن يتجرد صاحبه من معلوماته برغبته وإرادته، ويشك فيها حتى كأنه لا يعلم شيئاً، ويتخذ من شكه هذا وسيلة للبحث والدراسة العلمية حتى يصل إلى المعرفة الصادقة وعلم اليقين، فالشك المذهبى غاية فى نفسه والشك المنهجى وسيلة للعلم.

— اتفضلي يا خلود

- ما هو المقصود من اصطلاح «الشنتوية»؟
- الشنتوية هي ديانة يابانية، والعنصر الرئيسي فيها عبادة الأرواح المتعددة التي تتجسد في الحيوانات والنباتات وغيرها من مظاهر الطبيعة، ومن دين الشنتوية أن العلاقة بين الآلهة والناس تحدث عن طريق الإمبراطور الذي يسمونه ميكادو.
- عاد الضيوف ولكن هذه المرة بعده أكبر يطلبون السماح لهم بتوجيه الأسئلة إلى كعابيش ولكنه أشار إلى مصطفى.
- اتفضل يامصطفى.
- إيه المقصود «بالصراع من أجل البقاء»؟
- هو القانون الغريب القائل بتنافس البقاء بين الأحياء وبقاء الأقوى الأقدر لا الأفضل الأكمل.
- وأشارت سماح طالبة السؤال، وأشار أحد الضيوف أيضاً، فأخذ لها مشيراً بيده:

  - ما معنى «الصورة» عند الفلاسفة؟
  - الصورة ياسماح لها معانٍ كثيرة وهي عند الفلاسفة جسمية ونوعية، والنوعية تمام حقيقة الشيء وماهيته، ومن أقوالهم : صورة الشيء هي ماهيته ، فالهيواني هي البدن والصورة هي الروح ، الهيواني لفظ الصورة معناه، فالصورة ما يكون به الشيء هو هو بالفعل.

— ماهي «الصورية» يادكتور؟

قالها عمرو.

— الصورية ياعمرو مذهب فلسفى يرمى إلى إنكار الناحية المادية وتأثيرها فى المعرفة ، ولا يعتد إلا بالصور الذهنية.

— ماهو «الضد» يادكتور؟

قالتها فرحة.

— الضد صفة وجودية ، يمتنع وجوده مع وجود ضده المانع له كالنور والظلمة ، ولا يمتنع ارتفاعهما معاً إذا كان لهما ثالث كالألوان ، فقد يكون الشئ لا أبيض ولا أسود ، بل أحمر أو أصفر ، وهذا هو الفرق بين الضدين والنقيضين ، لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان إطلاقاً كالوجود والعدم.

وأشار كعابيش لفرحة التي قامت لتسأل.

— ماهو «الضمير» ؟

— الضمير قالوا عنه الذات العليا ، وقالوا عنه القوة الحاكمة . وقالوا إنه الملكة التي تحدد موقف الإنسان من سلوكه.

والضمير من وجهة نظرى هو نفس الشعور بالوخز والتأنيب إذا ما فعلت ما تنندم على فعله ، ونفس الإحساس بالطمأنينة والسعادة إذا فعلت ماتراه ربحاً ونجاحاً ، نقول

هذا ونحن على علم بأنه يختلف تبعاً للأشخاص ووجهات النظر.

طلبت خلود الكلمة فأشار لها كعابيش كى تطرح سؤالها.  
— ماهى «الطفرة» يادكتور؟

— أن يتغير الشئ، وينتقل من صفتة إلى صفة أعلى بلا مراحل تدريجية، وكان يعتقد من قبل أن الطفرة بهذا المعنى محال، ومع الأيام تبين أنها قد حدثت بالفعل فإن في الطبيعة تغيرات مفاجئة تحدث قفزة من حالة إلى حالة أخرى بغير اجتياز الحالات المتوسطة بين الطرفين.

سؤاله مصطفى الذى كان متأهباً؟  
— ما هي «الطوباوية»؟

— هي نقىض الواقعية حيث تحلق فى بالخيال فى الأوهام والمثل العليا كتحقيق السلام العام والتقدم المستمر والمساواة الطبيعية وكل ما تشتهى الأنفس، وتلذ الأعين من كل شئ فى هذه الحياة الدنيا.

— ماهى «الوطممية» يادكتور؟  
قالتها سماح.

— الطوطمية من أقدم أشكال الديانات فى المجتمع البدائى، وتقوم على عبادة نوع من الحيوانات أو الأشياء

أو الظواهر على أساس أنها تمد الخلق بالطعام، ولاتزال الطوطمية منتشرة بين القبائل الأصلية في استراليا وأمريكا الشمالية والجنوبية وبولونيا وإفريقيا.

وما إن انتهى كعابيش من إجابة سؤال سماح حتى رأى أيادي غالبية الحضور ترتفع، كل منهم يريد أن يسمح له بطرح سؤال، ولكن كعابيش يتتجاهل مايرى حتى تسير الأممية في المسار الخطط لها فيشير لعمرو.

— ماهو «الظاهر» و «الظاهرة»؟

— الظاهر يا أستاذ عمرو هو كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية، أما الظاهرة فهي طائفة من الفقهاء يأخذون بظواهر النص حتى لو خالف بدبيهية العقل.

— إزاي يادكتور؟!

— أقول لك يا سيدي، الظاهرة من الفلسفه ينكرون معنى الجوهر، ويقولون إن الوجود الحقيقي مؤلف من الظواهر فقط، فهمت؟

— لا.

قالها عمرو فضح كل الحضور وصفقوا لعمرو.

— بص يا سيدي، ربنا سبحانه وتعالى بيقول في كتابه العزيز «يد الله فوق أيديهم»، الظاهرة عندما يفسرون هذه الآية يقولون إن الله يداً، ولكن ليست كيد البشر،

لأنهم يقفون عند ظاهر الآية وفيها يد الله، إنما التفسير الأقرب إلى العقل والمنطق أن اليد هنا بمعنى القدرة، فهمت يا سيدى.

— أيوه، كدا تمام.

صفق الحضور، فرأت فرحةً أن تعطى الحاضرين استراحةً منتصف الندوة كي يتناولوا قطعاً من الكيك وعصيراً أعدته أسرة أفكار فلسفية لضيوفها، استغللت خلود توقف الندوة وجرت نحو كعابيس وقالت له فى أذته: شيك قوى، وجنت البناء اللي فى الندوة، فضحك وقال : أهى دى الطوباوية وضحك ..

تقدّم بعض الشباب القادمين من القاهرة نحو كعابيس مستفسرين عن سبب تجاهله لهم وعدم إعطائهم فرصة لطرح الأسئلة فأجاب أن الضرورة العلمية تحتم تحضير الأسئلة بترتيب معين حتى تعم الفائدة، على أن يرد على أسئلة الضيوف بعد الانتهاء من الأسئلة التي تدور حولها الأمسية.

تقدّمت فرحة نحو المايك وقالت على السادة الحضور الالتزام بالمقاعد فسوف نستأنف الندوة بعد دقيقة واحدة، فاتجه كل إلى مكانه الذي كان يجلس فوقه، وب بدأت الندوة.

قال كعبايش :

— أنا هاكلمكم عن «العالم»، و «العقبريّة»، و «العقل».

— أما العالم فهو كل المخلوقات ، وعالم الطبيعة هو الأشياء المادية والعالم الأكبر: السماوات والأرض وما بينهما (أى الكون كله) والعالم الأصغر هو الأرض بمن وما فيها وعليها.

والعقبري هو الذى يعكس المطالب الاجتماعية ذات الأهمية الحيوية. أما العقل هو الذى يستدل ويستنتاج.

رفعت خلود يدها فسمح لها بالسؤال :

ماهى «الغائية»؟

أنا عارف ياخلود إن انت عارفة الإجابة لأنى قلتها لك قبل كدا بس مافيش مانع نقولها تانى عشان باقى الأصدقاء، مبدأ الغائية هو القول بأن كل موجود يسير إلى غاية معينة وليس الإنسان وحده كذلك ، وهذا المبدأ أحد الأدلة على وجود الخالق ، ويسمى الدليل الغائي.

— طيب يا دكتور، ممكن أسأل سؤال تانى؟

— افضللى يا خلود.

— ماهى «الغنوصية»؟

— الغنوصية هى كلمة يونانية ، تطلق على نزعة صوفية تهدف إلى إدراك الأسرار الإلهية مباشرة وبلا وساطة ،

والغنوصية تمزج المسيحية بالديانات الشرقية القديمة  
والأفلاطونية الحديثة.

تلمع عينا عمرو سعادة وفخراً بحبيبه التي تسهم  
وتشارك، فيبعث لها نظرات من آن لآخر يطبع بها  
عليها، ويخبرها بأنه فخور وسعيد بها، فلا تملك إلا أن  
تنظر له نظرة لا يفهمها إلا هو، فيها كل كلام الحب الرقيق.

أشار كعابيش لمصطفى :

— اتفضل يابطل.

— إيه المقصود من كلمة الفاشية؟

— ديكتاتورية إرهابية تأسست كنظام فى إيطاليا سنة  
١٩٢٢ ثم فى ألمانيا . ١٩٣٣

— ماهى «الفسيولوجيا»؟

قالها مصطفى :

— هى علم وظائف الأعضاء الحية.

— ماهو معنى مصطلح فنطاسيا؟

— هو كل تخيل وهمى متحرر من قيود العقل، أو على كل  
رغبة لا تستند إلى سبب معقول.

— ماهى «الفوضوية»؟

قالتها سماح :

— تزعم هذا المبدأ مفكر إنجليزي اسمه ستانلى، ويرمى إلى إلغاء الدولة بشتى أنواعها ومظاهرها، وایجاد مجتمع خال من القهر والإرغام، أما المصالح العامة فيتولاها جماعة من أهل الأمانة والثقة على غرار مجالس الحسبة والبلدية.

أطلق مصطفى عينيه حول خلود تحرسها وتستمتع بالنظر إليها: فكل لحظة إعجابه بها يزيد، فهو يعقد مقارنات غير إرادية بينها وبين فنيات كان يعرفهن، ولكنه وقتها كان لا يعرف نفسه فعرفها بعدها عرف خلود.

جاء دور عمرو في طرح السؤال فأشار له كعابيش.

— ما هو «الفيض»؟

— الفيض حق لاريب فيه، ومعناه في غاية الوضوح والبساطة، وهو ان الله سبحانه وتعالى يفيض عنه كل الوجود بإرادته فيضاناً من ذاته القدسية، وقد أبى بعض الفلاسفة إلا إشارة الشبهات مثل ان الله واحد، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد بطريق مباشر، علماً بأن الصادرات التي نراها فضلاً عما غاب عننا - لا يبلغها الإحصاء، ولكن يجدوا حلاً لهذه المشكلة الشائكة ابتدعوا فكرة العقول العشر، وسموها بنظرية الفيض، وخلاصتها بأن الله قد فاض عنه عقل واحد فقط،

فوجد فيه ثنائية الإمكان بالذات والوجوب بالغير، وعن هذا العقل فاض عقل ثان، وعنـه فاض ثالث، وهكذا تتتابع فيضان العقول حتى تألفت هيئة من عشرة وزعت فيما بينها صناعة الكون وخلقه.

وقف أحد الحضور مقاطعاً :

— إيه اللي انت بتقوله دا، دا كفر والعياذ بالله؟!

— دا مش كلامي أنا، دا كلامهم هما أصحاب النظرية دى، عندي رد عليه.

— دا كفر.

— أنا معاك، ومش موافق على النظرية دى، اهدا واسمع للآخر.

تدخل الأمن الداخلى واللجنة المنظمة للندوة وطلبوا من هذا الشخص أن يغادر القاعة فوراً، لكن كعابيش رفض وطلب منه أن يستمع إلى رأيه هو فى نظرية الفيض.

— يقول القرآن الكريم: «قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار».

ويقول أصحاب هذه النظرية، كلا، الله خلق العقل الأول فقط، وما عداه من صنع العقول العشر، فتعالى الله عما يشکرون، ومن هنا رفض علماء الإسلام هذا النوع من الفيض، وعملوا بالحديث الشريف «تفكروا فى خلق الله، ولا تفكروا فى ذات الله».

- هز الرجل رأسه مقتنعاً بما قاله كعابيش وقال :
- ياريت يادكتور تسمح لنا بالأسئلة حضرتك وعدت  
وعليك الوفاء.
- حاضر، عرفنا بنفسك وقل سؤالك ، اتفضل .
- أنا علاء السعيد من كلية الآداب جامعة القاهرة وسؤالى :  
إيه رأى حضرتك فى قانون التظاهر؟
- يجب علينا جميعاً إحترام القانون والامتثال له مادام  
القانون قائماً ولم يلغ ، وأن نعمل فى نفس الوقت على  
تعديله أو إلغائه عن طريق مجلس الشعب.
- وأشار كعابيش لشاب يرفع يده طالباً السؤال.
- أيوه حضرتك ، الأخ اللي لابس تى شرت أحمر ، انت  
كاتب على التى شرت الحرية ، ولا انت شاريه كدا؟!
- هو جاهز يادكتور ، لكن عجبنى .  
قالها أثناء وقوفه .
- تمام اتفضل عرف نفسك ، وبعدين قول سؤالك .
- إسماعيل الطيب تالقة آداب جامعة القاهرة ، هل جزيرتنا  
تيران وصنافير مصرية ولا سعودية؟
- بص يا إسماعيل ، دي مسألة قانونية تفصل فيها

المحكمة، فإذا قالت المحكمة بحكم بات إنها سعودية تبقى سعودية، وإذا قالت إنها مصرية تبقى مصرية، لكن سوء إدارة الملف، وعدم اختيار الوقت المناسب خلی الصورة مظلمة.

— اتفضلى حضرتك.

قالها كعابيش لإحدى الآنسات.

— ثناء عبدالرشيد، ربة منزل، من إسكندرية، أهلاً بحضرتك، نورت إسكندرية يادكتور، إيه رأى حضرتك في اللي حصل فى ٣٠ يونيو، هل هو ثورة ولا انقلاب؟

— الثورة هي حركة شعبية عفوية لتغيير نظام سياسي واجتماعي واقتصادي، أما الانقلاب فهو استيلاء فصيل معين على السلطة بعد الإطاحة بالسلطة الحاكمة ليحل هو محلها.

— اتفضلى حضرتك.

قالها كعابيش وهو يشير لأحد الحضور في القاعة.

— أحمد محسوب من رابطة الزجالين في إسكندرية، إيه رأى حضرتك في مشروع سد النهضة؟

— من ناحية إيه؟

— من كل النواحي.

— دا ملف فنى يفصل فيه مهندسين الرى وخبراء الماء وهماللى يحددوا اذا كان فيه خطر على الزراعة والإنسان لكن أحب أؤكد لك إن التاريخ لن يرحم كل من تسبب فى عطش المصريين، أما إذا الفنيين قالوا إن مالوش ضرر على مصر، فربنا يوفق إخواننا إلى كل خير.

— افضل حضرتك.

قالها كعابيش مشيراً إلى أحد الحضور في القاعة.

— هل اختارت الحكومة الوقت المناسب لإقامة مشروع قناة السويس الجديدة والعاصمة الإدارية الجديدة، وهل كان من الأفضل إقامة مشروعات ومصانع تدر عائد، وتستوعب الشباب الذي يعاني من البطالة؟

— اسم حضرتك إيه؟

— سعيد علام من إسكندرية.

— واضح يا أستاذ سعيد إن انت عارف الإجابة، وعاوز تسمعها تانى منى، عشان كدا أنا مش هاجاوب.

صفق كل الحضور، وضحكـت خلود وهـى تتبع إبتسامة كعابـش.

قام أحد موظفى المكتبة وأخذ المايك قائلاً :

— لوسمحتـم، أرجوكم الإلتزام بموضوع الندوة.

— حاضر.

قالها كعابيش ،

— هناخد سؤالين قبل مانرجع لخلود.

وأشار إلى إحدى فتيات القاعة.

— اتفضلى .

— إلهام سليم، من إسكندرية، طالبة في كلية الإعلام، إيه رأى حضرتك في ظاهرة الاختفاء القسري وإزاي تتحل؟

— الاختفاء القسري موجود في معظم دول العالم الثالث.

— أيوة بالظبط، ودا يثبت إن الظاهرة موجودة ومستمرة.

تدخل الموظف مرة أخرى، لو سمحتوا يا جماعة، أرجوكم الالتزام بموضوع الندوة.

— حاضر، ونرجع تانى للندوة بتعاتنا، اتفضلى ياخلوه.

— ما هي القيمة الفاضلة؟

— القيمة الفاضلة هي ...

توقف كعابيش عندما رأى أشخاصاً يحاولون أخذ مقاعد الجمهور واحتلالها بطريقة غريبة، يبدو عليهم سمات المخبرين وأمناء الشرطة الذين يلبسون ملابس مدنية:

— لو سمحتم من فضلكم هاتوا كراسى زيادة لكن ماتجبروش  
حد على الخروج من القاعة.

وقع هرج ومرج فى القاعة، فقام مصطفى وسيطر على  
الموقف، وأعطى إشارة لكتابيـش أن يستأنف الندوة..

— بالنسبة للإجابة عن سؤال فرحة المقرر العام لأسرة  
أفكار فلسفية بكلية الآداب جامعة القاهرة والتى أشرف  
برئاسة قسم الفلسفة بها، نقدر نقول إن القيمة الفاضلة  
هى أصل من أصول العقيدة الماركسيـة، وخلاصتها أن  
السلعة من حيث هـى لا قيمة لها على الإطلاق ذهباً  
كانت أو خشباً، وإنما تـقاس القيمة بـعمل الإنسان، مثلاً  
مصنوعـية الذهب لا تـقدر بالـسعر المعـروف للذهب، بل  
بـما يـبذله الصائـع من جـهد فـى صـياغـتها، ولكن العـامل  
لا يـأخذ قـيمـة عملـه بالـكـامل، بل يـاخـذ بـعـضـها، وـماـزـاد  
فـهـو لـربـ العملـ بلاـ مـقـابلـ، وـهـو سـلـبـ وـنـهـبـ.

ونلاحظ هنا أن هذه النظرية على عكس مايراه العقل،  
وجرت عليه سيرة العـقـلاء قـديـماً وـحـدـيـشاً حيث يـقدـرونـ  
الـسـلـعـةـ بماـ لـهـاـ منـ نـفـعـ وـفـائـدـةـ فـىـ مـفـهـومـهـمـ، وـلـوـ صـحتـ  
هـذـهـ النـظـرـيـةـ المـارـكـسـيـةـ لـكـانـتـ الأـرـضـ الـخـصـبـةـ التـىـ تعـطـىـ  
الـكـثـيرـ بـالـعـمـلـ الـيـسـيرـ أـقـلـ ثـمـناًـ وـقـيمـةـ مـنـ الـأـرـضـ الـمـجـدـبـةـ  
الـتـىـ تعـطـىـ الـيـسـيرـ بـالـعـمـلـ الـكـثـيرـ، وـهـكـذاـ سـائـرـ السـلـعـ  
وـوسـائـلـ الـإـنـتـاجـ.

قامت خلود، وسألت.

— ماهو معنى القيوم؟

— القيوم اسم من أسماء الله الحسنى، القيوم هو القائم فى ذاته، الغنى فى وجوده وجميع صفاتة عن كل شئ، وليس ذلك إلا الله وحده عز وجل.. بإجابة هذا السؤال الطيب هنكون انتهينا من الوقت المخصصلينا الليلة دى، ساعتين مروا كأنهم خمس دقايق.

اشتعلت القاعة بالتصفيق، واتجه الجميع نحو كعابيش يشكونه ويهنئونه بنجاح الندوة التى تمت على أكمل وجه، فشعر فريق العمل بالفخر والسعادة، وأيقنت خلود وقتئذ أن المشوار قد بدأ وعليها أن تقرأ جميع الكتب التى أوصاها بها كعابيش حتى تستطيع قيادة أسرة أفكار فلسفية

— بصى ياخلود أنا من النهاردة مساعد مقرر الأسرة وانتِ المقرر.

— لا يافحة ، احنا هنفضل زى ما احنا، زى ما بدأنا مافيش حاجة هتنغير.

— احنا بنبتدى النهاردة مرحلة جديدة، وانتِ أفضل منى، وبعدين ياستى أنا هاكون النائب، يعني المساعدة الأولى ليك ولا كتير علىّ؟

— لأنّ طبعاً، دا انت حبيبتي وصاحبـة الفضل علىّ، ولو لا  
انت ما كانتش أسرة أفكار فلسفية، ولا كنت هأقدر  
اتعرف في يوم من الأيام علىّ الرجال العظيمـ دا.

— يلا ياستى، مصائب قوم عند قوم فوائد، وهى تبتسـ،  
الله ينتقم منك ياـ دكتور سمير.

فتضحكـ خلود من قلبها بصوت عالٍ.

الأسرة تستعد لغادرة مكتبة الإسكندرية لتعود إلى مقر  
إقامتها في بيت الشباب، الجميع ينتظرون الدكتور كعابيش  
أمام القاعة التي يخرج منها أحد الموظفين قائلاً:

— اتفضـوا حضراتكم، منـوع الوقوف هنا.

— احـنا مستـنيـنـ الدكتور كـعـابـيشـ.

— إدارة المكتبة أقامت عشا خاص بالدكتور كـعـابـيشـ مع  
مدير المكتبة وبعض المسؤولين، وبعدين العربية هـتوصلـه  
لـحدـ مـقـرـ إـقـامـتـهـ.

ابتسمـ مـصـطـفىـ قـائـلاًـ:

— يـاعـيـنىـ.

لكن خلود أرادت أن تتأكد فاتصلت بکعابیش فوجدت  
تلیفونه مغلقاً فشعرت بالقلق.

— حضرتك، أنا لازم أدخل للدكتور دى الوقت حالاً، أنا  
أخته والمفتاح معاي أهو، ولازم أبلغه حاجة عائلية  
تخص ماما.

قالتها خلود لموظف الأمن، وهى مرتبكة، فنظر إليها  
باقى الأسرة، وببدأ الجميع يشعر بالقلق.

— ما أقدرش أدخلك.

فصرخت فى وجهه :

— ما تقدرش إزاي ، يامصطفى ، يا عمرو ، الحقونى الدكتور  
کعابیش فى خطر.

## إدارة مكافحة الفكر

— أنا عاوز أعرف أنا هنا ليه؟!

قالها كعابيش لشخص يلبس ملابس مدنية فى المكتب  
الذى تم احتجازه فيه.

— فى واحد كبير قوى موصى عليك، وعاوز يقول لك  
كلمتين، ما تخافش، هتسمعهم وتروح على طول.  
— وهو مين الكبير دا؟!

قالها كعابيش وهو يفكر ويبعدو أنه تذكر «أنا ما حدش  
فى البلد دى بيشوفنى غير مرة واحدة، ولو شفتك مرة  
تانية أعرف إن دى نهايتك».

أذن الفجر ومازال كعابيش جالساً على كرسى ورأسه  
مسنود على مكتب أمامه، فراح فى النوم من شدة الإعياء.

— صباح الخير يا روح أمك.

استيقظ مفزواً، فرأه أمامه، شخص بملامح منحوته كأنه  
تمثال، طويل القامة، عريض، بأنف مدبب، وشعر أكرد

قصير جداً، لون بشرته يشبه لون القمح المسرطن، يجلس على مكتب في غرفة بها أربعة مكاتب أخرى خالية، عرض الغرفة ثلاثة أمتار وطولها أكثر من عشرة أمتار، على الحائط ساعة، كان كعابيشه يريد أن يعرف منها الوقت، لكنها لاتعمل، وكان الزمن قد توقف.

— مش قلت لك ها خليك تندم لو فضلت ماشى في السكة دي؟

— انت بتشتمني ليه؟ أنا مش عارف انت بتكرهنى قوى كدا ليه؟ وإيه اللي بيخليلك تعاملنى المعاملة دي؟ أنا أستاذ جامعة، دكتور في الفلسفة، وباتكلم أربع لغات وترجمت عشرات الكتب اللي بيتعلم منها الطلبة وممكن يكون أولادك منهم، أنا باعلم تلاميذى يفكروا ويحرروا عقولهم، أنا عمرى ما عملت حاجة ضد القانون.

— بصح ياكعابيشه، القوانين المكتوبة دي مش هي اللي بتحكم البلد، فيه قوانين تانية، أى نعم مش مكتوبة، لكنها أهم قوانين، عشان هي اللي بتحفظ استقرار البلد دي.

— إيه اللي يضركم لما الشباب يفكروا؟!

— بلاش الكلام بتاع أبالسة ٢٥ بناير؟

— الشهدا أبالسة؟!

— اتعدل أحسن لك، لاحسن أجيب لك واد عسكري

عقر من اللي واقفين بره يغتصبك هنا، ودى الوقت،  
وأصورك، وأبعث الصور لتلاميذك اللي انت فرحان بيهم.

— انت ليه بتعمل كل دا؟ أنا مش فاهم الكره دا كله سببه إيه؟

— انت اللي ليه بتعمل كدا؟ عاوز تبقى بطل على حساب  
البلد؟ عاوز العيال الصايحة يفكروا ويتكلموا في السياسة  
ويقرفونا في حياتنا، مظاهرات وقلة أدب، أنا هاربيك  
وهاخليك تعرف إزاي تتحدانى، يا إبراهيم، وهو ينادى  
على أحد الأفراد، خدوا الكلب دا ودوه النيابة.

في ذهول، قال كعابيش :

— نيابة؟! نيابة إيه؟! مليه، بتهمة التفكير، وتحريض  
الطلبة على الفكر؟!

— برضو بتنفلسف؟

— أنا دكتور فلسفة، عاوزنى أعمل إيه؟!

— لما تروح النيابة هتعرف ياروح أمك.

دخل كعابيش غرفة وكيل النيابة وقبل أن يجلس قال  
وكيل النيابة لكاتبه :

— وقد أمرنا نحن عادل نزيه وكيل نيابة شرق إسكندرية  
بحبس المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق.

ثم نظر للعسكري الواقف إلى جانب باب الغرفة :

— رجعه القسم.

فثار كعايبيش قائلاً:

— هو فيه إيه يا افندم، إيه اللي بيحصل هنا؟! لو سمحت اسمعني.

— أنا عندي قضايا كتير النهاردة، ولما أشوفهم وافضى بكرة ولا بعده هاسمعك يا عبد الحميد.

— يا افندم حضرتك اديتنى أربع أيام على أساس إيه؟

— على أساس التحقيق فى التهم المنسوبة إليك.

— ممكن أعرف إيه هي التهم دى؟!

— ما أنا هاقول لك طبعاً، بس مش دى الوقت.

— من فضلك، أرجوك، أنا هاتجنبن.

— حاضر.

وأخذ يقرأ من أوراق أمامه:

— تلقى أموال من الخارج لزعزعة الاستقرار في مصر.

— والله ما حصل، منين؟

— انت هتسهيل؟! من النرويج، أنا مش باحقق معاك دى الوقت، ابعث هات لك محامي، لأن انت كدا هتروج في داهية، انت عندك خمس تهم يودوك السجن مدى

الحياة، وممكن تتعدم.

— اتعدم، إزاي، ليه، عملت إيه؟!

— أقول لك :

ونظر في أوراق أمامه :

— تلقى أموال من جمعيات أجنبية، فى النرويج، لزعزة الاستقرار فى مصر، التحرير يض على التظاهر وارتكاب العنف، تكدير السلم العام، محاولة قلب نظام الحكم، ازدراء الأديان، كل دا وزعلان إنك خدت أربع أيام؟! دا لو ثبت الكلام اللي جاي فى محضر الضبط اللي جاي من القسم، مش هتطلع من السجن أبداً، وممكن تتعدم.

— محضر إيه وقسم إيه يا افندم، أنا كنت فى مكتبة إسكندرية العامة الحكومية، وكان عندي ندوة هناك، وكان قاعد جنبى مدير المكتبة.....

فقطاعه وكيل النيابة غير مهم بما يقوله :

— خده يا ابني ونزله الحجز أو رجعه القسم.

ونظر لكاپييش :

— خلصنى بقى أنا مش فاضى لك.

خلود وسماح وفرحة ومصطفى وعمرو مع رحمة والدتها فى بيت الدكتور كعاپييش.

— أنا اتفقت مع أكبر محامي في البلد، نضال عبدالحق، وزمانه جاي.

— أنا متأكدة يامصطفى إنه محامي قوى جداً ومشهور، أنا شفته كتير في التليفزيون .

قالتها خلود :

— أيوه دا محامي كبير، ماسك قضايا شغل بابا يا خلود.  
قالتها فرحة لتبعد الطمأنينة في قلب أم كعابيش وأخته.

دق جرس الباب :

— أكيد هو.

قالتها فرحة التي قامت لتفتح الباب :

— اتفضل يامتر، أهلا بحضرتك.

— شدوا حيلكوا، دى قضية سياسية وهياخذ فيها براءة إن شاء الله ، ماتخافوش المحكمة هى خط الحماية الآخر للشعب.

— ربنا يطمئنك ياابنى.

قالتها أم كعابيش ، وهى تحاول أن تطمئن نفسها ، وهى تمسح دموعها بمنديل فى يدها.

— احنا هنروح بكرة إسكندرية ، ونحضر التحقيق.

قالها عمرو بإصرار.

— كلنا هنكون مع بعض، وزى ما رحنا سوا لازم نرجع سوا.

— إن شاء الله ياخلود.

قالها مصطفى بحماس.

فى اليوم الرابع عرض كعابيش على وكيل النيابة ومعه المحامى الذى دفع ببطلان إجراءات القبض على موكله، وأكد أنها قضية ملفقة لدوع سياسية، وأن موكله حسن السير والسلوك، وليس له أى سوابق جنائية أو حتى سياسية، وهذه الجريمة التى يسأل عنها اليوم ليس فيها دليل واحد ضده، وهذه التهم كلها ملفقة.

— دكتور فى جامعة القاهرة وفضل يترقى لحد ما بقى رئيس قسم، وأبوه وزير صحة سابق وكان من أعمدة الحزب الوطنى، دا من قلب النظام يامتر، إزاى النظام هيلفق له تهمة، وبعدين التحويل ثابت بالدليل أربع تلاف دولار من النرويج على دفعتين، وتوقيعه أهو، قدامك فى أوراق القضية.

يا افندم دى رواية كنت بترجمها لناشر نرويجى،  
والملبغ دا كان قسطين من أتعاب الترجمة.

— طب تقول إيه فى الصفحة اللي انت عاملها على الفيس بوك، واللى اعترفت انها تخصك، وإن الكلام اللي فيها انت اللي كاتبه؟

ونظر للمحامي قائلًا :

— اسمع يامتر : إن هذا الكون له إلهان، إله الخير وإله الشر، دا اسمه إيه، مش إلحاد وازدراء أديان؟

— يا افندم، أنا باشرح للأولاد «الأثنينيين» دا مذهب فلسفي ظهر فى أثينا قبل الميلاد بمئات السنين، وباقول إن دا كلامهم هما، مش كلامى أنا، يعني لما أقول إن الفراعنة كانوا بيقولوا إن آمون إله الشمس، يبقى أنا باعبد آمون أو باعبد الشمس، إزاي يعني الكلام دا يتفهم كدا، لو قلت إن كفار قريش بيقولوا عن النبى عليه الصلاة والسلام ساحر وكاذب ومجنون يبقى أنا باشتمن النبى والعياذ بالله.

— طب بلاش دى، الكلام عن الشيعة والبهائين، مش دا تحريض على الفتنة الطائفية؟

— يا افندم دى موضوعات بندرسها للطلبة عشان يفكروا، هو التفكير جريمة، لو كدا يبقى أنا فعلاً ارتكبت الجريمة دى، فعلاً لازم اتحاسب لأنى خليت الأولاد يفكروا.

— طب بلاش دا كله يادكتور، حضرتك خدت إذن أو تصريح عشان تجمع كل الشباب دول وتعمل ندوة؟

— مكتبة الإسكندرية مكتبة عامة، ومجرد موافقتها يعتبر تصريح.

قالها المحامي.

— لا يامتر، لازم تحصل على موافقة أمنية، ولما واجهنا الموظف المختص بالمكتبة قال إن الدكتور كعابيش قال له كل شئ جاهز، وفهم هو من الكلمة دى انك معاك تصريح من الأمن.

— إزاي يعني؟

— هو قال كدا فى أقواله : «دا دكتور فى الجامعة ووالده الله يرحمه كان وزير الصحة ومن رجال الحزب الوطنى يعني أكيد كله تمام والأمن موافق».

— هو أنا عشان أعمل ندوة ثقافية أو علمية لازم أحصل على موافقة أمنية؟  
— طبعاً.

قالها وكيل النيابة ساخراً من جهل كعابيش.

— أطلب من النيابة إخلاء سبيل موكلى بضمان وظيفته أو محل إقامته.

— يخلى سبيل المتهم من سرای النيابة بكفالة قدرها خمسون ألف جنية، وتحول أوراق القضية إلى محكمة أمن الدولة العليا.

ونظر إلى كعبیش قائلاً:

- مع السالمة يادكتور، وخلی بالک من نفسك.
- بمجرد خروجه من باب غرفة وكيل النيابة يتصل المحامي بمصطفى.
- ألوه أيوه يا مصطفى باشا، أنا خرجت من النيابة ومعاى الدكتور، ألف مبروك.
- أنا واقف هنا قدام النيابة أهو، انت فين؟  
يراهما مصطفى فيقبل الدكتور قائلاً :
- حمدا لله على السالمة يابطل، ثم يلتفت وينظر بفخر للمحامي.
- أنا متشرك يامتر، فعلاً ما يجيبيها إلا رجالها.
- ويطلب فرحة بالتلليفون:
- يا جماعة ألف مبروك الدكتور خرج براءة الحمد لله هندفع الكفاله وجايين.
- ألو... إزيك ياما؟ أنا خرجت ياحبيبتي، ها ييجي لك مصطفى بتاعنا روحي معاه البنك، واديله خمسة وخمسين ألف جنيه، الكفاله والأتعاب.
- حاضر ياحبيبى، فداك كل حاجة.

— ماما ثقى فى مصطفى وادى له الفلوس واعتمدى عليه  
كأنه أنا بالظبط.

— حاضر يا عبدالحميد.

تخطف رحمة منها التليفون :

— حمدا لله على السلامة يا آبيه، كل الأسرة هنا خلود  
وفرحة وعمرو وسماح.

— خليكم عندكم، هنكون عندكم بعد العصر، أوعى تخليلهم  
يمشوا يارحمة.

تلقط خلود الموبايل :

— احنا مش هنمسي يادكتور، لازم نشوفك.

وتبكى فيبكى الجميع ، كان الكل فى انتظار الأسير  
الذى تحرر من يد إدارة مكافحة الفكر، مع أنه مقبوض  
عليه أثناء التفكير، فى حالة تلبس.

يفتح كعابيش الباب بمفتاحه، ويدخل فيحضرن أمه  
وأخته، ثم يأخذ مصطفى فى يده ويقول له أمام الجميع :

— شكرًا يا مصطفى.

تبث عيناه عن خلود التى جرت عليه وسلمت  
بحرارة، كانت تريد أن ترتمي فى أحضانه وتصرخ، ولكن  
الحضور حالوا بينها وبين ما كانت تتمنى.

قال كعابيش :

- من بكرة لازم نبدأ من تانى.
  - خليها من بعد بكرة يادكتور.
  - عاوزين نبدأ ندور على قاعة نعمل فيها الندوة القادمة.
  - المهم ندور على مطعم ناكل فيه لقمة لاحسن واقعين من الجوع.
- قالها مصطفى مازحاً.

دخلت سماح المطبخ مع رحمة لتحضير الطعام، وذهب مصطفى مع خلود لإحضار بعض الحلوي لتحضير احتفال عائلى بـكعابيش.

- أنا ما كنتش عارفة جوانب كتير من شخصيتك يامصطفى، انت فعلا راجل عظيم.
- ليه دا كله؟ عشان باسوق كويس يعني.

تضحك خلود :

- لا والله فعلًا لولاك كان زماننا محتاسين ومش عارفين نتصرف، وكان زمان الدكتور محبوس ظلم لحد دى الوقت.
- لأ أبدا كانت فرحة أختى هاتكلم المحامى، هى كمان عارفاه.
- وكمان إنكار الذات، دى صفة جميلة.

— انتم اللي أحسن ناس في الدنيا ، الحمد لله إني لقيتكم في الوقت المناسب ، أنا حياتي كانت تافهة جداً قبل ما ابقي عضو في الأسرة العظيمة دي .

— كلنا يامصطفى كنا محتاجين لبعض ، كلنا لازم يكون لنا هدف نبيل نعيش عشانه ، ونفضل حاول نحققه طول حياتنا .

— أنا اتعلمت منك كتير ، ومن الدكتور كعابيش ، وأهم حاجة اتعلمتها إني لازم أفكر .

رحب الجميع بقرار كعابيش بمواصلة إقامة الندوات وقال مصطفى :

— أيوه كدا ، لازم نثبت لهم إننا رجاله وما بنخافش .

نظرت إليه خلود بإعجاب قائلة :

— عندك حق يادرش .

فابتسم .

## ثورة فكرية

رفضت جميع الطلبات التي قدمتها أسرة أفكار فلسفية للحصول على موافقة الأمن على إقامة الندوة الثانية بعد النجاح الكبير الذي حققه الندوة الأولى في مكتبة الإسكندرية، فاتحد الأعضاء وأعلنوا التمرد على كل الأماكن والأفكار القديمة، ووافقوا على مقترن خلود.

— كل اللي هنحتاج له كاميرا فيديو، واللوكيشن عبارة عن غرفة المكتب دي، اللي احنا قاعدين فيها، واحنا في نفس وضعنا دى الوقت، كل واحد فينا هيلزم نفس المكان اللي قاعد فيه دى الوقت.

— يعني انتِ قصدك الدكتور كعبابيش يبقى قاعد على مكتبه، واحنا على الكراسي والكنبة دي؟ احنا نسأل وهو يجاوب، وكل دا يكون مسجل فيديو.

— تمام، مش بس كدا، هنعمل قناة على اليوتيوب اسمها أسرة أفكار فلسفية وننشر عليها الندوة ونعمل (شين) للفيديو على صفحاتنا على الفيس بوك وعلى توينتر.

— أنا موافق.

قالها كعابيش، فوافق الجميع.

أخذ كل واحد منهم مكانه.

— هدوء، هنصور.

قالتها رحمة.

— ١ ، ٢ ، ٣ أكشن.

— أعزائي الطلبة، أعضاء أسرة أفكار فلسفية، ندعوكم إلى التفكير في حاضركم، وفي مستقبلكم، فكل شئ يتغير بالتفكير، والعمل بالفكر المستنير، كنا قد بدأنا ندواتنا في مكتبة الإسكندرية ولكن خلود - المقرر العام للأسرة - رأت أن نسجل الندوات لنذيعها على الأعضاء عبر موقع التواصل الاجتماعي ليشاهدها عدد أكبر، فالقاعات قد لا تسع إلا العشرات من الأعضاء، أما نحن فننطمح إلى الوصول لآلاف، بل الملايين.

صفق أعضاء الأسرة.

— والآن سنكمل ما بدأناه في مكتبة الإسكندرية، ونتعرف على معانى المصطلحات الفلسفية.

أشار إلى خلود :

— اتفضلي يا خلود.

— ما هي «الكثرة» يادكتور؟

— الكثرة هي محل خلاف من عدة جهات :

الأولى : هل الموجود واحد، وما الكثرة البدائية للعيان إلا أحوال وأعراض لجوهر واحد يعم ويشمل العالم كله ، ولا شئ قبله ولا بعده كما يقول المؤمنون بوحدة الوجود، أم هناك قوة وراء العالم تبأينه في جميع صفاته كما يقول المؤمنون بالله .

الثانية : هل الموجود الوحيد هو المادة كما يقول الماديون ، أو هو الروح كما يقول المثاليون ، أو هما معا كما يقول الربانيون؟

الثالثة : هل أصل الأشياء واحد وهو الهواء كما قال انكمانيس ، أو النار كما يدعى هرقلبيط ، أو التراب والماء والنار والهواء كما قال العديد من قدماء الفلاسفة؟

أخذت رحمة تمر بالكاميرا على وجوه الحاضرين أثناء شرح كعابيش وتقطع على الكتب الفلسفية التي أمام كعابيش ، وما إن انتهت كعابيش حتى قالت بصوت عال:

— إستو布 .

— ليه بس ما احنا ماشيين كوييس أهو يارحمة .

— اصبر يا أبيه ، لازم نتأكد إنه بيسجل وإن الصوت واضح .

— عندك حق.

قالتها خلود.

فتحت رحمة الفيديو فشاهدوا معاً نتيجة التجربة، فرح الجميع بهذه النتيجة الرائعة، فقالت رحمة :

— أنا كدا عرفت هاخش كلية إيه، فنانة والله، هنرجع ونصور.

— نعيid يارحمة؟

— لأ يا أبيه، أول ما أشاور لك أدخل على اللي بعده على طول، ١، ٢، ٣ أكشن.

— ما هو المقصود من مصطلح «الكلبية»؟

— بص يا مصطفى، في القرن الرابع قبل الميلاد كان في اليونان فيلسوف يدعى انتستانس، وكان يدرس تلاميذه في مكان اسمه الكلب السريع، فأطلق عليهم اسم الكلبيين، وقيل : أطلق عليهم هذا الاسم لأنهم كانوا ينبحون على فاعل الرذيلة كما ينبح الكلب الحارس.

ومن مذهبهم احتقار التقاليد والعقائد السائدة والرأى العام، وأنه لا خير ولا سعادة إلا في الفضيلة.

سلطت رحمة الكاميرا على وجه مصطفى فعرف أنه هو الذي سيطرح السؤال :

- ماهو الكُمون وما هو «الكوجيتو»؟
- الكُمون يامصطفى بضم الكاف - يوضح مصطفى -  
 الكُمون هو الذى يقول : كل شئ فيه كل شئ، ويرجع  
 هذا إلى وحدة الوجود. أما الكوجيتو إشارة إلى قول  
 ديكارت : أنا أفكّر، إذن أنا موجود، وهو استدلال  
 على وجود النفس بفعل من أفعالها.
- تقوم رحمة بالتصوير بجدية ولا تقبل أى حركة من  
 شأنها ظهور عملها بشكل غير لائق.
- استوب.
- ليه بقى كدا يارحمة؟
- أثناء ما الدكتور بيتكلم مصطفى ، عمال يبص لخلود .
- أنا؟ ! والله أبداً.
- تأخذ رحمة الكاميرا.
- طب تعالى بص ياللى بتحلف.
- احمر وجه مصطفى وهو ينظر لشاشة الكاميرا.
- أه، كنت عاوز أعرف أبداً سؤالى امتنى؟
- مين عليه الدور؟
- أنا يافرحة.

قالتها سماح.

— تمام، استعدى، أنا هابداً بالسؤال على طول، ١ ، ٢ ، ٣ أكشن.

— ماهو «اللاشعور» يادكتور؟

— السلوك الشعورى أن تفعلى عن وعي وقصد، مثل أن تنتقدى أو تقارنى وما إلى ذلك، أما السلوك اللاشعورى فهو أن تفعلى من غير وعي ولا قصدمثال أن تدخنى بحكم العادة (فضحك الجميع) أو تذمى عدواً حين يذكر.

— ماهو «اللاهوت» وما هو «اللوغوس» وما المقصود «بما بعد الطبيعة».

قالها عمرو ثم نظر إلى سماح وابتسم، فنظرت إليه فرأى في عينيها «بأحبك وفخورة بيك» ولكن كعابيش قطع هذا الاتصال الرومانسى بإجابة السؤال :

— اللاهوت هو الخالق، والناسوت هو المخلوق، وعلم اللاهوت مرادف لعلم الكلام والربوبية.

— اللوغوس باليونانية يعني العقل الكلى، أما ما بعد الطبيعة يطلق عليه الآن الميتافيزيقا، وعلم ما بعد الطبيعة عند ابن سينا هو العلم الإلهى.

— ماهي «المادية» وما معنى «المصدق»؟

— المادية يافرحة مذهب من يقول : إن المادة هي الموجود الوحيد، ويفسر كل شئ بالأسباب المادية، وتقابل المادة المثالية التي تفسر كل شئ بأسبابه الروحية، أما الماصدق أوى الذى صدق أخذها من الماصدق، وهو الشاهد للصدق، تنقسم ألفاظ الماصدق إلى كلية وجمعية ومفردة، والكلية تطلق على كثير من الأفراد بلا حد مثل الإنسان، والجمعية تطلق على الأفراد المحدودين مثل أساتذة جامعة القاهرة، والمفردة مثل فرحة ومصطفى وخلود.

— ما هو المحتمل الأقرب؟

قالتها خلود فسلطت رحمة الكاميرا على وجهها فابتسمت محاولة السيطرة على ابتسامتها ولكنها لم تفلح فابتسمت كعابيش قائلاً :

— قد يكون للشئ الذى تحتمل وقوعه درجات متفاوتة قرباً وبعداً، فإذا اضطررت إلى أحد الأطراف تعين عليك أن تختارى الأقرب إلى قدرك وغايتك مثلاً إذا دعتك الحاجة إلى السفر وكان الجو غير ملائم، وتترددت هل تسافرين براً أو جواً فعليك أن تختارى الأقرب إلى السلامة.

— من هم «المشاؤون» وما معنى «المصادرة» و«المفارقة»؟

— بص يادرش، المشاؤون هم تلاميذ أرسطو لأنه كان يعلمهم ماشياً، أما معنى المصادرة فهى الدعوى من غير دليل أو تت忤ذ الدليل من غير الدعوى، كما لو قلت :

هذا الكتاب المعروف للتوراة بين الناس هو من عند الله، لأن كتاب التوراة ينص صراحة أنه من عند الله، أما بالنسبة لمعنى المفارقة فهي كلمة تطلق للدلالة على الآراء المختلفة للمعتقدات المألوفة، وعلى ذلك لا يعتقد صاحبه، ولكنه يدافع عنه أمام الناس ليعجبوا به.

— ماهي «المقولات»؟

— المقولات ياسماح، هي التي قام بها أرسطو عندما طور المقولات الفلسفية، فقد رصد عشر مقولات، واعتبرها هي الأحوال الرئيسية للوجود، ورفع للغاية من شأن أهميتها العلمية، فهي تمكن الإنسان من إحراز معرفة عميقة بالعالم المحيط به وهي : الجوهر كالإنسان والحجر، الكم ومنه العدد، الكيف كالحرارة والبرودة، بالإضافة كنسبة الابن لأبيه، الوضع كالقيام والقعود، الأين وهو نسبة الجسم إلى المكان، المتى وهو نسبة الشئ إلى الزمان، الملك مثل لفلان مال، الفعل مثل كسرت القدح، الانفعال مثل انكسر القدح.

— ما المقصود من كلمة «المنهج»؟

— المنهج ياعمررو جاء تفسيره في المعاجم الفلسفية على أنه طريقة محددة لبحث الموضوع المقصود، وأنه يرتبط ارتباطاً لاينفصّم عن اتجاه الباحث وثقافته وفلسفته.

وما إن انتهى كعابيش من الرد على سؤال عمرو حتى  
دخلت والدته قائلة :

— استوب.

### فضحك الجميع

— انت كمان ياماما؟! يعني مش كفاية علينا رحمة؟!

— ماانا المساعدة بتاعتتها، خدوا بقى السندوتشات دى واشربوا  
العصير وبعدين كملوا زى ما انتوا عاززين، ربنا يوفقكموا.

ونظرت لرحمة :

— بصى ياسيادة المخرجة السينمائية، أوعى تبدئى التصوير  
الا لما يخلصوا السندوتشات كلها.

— حاضر ياماما، أديكم سمعتوا بنفسكموا، اتفضلوا خلصوا  
على السندوتشات دى كلها بسرعة عشان عندنا تصوير.

فأخذت سماح لها ولعمرو الذى مد يده ليأخذ منها  
السندوتش لكن عينيه فى عينيها، فابتسمت، بينما خلود  
ترقب الموقف بسعادة.

موبايل مصطفى يرن.

— أيوه يامتر.

يضع يده على المايك ويحدثهم :

— دا المحامى.

— هاته يادرش، ألوه أيوه يامتر أنا كعابيش، على خيرة الله، قل لن يصيينا إلا ماكتب الله لنا.

— خير يادكتور.

— ماتتخضيش ياخلود، دا المحامى بيفكرنى بالجلسة بعد خمس أيام.

تطل نظرة خوف من عينيه، فتقول له :

— ماتخافش، احنا كلنا معاك.

— على فكرة يادكتور احنا رجاله، ومش ممكن نسيبك تتظلم كدا، احنا كنا معاك خطوة بخطوة وعارفين قد إيه انت إنسان محترم وبتشتغل بدون أى مقابل وبتحب البلد دى قوى والله أنت اللي حببتنا فيها.

قالها مصطفى وخلود تراقب وتسمع ويزيد إعجابها به كل لحظة.

— بص يامصطفى انت كنت عارف إن جواك إنسان كبير وعظيم وبتحاول تثبته فى المتاح قدامك، لما المتاح كان غلط اتصرفت غلط، لما بقى المتاح ليك صح، بقيت صح.

— أنا اتعلمت من حضرتك حاجات كتير يادكتور.

— بالعكس، انا اللي اتعلمت منكم كتير، وهو ينظر لخلود وسماح، وكانت حياتى مالهاش أى قيمة قبل أسرة أفكار فلسفية، عشان كدا لازم أكمل المشوار للآخر.

— كلنا معاك يادكتور.

قالها مصطفى فرددتها وراءه الجميع..... فضحكت رحمة.

— إيه دا انتوا هتفجروا نفسكم فى المكان ولا إيه؟! انسوا الكلام دا دى الوقت ، لازم تكملوا السندوتشات لأن الإداره أوامرها واضحه ، ما فيش تصوير إلا لما السندوتشات دى تخلص.

قاطعتها خلود :

— طب إيه رأيكم أنشر الفيديو دا على الصفحة ونسميه الجزء الأول من ندوة أسرة أفكار فلسفية؟

— تمام ، أنا موافق.

قالها كعابيش ، فوافق الجميع .

بدأت عقارب الساعة تزحف حتى وصلت السابعة مساءً ، فأرادت خلود أن تستأنن لتترك كعابيش يستريح ويجلس مع أسرته ، فرفضت رحمة التي أصرت على تسجيل الجزء الثاني من الندوة ، وقالت :

— ماتحاوليش ، أنا هاكمـل شغلـى يعني هاـكمـل شـغلـى ، مـين اللي عـلـيـه الدـور فـى السـؤـال؟

- خلود هى اللي هتسأل.
- ماشى يادكتور، جاهزة ياخلود ١ ، ٢ ، ٣ أكشن.
- سلطت رحمة الكاميرا على وجه خلود، وأشارت لها بعد العد بيدها اليسرى كى تبدأ فى طرح السؤال.
- ما هو المقصود بالمصطلحات الآتية : «المورفولوجي»، «ميتاسيكولوجيا»، «الميتافيزيقا»، «ميكانيكا»؟
- المورفولوجي علم يبحث فى صور الأشياء أو أشكالها، وتطلق هذه الكلمة فى علم الحياة على دراسة الأنماط المميزة لأنواع الحيوانية والنباتية.
- ميتاسيكولوجيا فرع من علم النفس، يبحث الخصائص اللاشعورية.
- بينما يرد كعابيش على سؤال خلود تتنقل الكاميرا بين وجهى كعابيش وخلود ثم أعضاء الأسرة لتسجيل ردود أفعالهم ومدى تجاوبهم مع الإجابات.
- أما الميتافيزيقا ياخلود فهي مصطلح يطلق على كل فكرة أو مبدأ أو حكم لا يعتمد على الحس والتجربة، كالخوارق التى تصدر عن قوة ما وراء الطبيعة، أما ميكانيكا فهو علم قوانين الحركة.
- وجهت رحمة الكاميرا على وجه مصطفى فبدأ بطرح سؤاله :

— ماهو «النحو المنطقي» وماهى «النرجسية»؟

— النحو المنطقي هو فرع من علم ما بعد المنطق يهتم بدراسة العمليات الحسابية المؤولة والمشكلات التي تنشأ عن فحص العمليات الحسابية.

— أما النرجسية فهى نسبة إلى زهرة النرجس، وفى اليونان أسطورة تقول إن فتى من الفتى كان معجبًا بجماله، وفى ذات يوم رأى صورته فى الماء، فألقى بنفسه فيها ليعانقها، ففرق، ولكن الآلهة أخرجته من الماء، وحولته إلى زهرة النرجس، فأطلقت النرجسية على كل مغرور ليعرف أن مآلء إلى الغرق، وتطلق النرجسية فى أيامنا على الشذوذ الذى يجعل الإنسان غارقاً فى عشق ذاته.

وما إن وجهت رحمة الكاميرا نحو سماح المتأهبة لطرح السؤال، حتى طرحته، وهى تنظر لعمرو الذى بدل مكانه ليجلس جوار الدكتور كعابيش، ويصير أمامها، كى يراها أمامه طول الوقت بشكل طبيعى غير لافت.

— ماهى «النفعية» يادكتور وماهى «النيرفانا» و«الهوهو»؟

— النفعية مذهب يقيس القيم بالمنفعة. ونحن على هذا المبدأ بشرط ألا تكون... المنفعة الخاصة على حساب الآخرين، بل يجب علينا ألا نفرق بين المنفعة الخاصة بهذا الشرط وبين المنفعة العامة، وليس هناك عاقل يشك فى أن خير الأقوال والأعمال ما نفع، علماً بأن

الأفضلية للمنفعة العامة عند التزاحم والتصادم، وعلى هذا الأساس وجوب الجهاد بالروح والمال في سبيل الدين والوطن.

أما النيرفانا فهي كلمة تطلق عند البوذيين على الخير الأعلى الذي يبلغه الإنسان برجوعه إلى المبدأ الأول، وإمحاء ذاته الفردية، وقد استعملها شوبنهاور في إنكار إرادة الحياة إنكاراً تاماً.

أما المراد بالهو هو فهو التعبير عن أن الشئ هو عين ذاته، ويستحيل ألا يكون غير كذلك وإنما لانسد باب العلم، وتعذر الحكم على أي شئ.

وقد نقل عن ابن سينا القول بأن الهو هو تستعمل أيضاً في الاتحاد بين اثنين بطريق أو بآخر.

وجاء دور عمرو فأخذ يقرأ السؤال ناظراً إلى الكاميرا.

— ما هو المقصود بمصطلح «المهيئة» وما معنى «الهيولي»؟

— الهيئة هي علم، وهي قسم من الرياضة، ويبحث أحوال أجزاء العالم في أشكالها، وأوضاعها ومقاديرها، وأبعاد ما بينها، وحال حركات الأفلاك والكواكب.

— أما الهيولي فهي مرادفة للمادة والجسم القابل للصورة الجسمية والنوعية (أى تمام حقيقة الشئ وماهيته)، والعقل الهيولاني مرادف للعقل بالقوة الذى يشبه

الصفحة البيضاء الخالية من النقش، وبتعبير آخر هو الاستعداد المحسّن لإدراك المعقولات.

ما إن أجب كعابيش عن سؤال عمرو حتى طرحت فرحة سؤالها.

— ماهي «الواحدية» وماهي «وحدة الوجود»؟

— الواحدية يافرحة هي مذهب فلسفى يقول : إن مبدأ العالم ومصدره واحد، وخالف القائلون بهذا فيما بينهم، فقال الماديون : هو المادة، وقال المثاليون : بل هو قوة تدرك وتعلم، ولا تمت إلى المادة بسبب.

أما وحدة الوجود فمعناها أن الله والطبيعة، بشتى مظاهرها، شئ واحد ولا اثنينية، بل كل شئ منها هو الله سبحانه وتعالى عما يصفون، فالله حقيقة دائمة الاتحاد بشتى الموجودات، وتتجلى في مختلف محتويات الكون، وتتخذ مظاهر متنوعة تبدو في أشكال الطبيعة المتعددة من إنسان وحيوان ونبات وجماد.

— ستوب.

قالت رحمة.

— ليه ياحبيبتي ما احنا ماشيين كوييس.

— الأسئلة المخصصة للجزء دا خلصت يادكتور.

- لا يارحمة، فاضل سؤال عن مصطلح اليمين واليسار.
- أيوة ياخلود، بس احنا ما اتفقناش مين اللي هيقوله.
- طبعا خلود عshan ننهى بيها الندوة.
- حاضر يا أبيه، بس أنا كمان عندى سؤال، عاوزه أعرف معنى اليوجا، وياريت يبقى هو السؤال الآخر، اشمعنى أنا ماسألتش ولا سؤال.
- ماشي، اتفقنا ياستي.
- ياماما، هاتى الشاي قبل البريك الأخير.
- زمانه برد، أعمل لكم غيره حالاً.
- هاتيه من فضلك بارد بارد.
- يأخذ كعابيش رشفة من الشاي:
- لا مش بارد ولا حاجة، كدا تمام ياماما، تعبنائِ يا حبيبتي.
- تعبكم راحة، والله يابني من ساعة ما القمرات دول ما دخلوا البيت جابوا معاهم روح حلوة وسعادة، ربنا يوفقكم.
- كله شرب الشاي؟ تمام، هنبدأ ١ ، ٢ ، ٣ أكشن.
- ما هو المعنى المقصود من «اليسار» و«اليمين»؟
- اعتاد الناس في هذه الأيام أن يطلقوا كلمة يمينى على

من يحافظ على الوضع القائم أيا كان لونه، ويبقى مكان على مكان، وكلمة يساري على من يقول بوجوب التغيير والتجديد إلى ما هو أفضل وأكمل، ويدافع باستماتة لتطبيق العدالة الاجتماعية، فمثلاً المفروض إن من الأحزاب اليمينية حزب النور ومن الأحزاب اليسارية حزب التجمع.

— ماهي «اليوجا»؟

— اليوجا يارحمة هي فلسفة أو نزعة هندية تقوم على ممارسة ترويض النفس وتحريرها من الطاقات والغرائز الحسية والعقلية لكي تصل رويداً رويداً إلى الاتحاد بالروح الكونية.

— ستوب، فركش.

قالتها رحمة فضحك الجميع.

أخذت خلود الفيديو وحملته على اليوتيوب، وما إن تم التحميل حتى شاركته على حسابها على فيس بوك وعلى تويتر وعلى صفحة أسرة أفكار فلسفية، وطلبت من أعضاء الأسرة أن يفعلوا ما فعلت فأخذ كل واحد منهم يستخدم اللاب توب الخاص به لينشر الفيديو على الصفحات الشخصية وبوصى به لأصدقائه، وما إن مرت دقائق معدودة إلا وقد شاركه الكثيرون من أعضاء الأسرة فتابعته كعابيش بارتياح وسعادة قائلاً :

— الحمد لله.

## المحكمة

دخل كعابيش القاعة ثابتًا قويًا بصحبة محاميه وفريقه،  
فتوجه نحوه حاجب المحكمة ليقتاده نحو القفص، فنظر  
لمحاميه الذي قال:

— ماتخافش يادكتور، دى إجراءات ولازم تتم، إن شاء الله  
هتروّح معانا آخر الجلسة.

بكـت خـلود عـنـدـمـا رـأـتـ أـسـتـاذـها يـُـقـتـادـ إـلـىـ القـفـصـ الـحـدـيـدـيـ  
كـالـجـرـمـيـنـ وـالـلـصـوـصـ. بـدـأـ كـعـابـيـشـ يـنـظـرـ مـنـ خـلـفـ القـضـبـانـ  
وـيـتـذـكـرـ مـاـ حدـثـ لـسـقـرـاطـ الـذـىـ أـعـدـ، وـابـنـ رـشـدـ الـذـىـ نـكـلـ  
بـهـ وـحرـقـتـ كـتـبـهـ فـصـبـرـ وـاحـتـسـبـ، وـقـالـ لـنـفـسـهـ : مـنـ أـنـاـ  
لـأـكـونـ خـيـرـاـ مـنـهـمـ؟!

— مـحـكـمـةـ.

قالـهـاـ الـحـاجـبـ، فـوقفـ كـلـ الـحـضـورـ، وـدـخـلـ الـقـاضـىـ  
وـالـمـسـتـشـارـوـنـ وـجـلـسـوـاـ فـىـ أـمـاـكـنـهـمـ وـاـحـتـلـ وـكـيلـ الـنـيـابـةـ مـوـقـعـهـ  
فـبـدـأـتـ الـمـحاـكـمـةـ.

— نضال عبدالحق المحامى حاضر مع المتهم .

وقدم صورة التوكيل فتسلمهما القاضى وأخذ يملئ على كاتب الجلسة :

— الأستاذ نضال عبدالحق المحامى حاضر مع المتهم بتوكيل رقم ٢٤٣٦ لعام ٢٠١٦ مشيراً لوكيل النيابة قائلاً :

— النيابة تتفضل .

— سيدى الرئيس إن العلم شعلة إما أن تضئ الطريق للمجتمع وإما أن تشعل النار فيه ، فتقضى على استقراره وأمنه ، إن المتهم الماثل أمامكم حرض الشباب على قلب نظام الحكم ، وإشعال الفتنة الطائفية ، وقام بازدراء الأديان ، وحصل على تمويل خارجى من دولة أجنبية تحديداً النرويج - ليهدم اسقرار الوطن باستخدام الشباب المتحمس الذى يثق فيه كأستاذ وتعلم ، ولكنه استغل هذه الثقة لتحقيق منافع خاصة على حساب مستقبل هؤلاء الشباب المغتر بهم .

فقطاعه المحامى قائلاً :

— سيدى الرئيس هذه التهم سياسية ومرسلة ، ولم تقدم النيابة دليلاً واحداً على صحتها وهى جمياً ملقة ، وأربأ بالنيابة العامة أن تكون طرفاً فى خصومة سياسية

منعقدة دائمًا بين الحكومة وأى شخص يدعوه إلى الفكر والتنوير ويحلم بـغد أفضل يشارك فيه الشباب.

فرد وكيل النيابة خاصبًا :

— النيابة ترفض اتهام الدفاع لها وترجو من المحكمة إلزام الدفاع بآداب المحاكمة.

ثم صمت بعض ثوان، ثم قال مرتبكًا :

— مرفق لسيادتكم فى ملف القضية صورتان من تحويلات بنكية من أوربا، بالتحديد من النرويج، بمبلغ أربعة آلاف دولار، أى ما يعادل خمسين ألف جنيه، قد تلقاها المتهم من جهات مشبوهة لتمويل نشاطه الإجرامى لزعزعة الاستقرار فى مصر.

— يا فندم، احنا مقدمين لسيادتك صورة من العقد المبرم بين الدكتور عبدالحميد محمد كعابيش ودار النشر النرويجية، والذى حصل بمقتضاه على هذه المبالغ لقاء ترجمة رواية الكاتب النرويجى جوستاين جاردر إلى اللغة العربية، ومعنا هنا فى القاعة الأستاذ فاروق عبدالسلام وكيل دار النشر فى القاهرة، ويطلب الشهادة.

— نادى على الشاهد.

— السيد فاروق عبدالسلام.

— أفنديم.

— قل والله العظيم أقول الحق.

— والله العظيم أقول الحق.

— إيه معلوماتك عن الواقعه؟

— دكتور عبدالحميد محمد كعابيش آخر واحد فى مصر  
ممكن يكون هنا، ورا القضبان، دا عالم جليل ومفكر  
عظيم، دا يَا افندم أسطورة، لازم كلنا نفخر بيها، بيكتب  
ويقرأ أربع لغات بطلاقه، وفي أوروبا بيقدروه جداً  
وطلبوه هو بالذات لترجمة الرواية لأنها بتدور حول  
تاریخ الفلسفة، وهو بالإضافة لأنه مترجم متمنى جداً  
هو رئيس قسم الفلسفة بكلية الأداب جامعة القاهرة.

— عندك أقوال أخرى؟

— الدكتور كعابيش برأي، والله العظيم يا افندم برأي،  
وكل شئ تم قدامي وأنا شاهد عليه، إحنا ادينا له  
الألفين دولار الأولى غيرها على ٩ جنيه بـ ١٨٠٠ والآلفين  
التانيين بـ ١٢ جنيه بـ ٢٤ ألف، ولأنه إنسان عنده  
مبادئ وضمير قرر يرجع لنا المبلغ، لأن الترجمة الأولى  
عجبته، ونصحنا بالتعاقد مع المترجم الأول وتحمل عبء  
ارتفاع الدولار خلال التلات شهور من جيبيه خسر  
ألف جنيه يا افندم عشان يلتزم معانا.

— إزاي حصل كدا، ممكن توضح؟

قالها القاضى.

— لما استلم الدفعة الأولى كان الدولار بـ ٩ جنيه والدفعه الثانية  
كان الدولار بـ ١٢ جنيه، بعد تلات شهور كان الدولار  
بـ ١٥ جنيه فتحمل هو كل الخسارة ودفعها من جيبيه.

— يعني هو رجع لكم الفلوس؟

— أيوه يا افندم، وخسر ١٨٠٠٠ جنيه لأنه إنسان محترم  
وملتزم.

— طب اتفضل.

قالها القاضى ثم وجه كلامه لكتابيشه.

— ياعبد الحميد.

— أفندم.

— ماهي أقوالك فيما تنسبه إليك النيابة؟

— أنا برأي يا افندم، كل اللي حصل إنى لقيت  
عمرى بيجرى، وسنى بيكبر، بقى عندى ٤٧ سنة،  
وماتتجوزتش، وما بقاش عندى أولاد، واتعلمت كتير  
قوى، عمرى كله ضاع وأنا قاعد على مكتبى، باكتب

وأقرا، لكن سألت نفسى سؤال – لازم كلنا نسأله لنفسنا: – إيه فايدة العلم دا لو ماساعدش الناس فى حياتهم، وخلاتهم يفكروا يعيشوا أحسن، إيه فايدة العلم والحياة عمالة تغلى، الدولار عمال يزيد والناس مش عارفين يفكروا يحلوا المشكلة إزاي، كل السلع فى مصر غليت بطريقه جنونية ومافيش حد بيفكري حل المشكلة إزاي، لأنهم ماتعودوش على التفكير، وقابلت خمس شباب زى الورد (وهو ينظر من خلف القصبان إلى خلود ومصطفى وعمرو وسماح وفرحة، وهم ينظرون إليه بفخر واعتزاز) حبيتهم قوى، علمونى وفهمونى إن الحياة فى التواصل مع المجتمع، اتعلمت من خلود القوة والواجهة، واتعلمت من فرحة الإصرار والعزمية، واتعلمت من سماح إنى لازم اتغير مادام الناس اللي باحبهم عاوزيني اتغير، واتعلمت من عمرو إنى أعرف إزاي اختار فى الوقت المناسب اللي يناسبنى فى حياتى الجاية، واتعلمت من مصطفى إن أى إنسان عاوز يتغير، هيتغير، لو كل الدنيا وقفت ضده، لو كل الظروف ما سمحتش بالتغيير، هو يقدر يقاوم ويقدر يتغير مادام حوليه ناس بتحبه وبتساعده، ياسيادة القاضى قبل ماتحكم علىّ، لازم تعرف جريمتى، أنا خدت من الخمسة دول حماسهم، واديتهم كل اللي اتعلمنته، وقررنا إن بلدنا لازم تبقى أجمل بلد فى الدنيا، لوعاوزين

تسجنونى عشان باحب بلدى اسجنونى، لو عاوزين  
تعدمونى عشان عاوز شباب بلدى يفكروا ويعرفوا إزاي  
يخلوها أجمل بلد فى الدنيا، اعدمونى.

فاشتعلت القاعة بالهتاف والتصفيق، وجرت خلود إلى  
كعابيش فتبعها باقى الفريق، قابضين على يده، داعمين له.  
— الرجاء التزام المقادع من فضلکم.

قالها حاجب المحكمة، فعاد الجميع كُلُّ فى مكانه.

— حكمت المحكمة حضوريًا ببراءة الدكتور عبدالحميد  
محمد كعابيش من كل التهم المنسوبة إليه.

تعالت الصيحات.

— الحمد لله.

وصفق الحضور مرددين :

— الله أكبر يحيا العدل.

فطلب القاضى الهدوء فى القاعة، فصمت الجميع وأخذ  
يقرأ فى حيتيات الحكم :

— إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وحصانتهم إن لم تكن فى  
القانون فهى فى القلوب، فلا يجوز اتهام العلماء والزج  
بهم فى مهاترات وتهم دون دليل، فإن ذلك من شأنه أن  
يسئ لنا جميعاً كشعب لا يقدر علماءه، والمحكمة تتقدم

بالاعتذار نيابة عن شعب مصر كله للدكتور عبدالحميد محمد كعابيش، وتهيب بالسلطة التنفيذية ألا تكيل الاتهامات السياسية دون دليل، وألا تفتعل وقائع ، وألا تتربص بالعلماء أهل الخبرة لمجرد أنهم يختلفون فى الرأى وتقرب الجهلاء أهل الثقة..... رفعت الجلسة.

تمت



## السيرة الذاتية

عماد سالم

- شاعر وكاتب مسرحي وروائي مصرى، ولد فى السادس من ديسمبر ١٩٦٩ فى قرية العلاقمة - مركز ههيا - محافظة الشرقية .
- درس بكلية الحقوق جامعة القاهرة .
- عمل فى مجال الطباعة والنشر وأسس مؤسسة يسطرون للنشر وتولى مجلس إدارتها ٢٠١٢ وحتى الآن .
- ساهم فى الحركة الثقافية المصرية فأسس جماعة النيل الأدبية ٢٠٠٨ .
- عضو اتحاد كتاب مصر .
- عضو جمعية الأدباء .
- عضو المنتدى الثقافى المصرى .

## **★ أَهْمُ الْإِصْدَارَات**

### **الروايات**

١. ليزا .
٢. أبو خشبة .
٣. كعابيشن .
٤. يهودى فى شارع الغجر (أديفا) .

### **الشعر**

١. تلغراف .
٢. غيطان الليل (أغانى مصرية) .
٣. الحب فى ميدان التحرير .
٤. أسرار مرید .
٥. مركب أفكار .

## المسرح

١. مسرحية : إنسان ملاك .
٢. مسرحية : عودة الأميرة .
٣. مسرحية : فرحة الغلبان .
٤. مسرحية : أحلام عبدالراضي .
٥. مسرحية : جوز حبيبتي .
٦. مسرحية : عالم غريب .
٧. مسرحية : رقصة ينابير .
٨. مسرحية : ليالي .
٩. مسرحية : فستان فرح .
١٠. مسرحية : مجانين في خطر .
١١. مسرحية : ناشط سياسي .
١٢. مسرحية : الرجل الأحمر .

## الكتب

١. آخر محطة للوطن (مقالات نشرت في أهم الصحف المصرية والعربية : الشروق، اليوم السابع، الفجر، الوفد، الديار، السياسة الكويتية، وغيرها)

## وله تحت الطبع :

١. في ظلال الأدب .

## صدرت حول مؤلفاته العديدة من الدراسات منها :

١. ( ليزا ) عماد سالم .. قراءة في تاريخ الحركة الإسلامية ..  
.. و العودة إلى ( واقعية القاع ) ..

د / حسام عقل : رئيس ملتقى السرد العربي .

٢. (ليزا) عماد سالم .. الشخصية المصرية قبل الطوفان ..

د عبدالرحيم درويش :

أستاذ الدراما ، ورئيس قسم الإعلام بجامعة دمياط  
والوادى الجديد .

٣. مسرح عماد سالم وعالمه والموشى بالأرق ...

الكاتب والناقد المسرحي د / أمين بكير .